الوهم

رواية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للناشر

2017م

م.2017 ©حقوق الطبع محفوظة

لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الخليج

صناع التغيير

المملكة الأردنية الهاشمية – عمان – العبدلي – شارع الملك حسين

بالقرب من دوار الداخلية- مجمع شيكاغو – ط(٢)- مكتب (٢)

هاتف: +962 6 4646747 **تلفاكس:** +962 6 45647559

daralkhalij@gmail.com
daralkhalij@hotmail.com
salesalkhalij@gmail.com
change_makers@hotmail.com

Facebook دار الخليج للصحافة

الوهم

رواية

أشرف الضباعين

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٢٧١/ ٣ / ٢٠١٧)

٨١٣.٩

الضباعين، اشرف عبدالله

رواية الوهم/ اشرف عبدالله الضباعين .-عمان: دار الخليج للنشر٢٠١٧

الواصفات: / القصص العربية / / العصر الحديث /

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN: 978-9957-615-31-4

غداً هو الأمس الذي يأتي... وأمس هو الغد الذي ذهب

الشكر والعرفان

الأستاذ حنا القنصل

الأديب أيسر رضوان

السيدة إبتسام معلوف

السيد سمير علاونة

الآنسة آيات الطنطاوي

المصور أسامة جبر

صفحة الكاتب على موقع التواصل الإجتماعي (الفيس بوك):
https://www.facebook.com/ThewriterAshrafDabain

معظم الأحداث والاسماء والشخصيات في هذه الرواية وهمية ولا تمت للواقع بصلة

التقديم

لم يكن البشر إنسانيين إلا عندما بدؤا بالنقش والرسم منذ العصور الحجرية على جدران الكهوف والصخور الكبيرة، وتطورت إنسانية هذا الكائن عندما بدأ يكتب أبجديته الأولى على كل ما يصلح للكتابة...

الكتابة شفاء للروح، لأن الكتابة تأخذك إلى عوالم أخرى، وما هذه الرواية إلا محاولة لشفاء روح... بل قد تكون شفاء أرواح.

هذا الشفاء بالنسبة لي لا يحتاج لأدوية ولا لعلاجات ولا ينفع معه الطب العادي ولا طبيب مختص!

شفاء الروح لا ينفع معه التكرار ولا تقليد الأخرين في شفائهم لأرواحهم!

البعض ينفع معهم التدين... البعض ينفع معهم السفر... البعض ينفع معهم التسوق... البعض ينفع معهم الموسيقى... البعض ينفع معهم الرياضة... اليوجا... القراءة... قتل الوقت بأشياء تافهة... أو حتى القتل بحد ذاته!

أما أنا فأشفي نفسي بالكتابة، أو هكذا يُخيلُ إلي... فهل الكتابة وحدها تشفي غليلنا؟

أليست الكتابة طعنات قلمٍ على قلب ورقة بيضاء.

الكتابة نوع من التخلص من أشياء كثيرة... لكنك بدل التخلص منها تكتبها وتمنحها البقاء...

الكتابة كنقش أسمائنا على لوحة رخامية بيضاء ستوضع فوق رؤوسنا بعد أن تخمد الذكريات للأبد... وتبقى هي ونحن نرحل.

بغض النظر عن طريقتك ووسيلتك في شفاء روحك... تأكد أن الشفاء ممكن اذا اكتشفت الوسيلة الأنجع وليس بتقليد الأخرين، وتأكد أن تكرار ما يفعله الأخرون ليس حلاً ناجعاً لأي شفاء للارواح بل هو مزيداً من الإنحدار نحو موت روحك، التي متى فارقت ضميرك أصبحت جسداً خاوياً كلعبة قماشية يحركها الحدث فقط!

إشفِ روحك...

انظر لنفسي فأرى في وجهي الكلام... امسك القلم وأكتب من تجاعيد وجهي وشعر لحيتي، ومن شفتي السفلى التي عليها بصمات ميئات الشفاه، ومن شفتي العليا التي عليها بصمات الدموع، ومن لون عيناي... رواية...

رواية قررت أن اسميها الوهم! إخترتُ لها هذا الاسم قبل أن تولد... ومع أن عادة الكُتّاب أن يختاروا اسماء كتبهم بعد أن ينتهوا منها... لكنني كنتُ قد توهمتها قبل كتابتها بفترة، فأخذت اسمها قبل ولادتها... ولأخر لحظة ما كنت اتوقع أن أنشر هذا "الوهم" للناس.

لست بائعاً للوهم في زجاجات على أنها إكسير حياة...

" الوهم" الذي أمنحكم إياه على شكل رواية هي قصة لأشخاص بيننا لا نشعر بهم ولكنهم موجودون، لكن كما ذكرت معظم الشخصيات والاسماء والاحداث وهمية.

في هذه الرواية النصوص منهكة... العقول منهكة... القلوب منهكة... فأي حقيقة تبحث عنها في الأعماق ستجدها لا تتعدى سطح الغشاء، فالحقيقة لا يمكن أبداً أن يغطيها الوهم.

أنا سعيد جداً عندما انتهيت من كتابة هذه الرواية لأنني أخرجت ما في قلبي من مشاعر وأحاسيس وبراكين وزلازل وحتى انفجارات كونية وثقوب سوداء...

أخرجتها بمجرد أن كتبت هذه الرواية...

وعندما انتهيت من كتابتها شعرت براحة كبيرة جداً... أخيراً "ثقل" الشخوص والأحداث التي صنعتها والتي صنعوها إنزاح عن كاهلي.

خيرٌ لك أن تكتم أنفاسك على أن تكتم أحاسيسك...

بمجرد ما وضعت هذه الرواية بين يديك عزيزي القارئ أصبحت مُلكك... فلندع يا "بوكوفسكي"[1] للناس أن تحكم على هذه الرواية.

١- تشالز بوكوفسكي (١٩٢٠-١٩٩٤) شاعر وروائي وكاتب أمريكي من أصل ألماني، قال يوماً عن الكتابة "إذا لم تخرج منفجرةً منك، برغم كل شيء فلا تفعلها.إذا لم تخرج منك دون سؤال، من قلبك ومن عقلك ومن فمك ومن أحشائك فلا تفعلها... لا تكن مثل كثير من الكتّاب، لا تكن مثل آلاف من البشر الذين سمّوا أنفسهم كتّابًا لا تكن بليدًا ومملًا ومتبجّحًا، لا تدع حب ذاتك يدمّرك. مكتبات العالم قد تثاءبت حتى النوم بسبب أمثالك. لا تضف إلى ذلك.لا.. تفعلها".

رواية كيفما كتبتها شعرت بفراغ كبير... كلما كتبت شيئاً أصبح الورق فارغاً!

إنني اتوهم الكتابة! لذلك لا أقول عن نفسي كاتباً حتى لا يغضب بوكوفسكي ويظن أنني أتخمت المكتبة برواية جديدة.

إطَّلَعَ على مسودة هذه الرواية حين كانت ملفاً ورقياً صديقة معروفٌ عنها أنها " قارئة جيدة"... جلستُ أنتظر ردة فعلها، وفي منتصف الرواية أغلقت الملف على أصبعها السبابة من اليد اليمنى في محاولة منها لعدم إضاعة الطريق في ملامح الرواية، ثم وضعت سبابة اليد اليسرى على باب فمها وأخذت تطرق على شفتيها المغلقتين... تنقر على باب فمها...وكأن المرأة لا تدرك رجلاً إلا عبر شفتيها!

أخذت تطرق وتطرق وكأنها تحاول تفسير شيء ما... تحليل ما... تحاول عبور ثقبٍ أسود يأخذها إلى عوالم تفهم فيها صنف الرجال... نوع الرجال...هذا المخلوق الذائب في حبٍ ولكنه محلول سهل الإنفصال! نظراتها للأمام في اللاشيء تكاد لا تفارق الخيال الواهم الذي تتمعن فيه وهي تقول في ذاتها: أيُّ الرجال أنت؟ أيُّ الرجال أنت؟ وأنا إمرأةٌ تشتهي الرجل الغامض وتمقته في نفس الوقت...

ثم وكأنها أفاقت من نوبة سبات في عشق رجلٍ غامض في الرواية! فَتَحت الرواية مرةً أخرى فكان أن نظر إليها الجاحظ العينين من خلف

ورقةٍ من أوراق الرواية وقال لها: حتـى الكاتـب الـذي رسـم ملامحـي بحروفٍ على الورق يجهل شخصيتي!

تذكر أيها القارئ أن حُبك وهـم اذا لم يباغتـك كالإعـصار... فـلا تتوهم حب تتفق عليه أنت والطرف الأخر إتفاقاً، هناك فرق كبـير بـين أن تملأ قلبك بمن تحب... وأن تملأ الفراغ الذي في قلبك بما تحب.

أشرف الضباعين

التعويذة

قالت لي أمي أنني ولدت في ليلةٍ رمـضاء في العـاشر مـن آب، وأن بكائي كان متقطعاً وأن عيناي حيـنما فتحـتهما عـاودت أغلاقهـما مجـدداً وعاودت البكاء المتقطع... لم اتقبل الحليب إلا بعـد سـاعات طويلـة... وأنني على ما يبدو كُنت فاقداً لشهية الحياة منذ خمسة وثلاثين عامـاً فـلا أعرف ما الذي أبقاني حياً حتى الأن على طرف الحياة؟

اسمي تميم... باللغة العربية تعني الرجل الشديد الوقار والخلق... لكن الاسماء تولد معنا وقد لا يكون لنا من الاسماء نصيب أو قد يكون...

أعمل كأثاري... في وظيفة حكومية...

أبي مات قبل أن تنجبني أمي " فالاً سـيئاً للحيـاة"... وذلـك قبـل موته ببعض الأيام... وقبل موته طلب من أمي أن تسميني تميم...

أما أمي... فسيدة صلاة... منذ أن وعيت على الحياة وهي تصلي... لا تمارس إلا الصلاة... لا تترك أي فرض.

دائماً ما تصنع لنا تعويـذة وتـضعها في قـماشٍ أخـضر وتخطيـه عـلى شكل مثلث ثم تربطه بحبل أخضر وتـضعه في أعناقنـا... لنتبـارك مـن الخضر... النبي الذي إتخذ الأخضر لونـاً... وعنـدما اسـتطعت اختيـار ألوان ملابسي كرهت الأخضر وقاطعته.

تعويذة أمي صلاة... وصلاتها تعويذة... وكنت ألوم أمي دوماً بأنها رحلت دون تعويذةٍ تحميني من نفسي...

كان همها التعويذة... تعويذة لنجاحي... تعويذة من عيون النساء وحسدهن... من شر الشيطان وغوايته... من الأمراض... لكنها نسيت أن تصنع تعويذة تحميني من نفسي... وحتى تعويذاتها على كثرتها لم تنفع أمام هذه الأمور كلها!!!

نحن لا نملك شيئاً... لم يترك أبي لنا أي شيء ذو قيمة... وكانت أمي كلما حصلنا على مبلغ من المال بفعل عملها في الخياطة تتقاسمه مع جارتها التي تُعلمها صنع التعاويذ... وتجلب لها مع الأقشمة الأخرى التي كانت تشتريها لأمي من وسط المدينة القماش الأخضر المقدس من كنيسة الخضر من مدينة السلط البعيدة...

كان الخضر الأخضر عند أمي أهم من الطعام والشراب وأية أمورٍ أخرى.

كبرنا وقلنا لأمي أن جارتنا دجالة... فبكت أمي... وبكينا معها... ولم يوقفها عن البكاء إلا عندما قلنا لها أننا نحن من نكذب وأن جارتنا سيدةٌ مباركة... تقبلّنا بعد ذلك أن تكون جارتنا شريكة لنا في كل شيء تقريباً!

عندما كنتُ طفلاً كانت أمي تقلم لي أظافري كثيراً فنشأت بلا جروح... وعندما كبرت نسيتُ تقليم قلبي فجرحني... وما زلتُ أعاني من الجروح...

في سن المراهقة كان ملاذي الوحيد سطح البيت... كُنتُ هناك أرتمي على قطعة قماشية أنظر للسماء لساعات وساعات، فالسماء كانت سطح بيتي عندما كنتُ أريد أن استنشق الهواء أو حين كنتُ أنزوي لأفعل ما يفعله المراهقون في الخفاء... كانت تلك أفضل الأوقات أما أسوأها فكانت بالنسبة لي تلك الغرفة التي نكتظّ فيها، فكانت بالنسبة لي السجن الجماعي لشعورٍ انفرادي.

كبرت أنا وأخوتي نحب أشياء مختلفة لا جامع مشترك بيننا... أنا أحب القراءة والكتابة! وهذا شيء سخيف دائماً من وجهة نظرهم، لذلك كان القلم والأوراق أهم ممتلكاتي... واذا سألت كاتباً عن أهم الأشياء لديه سيقول لك القلم والورق... واذا سألت مجموعة من المهوسين أو المجانين ما أهم الأشياء لديكم سيقول بعضهم أو على الأقل أحدهم... القلم والورق... حتى أقرب أصدقائي "جاحظ العينين" يغضب كلما رأى القلم والورق معي! وكلما كبرت يزداد شغفي بالكتابة لأنها الطريق الوحيد لأمسح ما بصدري...

ليست تلك الأشياء وحدها شغفي... فلي أشياء أخرى تشغلني... فلكل إنسان وحشه... وسواده... ورغباته... وشيطانه! وأنا لي وحوش وعتمات بلا قمر ورغبات تقشعر لها الأبدان... ومن قال أنه يمتلك كل الأخلاق فوحشه الأكبر الكذب...

وكلما كبرتُ... كبر الوحش في داخلي...

لا أفهم لماذا نكبر؟ لماذا يتقدم فينا العمر؟ أليست طفولتنا أجمل؟ أو لعلنا نظن ذلك!

قلوبنا تتحجر كلما كبرنا والأن أفهم لماذا يقولون أن الحجارة تموت أيضاً.

يوماً ما كُنت طفلاً... ومن وقتها ذهب ذلك اليوم ولم يعد...

يوماً ما كنت ألعب في الشارع مع أطفال الحي... شعرت بالتعب وعدت للمنزل... ارتميت على السرير بملابسي المتسخة... شاهدت وأنا أُغمض عيناي أمي تضع شرشفاً على جسدي المرهق... ونمت...

حلمت أحلاماً مزعجة جداً... فصحوت مفزوعاً وقد أصبحت في الثلاثين من عمري.

أنا بداية القصة

لقد كان زواجاً تقليدياً... أنا كبرت بالعمر ووصلت الثلاثين وأصبح الكل يعايرني على عزوبيتي الشائنة...

كنا نتبادل الحديث وهو يجهز الأرجيلة... أكملت الحديث وكأنني أتحدث عن حدثٍ جلل

- وهي وصلت سن الثلاثين... الخّطابات يسعين وراء فتيات أصغر عمراً...

قال وهو مشغول بالأرجيلة: أيها العمر الشقي كيف تفرض شروطك علينا! تغير أمزجتنا وتغير شكلنا وتجعل لنا طرقاً محددة نسلكها... فإن سلكناها سلمنا من اللسان وإن لم نسلكها أصبحنا علكة في حنك مجتمع يسيل لعابه لأي قصة...

صَمَتَ ثم نظر إلي نظرة ريبة:

- لماذا تزوجتها؟

- لا أعلم... جرى الأمر سريعاً وكأنني كنت نائماً أحلم، ثم صحوت فجأة لأجد بجانبي فتاة لا أعرفها... ظننت للوهلة الأولى أنها إحدى الفتيات اللواتي كنت أضاجعهن... لكن آثار العرس بدت على وجهها... كما بدت آثار الصدمة على وجهي...

صَمَتَ رفيقي مجدداً... عضضت لساني وأغمضت عيني بشدة لعل الحلم ينتهي... فتحت عيني.. ووجدته ما زال ينظر إلي نظرته

الغريبة... فكسرت نظرتي كطفلٍ أخطـأ في حـضرة والـده... وأكملـت حديثي كأن شيئاً لم يكن

- بعدها قمت عن السرير للحمام ألعن نفسي على غبائي وعلى فعلتي... وألعن حظها التعس الذي رماها على شخص مثلي... لقد كنت غائبـاً عن الوعي لكن هل أهلها كانوا كذلك أيضاً؟ أبهـذه الـسرعة تخلـص أهلها من مسؤوليتها؟ أبهذه السرعة تخلصت أنا مـن الكـلام المتكـرر بضرورة الزواج؟ أهكذا حُلت مشكلتنا؟ بالإرتباط المـشوه... وددت لو لحظتها هربت...
- ولماذا لم تفعل؟
- أنا جبان يا رفيق عمري...
- الهروب صفة الجبان، أنت لم تهرب يا صديقي.
- كيف حدث هذا؟ شهر! أو لعله أقـل... تـسارعت الأحـداث ووقـع الفأس في الرأس.

وضع رفيقي الأرجيلة بيننا وكانت سلة الفحم بيننا ثم أخذ بالملقط يضع الفحم على رأس الأرجيلة ويمتص منهـا الحيـاة ... كـان الفحـم يشعل الأرجيلة وكان هناك فحم أخر يشعل قلبي فيحترق أيضاً...

كانت انفاسه كأنها أنفاس رجلٍ ميت يحاول استنشاق روحـه الـتي فارقته قبيل لحظات...

كان الدخان الأبيضُ يُخرج من فمه بكثافة وكأن روحه تفارقه بقوة... حتى رائحة أنفاسه كأنها رائحة الموت تطغى على رائحة المعسل...

ووجه الأسود... كعتمة الليل التي رحل عنها القمر والنجوم... وكأن الموت سكنه...

عيناه الجاحظتان كأنهما عينا ميتٍ توقفتا عن الحراك وهو ينظر إلي...

وكلما شاهدته كأنني أنظر في المرآة... أرى نفسي.. ونفسي لا تراني...

تسمرت روحي وأنا أنظر لهذا المنظر المرعب...

ثم عاد للحياة وقال لي:

- أكمل... ماذا بعد؟ لماذا قبلت بك؟

وهو يستسلم لشعور المخدر في أرجيلته ويسترخي... ثم سلمني خرطوم الأرجيلة وتمدد على الأريكة أمامي ينظر لي وأنا أمتص الأرجيلة وأنفث من قلبي سموم الألم... لتحل محلها سموم الأرجيلة...

- لا أعلم! لعل الأمر يتعلق بماذا سيقول المجتمع عن فتاة لم تتزوج؟ أكان لديها حبيب؟ علاقة سابقة؟ لا تريد أن تُكشف أنها سلمت نفسها لرجل آخر؟ أم أنها قوية ويتجنبها الرجال لصعوبة التعامل معها؟ ألعلها بشعة؟ مهملة؟ من عائلة سيئة؟

- وهل هي كذلك؟

- أبداً يا صديقي... كيفما أراها فإنني أراها أنثى تدافع عن حقها في الحياة... وأنني أنا من جعلها بعد الزواج صعبة المراس ومتوحشة وبشعة ومهملة...

- وأنت ما أسبابك في الزواج؟

- أخي الأكبر أصر عليَّ... ودموع أمي وهي تحيك تعويذة الزواج الخاصة بي جعلتني أضعف... أيعقل أنها تعويذة أمي؟ أنها المرة الأولى التي قد تكون نفعت فيها تعويذة أمي! في المحصلة استسلمت للخوف... ماذا سيقول المجتمع عن رجلٍ لا يتزوج؟ ألعله هامل؟ شاذ؟ ليس برجلٍ؟

- أعتقد أن الكثير من هذه الصفات موجودةٌ بك... لكنك تحاول أن تنكرها... أن تحاول أن تثبت للمجتمع أنك رجلٌ صالح... أن تنكر أنك رجل في السر يهوى النساء ويضاجعهن كثيراً... وأنك لأجل المال قد تمنح نفسك وروحك ... وأنك تفكر في أن تبيع الآثار التي أنت مؤتمن عليها... أليس كذلك؟

لم أجبه... كان كلامه جارحاً وصادماً ولكنه حقيقي... كنت فقط أمتص الأرجيلة... وشعرت أن الكلام انتهى... وأنني غرقت في بحرٍ من الأحزان.

نظر مجدداً في عيناي... كانت عيناه الجاحظتان دوماً ترعبانني، وقال:

- وأيضاً لأنك تخاف المستقبل... تماماً كما الكثير من رجال هذه الأيام يتزوجون لأنهم يريدون حماية أنفسهم من المستقبل... أبسط قول العامة هو: من سيعتني به عندما يكبر؟ عندما يمرض؟ عندما يشيخ؟.... من سيطبخ له؟ من سيقوم بمراسم جنازته؟ تربى الرجل العربي على أنثى تخدمه... لا على شريكة حياة.

لم أجبه... أما هو فأكمل حديثه:

- كلٌ منا يا صديقي له أسبابه لنسير في هذه المصيبة التي اسمها زواج تقليدي...
- لا أنكر أنني استسلمت أنا للضغوط... واستسلمت هي للواقع
- نحن بحاجة لأتمام الأمر لنحقق غاية في المجتمع... تشكيل أسرة بائسة جديدة. أُسر كثيرة تشكلت هكذا... أُسر جائعة ومحرومة... أُسر لا رابط بينها... شراكة فاشلة لا يجمع أفرادها إلا الاسم... أسر مفككة يملأ قلوب أفرادها أحقاد بعضهم على بعض وعلى حالهم وعلى أوضاعهم وعلى جيرانهم وعلى مجتمعهم وعلى وطنهم...
- نعم صحيح.
- لماذا لا تعود عن هذا الأمر؟
- لا يمكنك الخروج عن الصف! بمجرد أن تخرج من الصف سيتهمونك بالردة والكفر... بمجرد أن تركض أو تهرول للماضي لتكتشف في أي خطوة أخطأت سيعرقلونك لتعود للصف... خروجك من الدور والصف يرعبهم ويخيفهم... وخوفهم سيخيفك... وستكتشف أنك عدت للصف قبل أن تتذكر الخطوة اللاحقة... لأنك تركت في الصف هناك أُناس تحبهم... واشياء تحبها... وأنك أن عدت للبحث عن الخطوة الخاطئة ستتركهم وحدهم.. وتخاف... أن تتركهم وحدهم بدونك يعني أنك ستتخلى عنهم.

- " ليس لك خيار فيما أنت عليه، لم يكن لك خيار في مَنْ ستكون عائلتك، كيف ستكون ملامحك و تدويرة وجهك؟ ليس لك خيار في الصوت الذي سيسمعهُ الناس منك، ولا اللغة التي تتحدث بها من صغرك. يرتديك النهار كشمسٍ و يتخلَّص منك الليل بإرغامك على النوم تعباً، وبعد كومة الفروض هذه أصبح لك وجهان وجهٌ بائسٌ الصقيع يرسم له عينين، ووجهٌ أنيق تُقابل بهِ المارَّة الأتعس منك، والأوفر حظاً، ولكن لا شيء يظهر للعلن غير صورة إنسان مُكتمل، لم تختر بداية الحكاية ولن تختار نهايتها، ستتوقف عند مُنعطف لم تكن تتوقعه، لكن كُن مؤمناً أنَّك لن تتكرَّر"[1].

كانت هذه اللقاءات العابرة مع صديقي الغريب الأطوار تخفف عني ألم الواقع وصدمة الحياة...

أُخرج ما في قلبي من هموم...

أحتسي بعض الأقداح من مشروبي المفضل...

أدخن أرجيلتي...

أستنشق هواءً من كلينا... هو يأخذ هوائي الموبوء بألمي وأنا أخذ هواءه الموبوء برائحة الموت...

هو لا يتألم ولا أنا أموت...

١- تشارلز ديكنز

نتبادل الألم والموت فلا هو يشفى من الموت في أعماقه ولا أنا أشفى من الألم في أعماقي... لكنها الوسيلة الوحيدة للتشاركية... مع صديق أخاف عينيه... وسواده الشديد وفكره العنيد... ويوماً ما سيقلتني أو أقتله.

تتكرر لقاءاتنا وتكثر همومنا... والدخان الأبيض الصاعد من مدخنة صدري لا يشير لأي حلول قريبة.

كان هذا اللقاء الأول بيني وبين صديقي منذ أن تزوجت...

كان صديقي هذا شخصاً استثنائياً... مستمعاً جيداً... وقريباً جداً من قلبي... أعرفه من نعومة أظافري...

تعاهدنا أن نبقى قريبين جداً من بعضنا بعضاً... وأن تكون المسافة بيننا بما يسمح لنا بحرية اللقاء أينما نريد... وحرية الفراق متى ما نريد...

أن نمتزج معاً متى ما نريد... وأن نفترق متى ما نريد...

قد نلتقي يومياً بموعد وبلا موعد...

وقد تمر أيام وشهور وسنين دون أن نلتقي أو نسأل عن بعضنا بعضاً...

لم يحضر زواجي وأنا لم أدعوه... لم يعاتبني على عدم الدعوة... وأنا لم أعاتبه على التقصير في المباركة!... والتقصير في النقوط...

صديقي هذا بائسٌ ليحضر حفلات الزواج...

وسعيد جداً في حضور مأتم الموتى... لذا هو أخر شخص قد تطلب منه الحضور... لشيء ما... لأي شيء... إلا لكأس الخمر، فهو بارعٌ في احتساء الكثير من الكؤوس دون أن يفقد توازن جنونه وعبثية الكلام، كما أنه بارعٌ في إعداد

الأرجيلة التي تصيبك بدوار البحر على اليابسة... لتتخدر من همومك... ليأخذك إلى ما بعد الأبعاد... ليفك قيودك ويأخذها عنك... ليحررك من نفسك... لتنطلق إلى رحلةٍ صوفية روحانية حينما يستمع لك فقط... وليثير الرعب فيك حينما يتحدث...

اللقاء معه محكمة... تكون فيها المتهم والقضية والمحامي والقاضي وحتى المطرقة... وتكون الشيطان بذاته... محكمة تكون فيها الحاضر عن المدعى عليه الغائب عن الحضور، فتكون أنت نفسك الحاضر الغائب... الغائب عن الحياة.

الجمر والخطيئة

تـوالى الـدخان يخـرج مـن صـدري أبـيض يحمـل كـل هـذا الهـم الأسود... وهو ينظر لي بعينيه الثاقبتين ويقول: أكمل

-معظم أسرنا تشكلت هكذا يـا صـديقي ... يحتمـي كـل فـرد فيهـا في طرف من البيت أو زاويـة تخلـو مـن بقيـة الأفـراد، يعتزلـون العائلـة ويحتمون خلف أبوابٍ موصدة وإلكترونيات تلهيهم عن واقـع مريـر بأنهم يعيشون تحت سقف واحد مع أشخاص لا يحبونهم.... مجتمعنـا يتشكل مـن بيـوت تـشترك في الألم والحـزن والكراهيـة مـن الـداخل والإبتسامة والمودة والتواصل الظاهري المزيف في الخارج.

-وكيف التقيتما؟

-كان طرف اللقاء بيننا أختي... كانتا تعملان معـاً... كانتـا صـديقتين حميمتين... نعم رأيتها كثيراً في بيتنا... رأيتها كيف تكبر وتـصبح فتـاة جميلة ولكن لم أتصور قطعياً أن تكـون زوجتـي!!! أنهـا فتـاة سـطحية جداً... وجميلة جداً... كيـف يمكـن أن نتـزوج فتـاه لا نتـشارك معـاً أبسط الاهتمامات؟ ومع ذلك فعلتها أنا... الشي الوحيد الذي يجـذب في هذه الفتاه شكلها وقوامها... فقط.

-وأنت تحب الفتيات ذوات القوام الجميل!

لم أعر ملاحظته أي اهتمام، أتممت كلامي كأنه لم يقل شيئاً:

-ومع ذلك لا أعرف كيف خطرت لأختي فكرة تزويجنا؟ طرحتها هكذا... وتبناها أخي الأكبر... وعندما رفضت... سلّطا علي دموع أمي... وكأنني كنت في غيبوبة... متى قلت لهم نعم؟ متى وقّعت على إقرار نهايتي؟... لا أدري... وكيف حدث الأمر هكذا سريعاً؟ لا أعلم... فجأة أصبحت هذه الفتاة الخجولة أمامي وأصبحت خطيبتي بموافقة مبدئية من أهلها ...

-لماذا لم تتحادثا قبل أن ترتبطا...

-لقد منعها أهلها من القدوم لمنزلنا!

-خافوا منك وأنت خطيبها ولم يخافوا منك وأنت قريبٌ منها.

-كانت تأتي إلى بيتنا كل يوم تقريباً... وعندما طَلبتُ يدها من أهلها مُنعتْ من القدوم إلى منزلنا إلى حين إتمام مراسم الزواج!

توقفت عن الحديث... من هول تذكر الصدمة...

ثم بعدها ببعض ثوانٍ قلت وأنا أكرر امتصاص أنفاس شيء ما من الأرجيلة: كيف حدث هذا سريعا؟ كأن الأمر حلماً...

- لأنه حدث بسرعة!

- لعل الأمر أنني كنت أريد أن أخرج من حالتي التعيسة بسرعة...

وبقينا ننفث أنا وصديقي دخان صدورنا... فالنار المشتعلة هناك... الجمر البارد في أعماقنا... لا يستطيع أحد أن يطفئه أبداً...

وكأن أمورنا لا تسير إلا بالسخرية... قبل ذلك بفترة كُنت جالساً مع صديق أخر... صديق أرجيلة آخر... اسمه سعادة... العازب سعادة...

- قال لي سعادة: لماذا لا تتزوج وننتهي من همك!

قلت له: لماذا؟... هل تريدني أن أصبح مثل أخوتي الكبار أتعب صباحاً وأكد في العمل ثم أعود للبيت لأمارس مهام رجولتي على زوجة تنتظر بفارغ الصبر رجلاً متهالكاً! سرعان ما تستهلكه أمور الزواج فيذبل... رجلاً سينمو له سريعا الكرش والشعر الأشيب! رجلٌ بملابس رثة وتحتها ملابس داخلية ممزقة... وأحشاء ممزقة... رجلٌ انتحرت أمنياته وأصبح يركض لتحقيق أمنيات أخرى ليست أمنياته.... ولا يستطيع تحقيقها أيضاً... رجلٌ جائع يركض ليشبع أفواهاً لا تشبع...

ضحك سعادة وقال: هذه هي الحياة... الكل هكذا!

- سأبقى حراً

- أنه القفص الذهبي...

- عن أي قفص تتحدث! معظم الزوجات لا يحبن أزواجهن ومعظم الأزواج يخونون زوجاتهم بصورة أو بأخرى... أقلها خيانة عبر سكايب... عبر واتس أب... عبر مكالمات هاتفية... وعبر مشاهدة الأفلام الاباحية وغيرها الكثير... قد تكون خيانة بفكرة يمارسها في رأسه مع زميلته في العمل... أما أنا فسأعيش هكذا دون أن أخون أحد!

- أنت مجنون يا رجل...

- نعم أنا مجنون... ولكن أنا اتحدث عن الواقع ولا أنكره... أتعلم؟... قد يكون الأمر معكوساً... أي أن يكره الأزواج زوجاتهن وتخون

الزوجات... وقد يمارس كلاهما الفعلين معاً في نفس الوقت... هذا يا صديقي نتاج الزواج التقليدي.

- ألا تعتقد أنك تبالغ كثيراً حين تتحدث عن فعل الخيانة... أنت تصور الشرق كله كأنه ماخور كبير...هذه مبالغة يا صديقي.

- لا ليست مبالغة إنما أنت تبالغ في محبتك للشرق النابعة من معتقداتك الدينية فأنت ترى هذه الأمة وكأنها أمة الأخلاق المنفردة بالمثالية وغيرها من الأمم منغمسة في الفاحشة! لدرجة ترى أنتقادي مبالغة لحقائق قائمة وكأنني أُشكك في عذرية فتاتك كلما تحدثت عن الشرق...

- لو كنتُ أعشق فتاه لقتلتك الأن لحديثك عن عذريتها...

- بالتأكيد أيها الرجل الشرقي... أي شيء ولا يمس أحد رجوليتك.

لم أشأ أن أجرح صديقي العازب سعادة بأن أسأله لماذا لم يتزوج هو...

لكن صديقي هذا تنبأ عن فعل كنت أرفضه... ففعلته وخضعت...

الفكرة التي كنت أرفضها خنعت لها!

كنت كزعيم حربٍ قد شن حرباً على الأعداء وتعهدت أمام جنودي بأن أموت ولا استسلم أمام الأعداء!... وعندما هُزمت... رميت اسلحتي ورجعت القهقرى هرباً... استسلمت وتركت جنودي...

رفعت راياتي أمام أول زواجٍ تقليدي طرح نفسه أمامي... وخلال أقل من شهر تزوجت من احداهن... وأصبحت ملاصقاً لأحد ما... أحدهن... لا أعرفها ولا تعرفني!!!

وكل ما تحدثت عنه وأنكرته... حدث معي... وأكثر...

ماتوا في الطريق

هل أحببت؟ سؤالٌ نُسألُ عنه كثيراً!

سؤالٌ مقرف يكاد يلاحقنا دوماً...

سؤالٌ غبي!

كيف تمرُ علينا الحياة دون أن نحب؟...

هل جربت الحياة بدون أكسجين؟ بدون الطعام والشراب؟

لذلك أقول: من يسأل هذا السؤال هو إنسان لا يفهم الحب...

الحب يولد معنا... جزء لا يتجزأ من كياننا... من كينونتنا... من ذاتنا!

الحب معركة فرضت علينا ولا يمكننا أن نهزم الحب... حتى الشيطان ذاته عشق وتلوع من الحب... ذاق الحب وجن جنونه! ونحن منذ أن كنا حيوانات منوية أحببنا بويضة في مكان ما...

كنا ملايين أو أكثر... نتنافس على قلبِ حبيبةٍ واحدةٍ...

بعضنا بصحة جيدة وبعضنا بتشوهات... بعضنا تعب... بعضنا على وشك الموت لكننا لأجل الحب سبحنا بكل ما أوتينا من قوة ليحظى أحدنا بقلب البويضة...

مات معظمنا على الطريق...

سبق بعضنا البعض الأخر...

وصل أقل من ألف للبويضة... وقبل أن يقتحمها أحدنا... مات معظم هؤلاء على صدر البويضة لشدة تعلقهم بها...

لقد قتلهم الحب... نعم أنهكوا من الحب

بمجرد ملامسة البويضة مات الكثير من العُشاق... وواحد فقط اقتحم قلبها والتصق بها.

كل من أحبوها فشلوا في الوصول إليها... وواحد فقط استطاع أن يقتحم قلبها... وهكذا ولدنا من قصة حب... من معركة عشق...

يموت معظم الناس عشقاً ومن الملايين واحد فقط يحظى بقلب حبيبته...

وأنا مت على الطريق... فقد ولدت مشوهاً في الحب... تعب من الحب... فكان مصيري الموت قبل أن أحظى بقلب من أُحب...

نعم أحببت... لكن أنا كنت واحداً من الملايين الذين قال عنهم التاريخ أنهم ماتوا في الطريق! فارقوا الحب قبل أن يصلوا إليه... وهؤلاء لم يسجلهم التاريخ كأبطال، بل سجلهم كعددٍ لا أكثر... سجلهم التاريخ على أنهم ماتوا قبل الحب فأصبحوا كحدث... مجرد حدث... وقد رثاهم شاعر ما ببعض الكلمات!

ولد الحب عندي مشوهاً... وهكذا رغم أنه محكوم بالموت لكن ناضلت كثيراً لأتمام الأمر... لكن المحتوم محتوم... سقط الحب عند أول معركة... فحبيبتي... الحب الأول... كانت من ديانةٍ مختلفة وبيئة مختلفة... فكان حباً غريباً شاذاً في منطقة لا تتسامح أبداً في القواعد

والسلوكيات... في العادات والتقاليد الجامدة... في خطٍ محدد لسير القطيع الذي لا يفكر أبداً... كان حباً محكوماً بالخدش... ولأنني لا أحب أن أخدشها بحبي... هربت وتركتها خلفي تتصارع مع ذئابٍ هم أهلها أكتشفوا أن ابنتهم تعشق رجلاً من ديانةٍ أخرى... فحكموا عليها بالإعدام زواجاً من ابن عمها...

ذلك السائق الخشن... السيء الطباع... النزق... الأرعن... القذر... الكريه الرائحة...

أهٍ كم أكرهه...

ومن يومها تعيش سجينة الأسود يغطيها كاملة حتى في حضرة أخوتها!

الحب أحياناً كالكفن يلفنا من كل إتجاه... يربطنا ويشد الوثاق... يخنقنا... ويرافقنا في القبر للأبد.

نعم لقد بُليت بقلبٍ كلما دق انتفض... فتسارعت دقاته لذكرى هذا الحب... فأزعجني نشاطه اللازم... فكان من الواجب أن أسكته عن انفعالاته... قلت له: يكفي.. أصمت... انتهى الأمر...

فصمت قلبي عن الحب...

ومن وقتها وأنا غائب عن الحب لكني مرتاح...

أو هكذا خُيل لي! نعم هكذا يُخيل لي،فأنا قشري الهوى

أنا جريمة النسيان وذاكرة الحزن...

لون وجهي... كأنه لون الماء.

أنا مطرٌ أسود ....

يهطلُ فيدمر الأشياء...

أنا قاحل الإحساس...

هبت عواصفي في قلوب النساء.

فلا تعبث سيدةٌ في أوراقي

وأقلامي...

وفي حبري وفي امتعتي

إلا ونال منها الشقاء.

أنا نسيت منذ مدة من أنتِ

ونسيت نفسي...

فمن أنتِ؟ ومن أنا؟

غير أنني أتذكر أنني جريمة النسيان

وذاكرة الحزن

وصحراء قاحلة من الأشياء

وهبوب عواصف... أطلقت للريح

سيقاناً من شدة التعب

ذهبت تهرول للخلف...

حيث السراب.

نعم أحببت وكانت حبيبتي من شدة جمالها إلهاً يُعبد...

كانت قدس أقداس لا يمكنك لمسها إلا للبركة... لا يمكنك إلا النشيد والتهليل في حضرتها...

يوماً ما قُلت لها: اشتهي منكِ قُبلة... فقالت لي: سأمنحك شفتاي وبعدها سأخذ قلبي وأرحل!

قلتُ لها: لماذا يا حبيبتي؟

قالت: القُبل لا تمنحُ مقابل شهوة... القُبل تمنح مقابل قصيدة... فأي القصائد سأكتبها يا حبيبتي فيكِ.

أنتِ أصبحتِ ذكرى ولا يمكنني أن أحلم بشيء أكثر من الذكرى معكِ...

في إنتظار شيءٍ قد لا يأتي..

وموج البحر يأخذه إلى حيث لا أدري.

فهل سيأتي؟ هل سيأتي؟

مع السفن في الفجر ترحل عينيها

فلا ينفع فيها شِعري ولا غزلي

فهل ستأتي؟ هل ستأتي؟

أحاول أن أستعيد ذكرى...

لعلها... تنفع صلاتي ورجائي

فيبادرني جاحظ العينينِ بتوجمٍ

لا أمل بعودتها...

لن تأتي... لن تأتي.

وأنا... مربوطٌ بعينيها...
ولا نيةً في القلبِ لنسيانِ
ولا ينفك قلمي يكتب فيها حبي
فتمتلئ الكلمات مذبوحةً على ورقي
وهذا الأحمر القاني...
هل هو دمها؟ أم دمعي؟
هل تأتي؟ هل تأتي؟
لا أدري... لا أدري
وكلماتي ...لا سواي يقرأها...
فإن متُ أنا... ماتت مع الزمنِ.
فهل ستبكي؟ هل ستبكي؟.

وما زلت أبحثُ عنكِ في رواية.

في عيني جاحظ العينين

انقلبت أموري مئة وثمانين درجة منذ أولى أيام الزواج... وأنا الذي كنت أشبع نفسي من ملذات الحياة...

أخذت أنظر لحياة تتنصل مني... وانتسبتُ لحياةٍ أخرى...

حياتي تنسل من بين يدي... وتستبدل بحياة أخرى...

تبددت احلامي...

احلام أي شابٍ يريد أن يسافر... بدت الأحلام بعيدة المنال كل يوم... وتبددت... وأنني كنت أعيش الخيال، وصدى الماضي وإنتظار قطار رحل...

سريعاً جاءنا الأطفال... ولدوا بلا فواصل ولا نقاط... جاؤا لأن المجتمع لا يعترف برجولتك بلا أطفال!

كلما زاد عدد أطفالك أثبت أنك فحل وقوي على السرير!

كان صديقي الجاحظ العينين يوماً يجلس مع رفيقه... تحمس جداً عندما سأله عني! فقال له:

"لا أنصحك بصداقته... أنه مجنون مفصوم الشخصية... زير نساء... لا يعرف كيف يدير شؤون بيته.

بيته يمتلئ بالفوضى... فوضى الأحاسيس... وفوضى الحاجة... وفوضى الجوع وفوضى المَتاع... كانت ملابس الأطفال في كل مكان...

ألعابهم المهشمة في كل مكان... كانت تحتل الأرضية وتحتل المقاعد فوقها وتحتها وبجانبها لدرجة أنك لا تجد لك مكاناً للجلوس"...

كان يشرح له واقفاً ويقفز بين زوايا الغرفة وهو يشرح له عن حالتي ويصف بيديه اماكن الأشياء المبعثرة ومشاعري المحطمة

كلماته السريعة تتلعثم وتسقط من فمه مليئة بالبصاق لشدة سرعته في نطق الكلمات وكأنه يريد أن ينطقها قبل أن تنفلت منه هاربةٍ تثير اشمئزاز رفيقه... ورغم ذلك تجاهل رفيقي جاحظ العينين المصاب بفرط النشاط في كثيرٍ من الأحيان هذه الأمور السخيفة... وركز على قصتي وكأنها حديث الساعة...

ثم أسرد وقال: " عندما يعود للبيت يحاول أن يسند جسده المرهق لشيء ما.... يبحث عن زاوية خالية من شيء إلا الفراغ ليجلس فيها ليرتاح... هناك في الخارج لا مكان له وسط فوضى العالم وهنا أيضاً لا مكان له وسط فوضى البيت...

يحاول أن يخلع عنه هذا الهم والثقل من ملابس عتيقه ملته وملها... ويضعها بجانبه وكأنه لا يريد التخلي عنها... فيبدأ صراخ زوجته بأنه يثير الفوضى...

صريخ وزعيق وشتم... كان في البداية يبادلها الصراخ ويجن جنونه ويكسر ما يجده أمامه... لكن نظرات أطفاله بدأت تثير حزناً عميقاً في داخله! أنهم لا يفهمون شيئاً...

لا يعلمون ما الأمر لكنهم يسمعون الصريخ ويرون الغضب فيرتعبون ويتكومون على أنفسهم...

أنه يورثهم التكوم على الذات أيضاً... فأصبح مع الأيام يتركها لتصرخ وحدها إلى أن تهدأ... أما هو فيتكوم وحيداً في زاويته الخاصة إن وجدها فارغة من الفوضى...

يتكوم بفوضى وحيداً وأحياناً يشاركه المكان طفله الصغير جداً الذي لم ينطق بعد، يحبو حتى يتكوم عند أبيه... وأحياناً لا يتسع المكان إلا له وحده فيبعد عنه أطفاله لكي لا يشاهدوا رجلهم وقد أصبح كومة في زاوية! وهو يلوم نفسه يومياً ويقول: كم أنا فاشل... كم أنا فاشل...

تتوالى الأيام والسنوات وكانا يمضيان معظمها لا يتحدثان...

كان الصمت والغضب وإشارات النفور تطغى على أجواء البيت يومياً...

كانا لا يتحدثان إلا مرات ضئيلة في فترات متباعدة...

كانت حياتهما الزوجية خالية من الحياة... مضاجعة باردة لا تكاد تبدأ إلا وتنتهي سريعاً وفي فترات متباعدة جداً حين تكون الزوابع قد ارتاحت من عصفها الكثير...

وفي الأيام القليلة التي كانا فيها يتحدثان أو بالاحرى تتحدث هي، كانت لا تتوقف عن الثرثرة... ثرثرة... ثرثرة... ثرثرة...

كأنها إذاعة ثورية تتحدث عن إنتصارات الزعيم الغبي الوهمية...

ثرثرة... ثرثرة... ثرثرة...

تثرثر بلا توقف... وكأن لا شيء حدث قط...

كأنهما على وفاق تام... وكأن شيئاً لم يكن...

كأنهما لم يختلفا قط... لم يتشاحنا... لم يشتما بعضهما بعضاً...

لم تتصرف بأنانية إتجاهه ولم يتعمد التعامل معها بخشونة...

صحيح لم يقم بضربها ولا مرة لكنه لم يكن يطيقها... وكأنهما أسرفا الكثير من جهدهما ووقتهما في كراهية بعضهما بعضاً لتتحول في بعض الأيام إلى هدنة غير مكتوبة وغالباً لظروف يحكمها الوقت... وسريعاً ما تنتهي الظروف وتعود الحياة لطبيعتها وفوضاها... للكثير من الصراخ والزعيق... للكثير من الفوضى... لكراهية لا حد لها".

إرتاح قليلاً ثم قال: " يَستيقظ وهو يلعن نفسه، أو يَلعن الوظيفة، أو يَلعن الحياة. يَستيقظ وهو سَئم كل السأم، ومُحبط، ومُتألم، لأنه لَم يمُت أثناء الليل"[1].

يستمتع هذا المسخ بفضحي أمام أصدقاءه...

١- هنري ميلر.

حلمٌ حين يرحل

جاحظ العينين... سألني كيف تتحمل هذا كله؟

قلت له: لا أعلم يا رفيقي... أظن أنني أحلم...

أتراني أحلم؟ أم أن الحلم أنا؟...

فما عدتُ إلا حلماً آخر أصحو منه كل يـوم لأعـيش الواقـع الـذي تغيب فيه الأحلام!

أتراني أصحو؟ أم أن الإستيقاظ من هذا النوم الذي يبـدو كـالموت ليس إلا حركةً خاويةً من حياةٍ وخاليةٍ من نكهة العيش!

فأسير في الروتين نائماً وأنام في السير وكأنني ميت...

أتراني أنا؟ أم قد متُ منذ سنين طويلة ولا شيء هنا إلا البقايا تنتظر الدفن...

بقاياي في ثلاجة المـوتى بـلا عنـوان... تنتظـر تابوتهـا النهـائي... وحفرةً في الأرض تتحمل هذه البقايا وتحتضنني...

أتراني ميتاً وروحي تحوم... وتحوم... وتحوم...

تنتظر شكلاً أو هيئةً للحياة!

ولا شيء هنا يغري... لا حياة.

قال لي: دع حلمك يرحل حينما لا يتحقق... دعه يستريح من رفقة تفكير أرهقته المسافات الشاسعة بين الواقع والخيال...

دع حلمك...

دعه يطير حراً... دعه وأنت تسجنه لأجلك لا لأجله...!!!

دع حلمك يذهب... فإن عاد إليك فقل له مرحبا أيها الآتي باسم الحق...

قلت له: نتكلم كثيراً عن الحلم... فهل الحلم نومٌ يا رفيقي أم هو الخيار الآخر الذي لم نصل إليه؟

قال لي: الحلم رفيق حياتنا... أنت تولد وأنت تحلم أنت تعيش وتمارس الحياة وأنت تحلم أنت تفارق نفسك نحو حياة أخرى لا تعلم عنها شيئاً وأنت تحلم...

الحلم هو العيش فوق التصور، أن تعيش شيئاً لا قدرة لك أن تعيشه...

أن تبلغ المنتهى وأنت في الخطوة الأولى...

أن تلامس الثريا وأنت تحبو فوق الثرى...

أن تفارق حدود فكرك الضيق وتعيش المبتغى.

لا تتعب أمام الناس
لا تبكِ أمام الناس

لقد مللت رتابة حياتي... لكن هذه الرتابة هي التي تؤمّن للبيت الخبز ثلاثين يوماً في الشهر، وتؤمن الدجاج واللحم أربع مراتٍ في الشهر، ودفع الفواتير ودفع الإيجار واصطحاب الأطفال للطبيب وشراء الأدوية والمواصلات من وإلى العمل...

ثلاثة أو أربعة أيام ويتبخر الراتب كبركة ماء سَلطت عليه أشعة الشمس غضبها... وأمامها بحار الأرض ومحيطاتها!

تفكيري كتفكير كل المؤمنين بأن الغد أفضل... ولا يأتي إلا الأسوأ.

مع الأيام إكتفيت من تفاؤلي... وأصبحت كمعظم الناس... الآلات بلا مشاعر!

يومياً ما عدا أيام العطل أذهب إلى عملي متعباً وأعود منه مرهقاً...

راتب قليل وعمل كثير... تستهلك الحافلة المتهالكة التي استقلها ذهاباً وإياباً للعمل جزءاً لا بأس به من راتبي... ومن حياتي... تستهلك أيضاً ملابسي العتيقة... فيتمزق هذا القميص ويثقب هذا الحذاء وتظهر بقع على بنطالي... وأنا لا استطيع أن اشتري شيئاً جديداً... بل أُرقّع الموجود عسى أن يستمر بعض السنوات الأخرى.

يومياً... نموت على نفس الطريق ميئات المرات... وسائق الحافلة الأرعن يرى الواقفين على جوانب الطرقات "برايز"[1]... همه أن يُحمّل أكبر عددٍ ممكن...

يسيطر علي التعب في الحافلة فأذهب في غيبوبة وكأنني ميت...

أبدأ بالشخير... وصوت شخيري العالي يُزعج الركاب...

أصحو فجأة من صوت شخيري العالي... أراهم ينظرون لي بإشمئزاز... أشعر أنهم يكرهونني...

نظراتهم لي تنبأني بأنهم مصاصي دماء... يتمنون لو تُكتم أنفاسي... يرغبون لو أن ينقضوا علي ويشربوا من دمي... لكنهم يكتفون بالتمني لو أتوقف عن ركوب الحافلة معهم...

صوت شخيري يذكرهم بالبؤس... وهم يريدون أن يسمعوا أي شيء إلا ما يذكرهم بالبؤس...

هم معتادون على أصواتٍ... يستمتعون بها

صوت أزيز الحافلة وخشخشتها...

صوت صريخ وتهديد داعية يصدر من مسجل الحافلة يهدد الزناة وتاركي الصلاة والكفار بالنار... يطفئ السائق المسجل ويحول القناة

١- لقب عامي للعشرة قروش، وهي عملة معدنية أردنية تبلغ في وقت إنجاز هذه الرواية بحدود ١٤ سنتاً للبريزة الواحدة.

إلى إذاعة... استبدل بؤساً ببؤسٍ أكثر إزعاجاً... أنه صوت إعلامي يُمجد ويهلل لسيده ويذكرنا بعطاياه الكثيرة ومكرماته الكثيرة... حتى الهواء الذي نستنشقه مكرمة... وجودنا هنا مكرمة... حافلتنا مكرمة... بؤسنا مكرمة.

تستمر أصوات الإستمتاع...

أصوات بكاء أطفالٍ صعدوا للحافلة مع أهلهم فيزعقون من الحر ورائحة الديزل...

صوت قضم تفاحة لإمرأة تأكلها بنهم وتقبض عليها بكلتا يديها...

صوت هاتف نقال لا يكف عن طنين اشعارات "الواتس أب" بيد شابٍ...

صريخ رجلٍ مسنٍ أصّم يتحدث لأحدهم عبر هاتفه النقال...

وينصتون بتمعن لتحرشات شاب بفتاة في المقاعد الخلفية... يتمنون أن ترفع الفتاة صوت تأوهاتها... ولكنهم على استعدادٍ لقتل الشاب اذا ما انتفضت الفتاة غضباً عليه لأنه سارع في إشباعٍ رغبته متجاهلاً إياها بينما كان عليه أن يؤدي رقصة أصابعه ببطء...

كل هذا هم مستعدين للتأقلم معه لكنهم لا يحبون أن يسمعوا صوت التعب وقد تسلل على شكل نومٍ لإنسانٍ مثلهم!...

أن تصدر أصوات مزعجة من العالم المحيط بنا أهون عليهم من صوت شخير إنسان مُتعب... أما أنا فأستسلم للموت المسمى نوماً...

أعود للبيت أحياناً محملاً ببعض الأكياس وغالباً بدونها... أكياس بسرعة ما تنتهي محتوياتها في البطون الجائعة... وأنا أجر نفسي جائعاً وتعباً إلى تلك الزاوية التي لي في هذه الدنيا قبل أن تأخذني زاوية أخرى عند الموت...

أكل طعامي بارداً ناشفاً وسرعان ما يدب الأرهاق في جسدي... فأرتخي ويصيبني الخمول... وأنام ليس حباً بالنوم بل لأنسى وأرحل عن هذه الدنيا لأعيش أحلامي الضائعة...

أصحو على صريخ زوجتي... ثم أغفو... أصحو على توسلات أولادي باللعب معهم فأطردهم أحياناً... وأحياناً ألعب معهم...

بعض الدقائق... يزداد إرهاقي وينال النوم مني مجدداً...

وكان نومي سبباً لمشاحنات جديدة بيننا!

فماذا أفعل؟

الحل أن أترك البيت لأطول فترة ممكنة...

فقررت أن أجد عملاً مسائياً أبتعد فيه عن زوجتي الخشنة... وأوفر للبيت بعض المتطلبات...

بعد فترة من البحث المضني عن عملٍ... " وجدني وضاح!".

الأجساد المهجورة...

صحوت ويدي قد أصابها الخدر... جسمي كله مخدر لشدة ما شربت من الوسكي...

رأسي يؤلمني بشدة... معدتي...كل جسمي... لكن ما بال يدي لا أستطيع أن أحركها؟... فتحت عيناي بصعوبة... نظرت ليدي التي تؤلمني، كان هناك رأس فتاة صغيرة وشعرها الناعم الطويل يغطي وجهها مُلقاً كذبيحة على يدي...

أصابتني الصدمة...

من هذه الفتاة التي أنام بجانبها؟ وأين أنا؟

أه تذكرت لم أذهب للبيت... نمت في بيت شاء القدر أن يجتمع فيه غرباء بملذاتهم!... الماخور... ماخور وضاح... حيث أصبحت أعمل كرجل يبيع خدماته للنساء... هُنَّ يدفعن... وهو يقدم لهنّ ما عجز رجالهنّ عن تقديمه لهنّ...

نظرت للفتاه التي تنام بعمق وسلام بجانبي ورأسها ملقاً على يدي... تحضنني بشدة وكأنها لا تريد افلاتي... ورأسها الصغير جدا يجثم على يدي كأنه طن من حديد ... يا إلهي أنها صغيرة جدا لا تتعدى الثامنة عشر...ما الذي فعلته؟

أخذت أتأملها...

ما الذي قادها لحضن رجل غريب يكبرها الضعف ولا تعلم عنه شيئا؟

ما الذي قادها لتمارس هذا العمل وتحضر حفلات غرباء كأنهم ذئاب جائعة للحم النساء؟

أصابتني نشوة... ضحكت بشدة في سري... لقد كنتُ الذئب الذي فاز بكِ أمس في لعبة القمار... أنا من استطعتُ الحصول عليكِ... أنتِ فريستي... غزالتي التي سلبتها منهم كلهم وحظيتُ بها الليلة الماضية...

أهٍ... ما الذي أقوله؟ أنها طفلة ...ما بالي! ماذا فعلت بها؟ ليتني لم ألمس هذه "الملاك" ولم أمسها بسوء!... ألعل والدها باعها بلعبة قمار؟ أم الجوع الكافر من رمى بها في حضن ذئبٍ مثلي؟ هل بعثرتها رياح العائلة الممزقة؟ هل هذا ما سيحدث لعائلتي اذا تركتهم وهربت عنهم؟

لا أتذكر ما الذي حدث... فالمشروب ما زال يمنعني من التفكير السوي! رأسي يؤلمني بشدة وكذلك يدي...

أنظر لها مجدداً... أه يا ألهي ما أجملها! أنها أجمل من كل من مارست معهن! انها أجمل من زوجتي... أنها بريئة... أو لعل النوم جعلها بريئة... فالنوم يريح العالم من صخبنا، يريح العصافير من ضجيجنا... يريح الأرض من نفاياتنا... يريح الهواء من تلوثنا...

وأنا كلما أنام أريح جميع من يعرفونني...

فإذا كان النوم يريح العالم هكذا... فما بال الموت يبطء بالقدوم؟

لكن حينما يموت الموت لن يبكيه أحد... لـن يكفنـه أحـد... لـن يسير في جنازته أحد...لن يدفنه أحد... سيموت بصمت حيـنما ينتهـي من قتل مشاعر كل البشر.

أما هذه المسكينة... فماذا فعلتُ بها؟

أي جريمة مارستها مع هذه الطفلة؟

لقد كنت مع كثيرٍ مـن النـساء... بعـضهن أكـبر مـن زوجتـي... وقبيحات جداً...

وبعضهن من عمر زوجتي... ويبدو عليهن الكبر والقبح أيضاً...

هجر الرجال أجسادهن فأصبحن كالبيوت المهجورة...

أكوام من عظام على هيئة نساء... أجساد تـشبهُ النـساء... أعـضاء من حـزنٍ وألمٍ واحتيـاج... وجـوع للـذة... وأوزان مـن اللحـم ونهـم الأكل...ظناً منهن أن الطعام يشفي غليلهن... لكن لا شيء يحل مكـان مشاعر إنسان إتجاه إنـسان... لـذلك يـأتين هنا لهـذا المكـان... بيـت اللذة... ليحـاولن أن يجـدن المفقـود مـن لـذةٍ لا يـشعلها شيء بعـد... فتنطفئ الرغبة مع كل ليلـة يـصعدن فيهـا إلى هـذه الهاويـة... بعـضهن لأجل متعة، وبعضهن لأجل المال، وبعضهن لتمضية الوقت، وبعضهن لا لشيء إلا ليشعرن أنهن على قيد الحياة!

فبئس هذه الحياة الكئيبة... حياتهن وحياتي أيضاً.

ورغم كثرة البيوت... لكن هذا البيت فريد من نوعـه... هنـا تجـد النـساء يبحثن عن رجالٍ بمواصفات محددة ويدفعن لهم... مقابل الخدمة!

قـد تجـد بعـض الرجـال يبحثـون عـن فتيـاتٍ لخـدمات تقليديـة ويدفعون لهن... لكن الأغلبية من الرجال يتحاشون هذا البيـت لـسوء سمعة الرجال المرتادين لهذا البيت!

قُلبت الموازين... في هذا البيت!

حتـى الكثـير مـن الأجانـب في هـذا البلـد أخـذوا يرتـادون هـذا المكان... لقد منحناهم دخولية مجانية لبؤسنا وحزننا.

ورغـم ذلك، فهـذا البيـت الواسـع كـان في أرقـى منـاطق المدينـة، ومعظم مرتاديه من الطبقة المخملية!

لكن هذه الطفلة!... لماذا جاءت؟ لأي الأسباب أتيتِ أيتها الطفلة هنا... وأنا... أي الظروف حكمت لأعيش هذه الحياة المقرفة!

"لم يخذلني أحد قط كما أنا خذلت نفسي..."[1]

يحسدني صديقي الجاحظ العينين على كثرة النساء اللواتي ألتقيهن...

يظنني ساحراً... مشعوذاً... عرافاً، أجلبهن إلي بكل سهولة! أقهر قيود العشق وأكسرها ببعض الفلسفة وبعض الطلاسم والبلبلة... ولا يدري أنني أنا الضحية!

الحب لا يدخل معركة إلا وبيده مقاليد الربح وباليد الأخرى المقصلة، فإما أن يربح وإما أن يَقتل.

قلت له ذات مرة بأنني أشتاق لجماع البرق مع الرعد... فينجبان المطر... أنه صوت الجماع الوحيد الذي يثيرني.

مللت مضاجعة الكثير من النساء... لأن القلب يتعب من كثرة تدفق الدماء.

أما هذا الماخور فلا يثير فيّا شيء... إلا القرف.

أيها الماخور.... أيُّ عالمٍ أنت فيه؟ أم أنك العالم وكل شيء يدور حولك؟

رجالٌ في منتصف العمر... كهول... شباب... طاعنين في السن...

في المقابل نساء طاعنات في السن... ونساء في مقتبل العمر...

ويخدم هذا الحشد الجائع للإشباع بعض البنات المرتعبات من نزوة رجلٍ سكير... يخدمن سكارى بعضهم فقد عقله من احتساء أقداح الوسكي

١ – خوف خلف الأقنعة، أشرف الضباعين.

والفودكا والجعة والعرق وأنواع أخـرى... وبعـضهم فقـد عقلـه مـن احتـساء أقداح الألم والحزن ومحاولات يائسة لأشباع بطون الرغبة...

تلك البطون التي لا ترتوي قط وكلما حاولت أشباعها جاعت أكثر وأكثر.

معظم النساء هنا زبائن... ومعظم الرجال هنا مؤدو خدمة...

بعض هؤلاء النسوة... لسن ماجنات وبائعات هوى... كثير منهن سيدات أعمال ناجحات... أكاديميات... ربات منازل... بعضهن يأتين هنا لإشباع حاجة عندما أفتقر رجالهن للقدرة عـلى منحـنهن الـدفء في السرير... يـدفعن... يأخـذن حـاجتهن مـن حقـن الحـب والرغبـة... وأحياناً من حقن المخدرات أيضاً... ثم يرحلن...

لهؤلاء من النساء أتيت أنا... أتيت لأبيع نفسي مقابل بعض الدنانير...

فقط نلتقي.. نتضاجع... ويذهب كلٌ منا إلى حياتـه وكـأن لا شيء حدث... وأعود للبيت ببعض الأموال التي تسد حاجيات البيت والتي لا يستطيع راتبي أن يجـرؤ عـلى التفكـير بهـا... هـذا إن عـدت بـبعض الأموال... أحياناً أخسرها في لعبـة قـمار... أو أضـاجع بهـا فتـاة فقـيرة تنتظر دورها ولم يأتِ أحدٌ ليأخذها... فأمنحها الأخـرى جـسدي ومـا ربحته من بيع نفسي... فأعود متعباً فارغ اليـدين وأرتمـي عـلى فرشـتي منهكاً بجانب زوجتي المنهكة من الأطفال!

أحياناً ألتقي أكثر من مرة مع نفس المرأة التي تغدق علي الكثير مـن الأموال... لكن في مرحلة ما... تمل مني... تشعر بالملل والرتابة، وطالما

يتوفر لها عدة خيارات ومالها متوفر يهتم وضاح صاحب البيت بالزبونة ويمنحها رجلٌ جديد ... وعندما تختار التغيير لا يهمني، المهم أن لا ينقطع تدفق الأموال...! لذلك يختار لي وضاح سيدة أخرى قادرة على الدفع! وطالما أنا قادر على العطاء، فأنا حبيب وضاح ومتى تعبت يتجاهلني ويبحث عن رجل آخر قادرٌ على المنح والعطاء!

نساء... ثم نساء... ثم نساء وكنت أضاجعهن ليلاً وأكذب عليهن بمشاعر سطحية... وفي النهار أتخايلهن بأشكالٍ مرعبة وأشعر بالغثيان... كنت دائم التفكير بهن ولا ينقطع تفكيري بواحدة إلا عندما تحل مكانها أخرى...! مارست هذه العلاقة مع نساء كُثر إلى درجة لا أذكر فيها أعدادهن... ولا أذكر أشكالهن... ولا أسمائهن... ولا أجسادهن... أذكر الأموال التي أخذتها أخر الليل من وضاح عندما يقسم المبلغ مناصفة بيني وبينه.

ما يدميني حقاً أن بعض الزبونات أرقى من أن أشاهدهن هنا...

ما الذي يجعل امرأة لا ينقصها شيء تبحث عن علاقة مع رجلٍ مثلي؟ معظم هؤلاء النسوة اللواتي لا أعرف أسماءهن يأتين بحثاً عن علاقة سريعة أو بطيئة... رومانسية أو شرسة... مع رجل أضعف من أن يكون رجلاً... لكنه يمتلك ما يردن... وهن يمتلكن ما يريده.

ما الذي يجعل نساء صغيرات أو كبيرات في العمر، يبحثن خارج بيوتهن عن الملذات المحرمة... ومع من؟ مع شخص مثلي... لا يمتلك كرامة فيبيع نفسه...

وفي كل مرة أبيع نفسي أفقد جزءاً مني... في كل مرة استسلم فيها على سرير الرغبة أفقد شيئاً من رجولتي... من كينونتي... كأنهن الرجال وأنا الأنثى... نتبادل فعل الخطيئة!!

أهٍ أيها العالم... عندما جاء دوري تغيرت الأمور... ياه يا حظي التعس حتى بهذا الأمر أنقلبت الأمور!!! ما هذه العلاقة غير المنطقية؟ أنثى تشتري رجلاً... من قلب موازين الدنيا ليبيع الرجل نفسه؟ هي تمارس القوة وهو ضعيف يترك لها أن تنهشه نهشاً إلى أن تأمره بأن ينهي هو العمل!... فيمتثل للأوامر!... علاقة لا يوجد فيها تبادلية أو تناسق... علاقة لا حب فيها ولا رعشة.

الزواج بدون حب يشرعه رجل دين، أما بيع الجسد فتشرعها الحاجة... لكن بماذا تختلف هذه العلاقات العابرة عن علاقتي بزوجتي؟ كلاهما فعل بلا حب!

كنت أظن أنني الرجل الوحيد الذي هجر زوجته! لكننا في وطنٍ هجر فيه الكل.. الكل الأخر...

هجر البشر أنفسهم...

هاجرت الطيور ولم تعد بعدها لأن الربيع لم يعد ...

هجر الحب ورحل...

هجر المساء وبقي الليل الطويل...

هجر الجميع كل شيء فأصبحنا أجساد تشتهي فقط...

لا شعور لدينا إلا الشهوة... فإن كُنتَ تملك مالاً تشتريها، وإن كنت مفلساً فلا طريق لك إلا أن تبيع نفسك لمن يشتريك... ما عادت أحاديث الناس الإعتيادية تجري هنا... هنا فقط مواعيد في الخفاء... أجسادٌ تباع وتشترى... ورغبات منثورة في البيوت وفي الفنادق وفي الحانات وفي الشوارع والبيوت المهجورة وفي السيارات وفي الغابات القليلة المتناثرة هنا وهناك... وحتى في العمل... وفي الأحلام... في كل ساعات النهار والليل... في كل مكان وفي كل الأوقات.

في الماخور... أرهقتني كثرة الطلبات، وصاحب البيت " وضاح" الذي نجتمع فيه يقول لي أنني مطلوب من كل أنواع النساء! وأن كل سيدة تخرج راضية تجذب معها أخريات... وأنهن كلهن يطلبن ذات الشخص!... أنه أنا... يا لفخري!!! ثم أن وضاح قوّاد يتابعني كأنني أنثاه التي يبيعها للرجال! صرخت به يوماً أن يتركني وشأني... لكني عندما أفلست عدت له راجياً أن يجد لي مكاناً في الماخور... ومع النساء اللواتي يدفعن الكثير من الأموال... وأن ينسى عني النساء البخيلات وإن كنَّ جميلات!

أصبح الماخور شيئاً أساسياً في حياتي... أصبح المكان الذي استطيع أن أفكر فيه بحرية دون أن يقاطعني زعيق زوجتي وتدخلات زملائي في العمل أو تشنجات الشارع... المكان الذي استرخي فيه حينما لا أكون في لقاءٍ حميمي تمثيلي مع إحداهن... كأنه بيتي الثاني!

عرفت الماخور من خلال زميل عمل جاءه مرة كزبون وجرني معه جراً لكي يرفه عني كما ادعى... فإلتقطني وضاح كأنني هدية من السماء... كأنه يعرفني منذ مدة طويلة... أما زميلي فترك الماخور وهو مشمئز من رجاله، وأبقاني هناك سلعة... هربت بعدها... فما كان من صاحبي الجاحظ العينين إلا أن جرني جراً للماخور... ثم لامني على أنني أبيع روحي للشيطان مثل " فاوست"...

يا صاحبي الكريه... يا أنا... أكرهك بشدة... أكثر مما تتصور.

الفتاة إياها

أما هذه الطفلة التي بجانبي فمن هي؟

هذه الطفلة التي تنام على يدي وليست هي هدفي؟ ليست هي من أستهدفها! مستحيل أن تكون قد دفعت للحصول على رجلٍ متهالك الرومانسية مثلي يكبرها كثيراً... فما هي قصتها؟ ما هي قصتها؟

يوماً ما ستكشف قصتها... قصتي وقصصنا كلنا!

أهٍ... الأن تذكرت! لم أضاجع هذه الفتاة... شعرت بإرتياح شديد!

إنها المرة الأولى التي تأتي فيها إلى هذا المكان... نعم لم أشاهدها هنا قط...

وعندما أتت كانت تنظر لي طوال الوقت... عيناها كانتا تتبعانني في كل مكان... كأنها تقولان لي... خذني! جاء إلي وضاح وقال لي أنها تأتي للمرة الأولى وأنه يجب علي أن أخذها لنفسي!!!

ذهبت إلى حيث كانت تجلس وحولها جموع الذئاب تعوي... إقترحت عليهم أن يتركوها وشأنها...

كنتُ قد ضاجعت ثلاث نساء لأحصل على بعض المال... واقترح أحدهم أن يأخذها من يربح في لعبة قمار... رشوت الجالسين بإنتظارها لأربح... فربحتها وخسرت أموالي كلها، لا بل سجلت لوضاح ديناً لمدة ثلاثة أيام... وأخذتها لإحدى الغرف وهي تبكي وترتجف... قلت لها واتذكر ذلك جيداً أنني لن أمسها بسوء وأنها يجب أن تهرب غداً صباحاً إلى بيتها... أن تعود كما أتت بدون أن تفقد دماء لأجل رجلٍ لا يحبّها!

ضحكت حين قُلتُ لها هذه الكلمات... كانت ضحكة طفلة بريئة... قُلت لها: الدماء لا نفقدها إلا لمن نُحب... لا تفقدي دماءً عزيزةً لأجل رجلٍ رخيص. كانت تنظر معظم الوقت للأرض وأنا كنت أشفق على هذه المسكينة الخجولة...

يومياً في هذا الشرق تفقد الكثير من النساء الدماء في سبيل رجالٍ لا يحبّوهن... وهن كذلك لا يعشقن رجالهن...

مارسنا الحديث لا أكثر...

اسمها سيرين... تبادلنا الأحاديث طوال الليل...

كانت تسألني عن كل شيء... حياتي.. عائلتي.. عملي.. بدت فضولية كثيراً، لكن شعرت أن الفتاة تريد أن تشعر بالأمان معي لذلك كانت تسألني عن أبسط الأشياء وعن أعمق الأشياء... وكأنها تريد أن تصبح جزءاً مني.

تحدثنا طوال الليل إلى أن فقدنا الوعي ونمنا هكذا...

لم أعرف عنها الكثير لكن حاولت على الأقل أن أنقذ هذه الطفلة من براثن ليلة ماجنة في ماخور يمتلئ بالسكارى... أما غداً صباحاً فسأجعلها تهرب... ستكون حرة... عصفورة...

أول مرة أمارس فيها الخير منذ مدة طويلة... أهذا هو طعم الخير؟

قال لي صديقي الجاحظ العينين: وهل هربت؟

- نعم، لقد أطلقتها خارج البيت بالسر والكل نيام مع ساعات الصباح الأولى، مع زقزقات العصافير الغافية... لو عَلِمَ وضاح بفعلتي لقتلني، لكان كان البيت في ساعات الصباح الباكر خالياً من رقابته الحثيثة... وأنا بعدها أطلقت ساقي للريح ولأول مرة شعرت بأنني مرتاح الضمير.

- وكيف عرفت أن لك ضمير؟

- من جيوبي الفارغة يا صديقي.

- دوماً هي فارغة، فما الجديد؟

كانت كلمات صديقي الجاحظ العينين البارع في إعداد الأرجيلة ترن في مسامعي فهو لا يجامل ولا يمارس صداقة عابرة... دائما يذهب لنقطة لا عودة فيها في الكلام... لم يعتذر أبداً عن كلماته القاسية... وأنا لم أطلب منه يوماً أن يعتذر... لم يكن يقدم نصيحة... كان فقط يقول ما في قلبي... وأنا كنت فقط استمع له... كلماته الجارحة تشعرني أنني على قيد الحياة لأنها تفعل فيّ ما لا تفعله مدائح الأخرين وثناؤهم.

صديقي الوحيد... أكرهك بشدة

يكون حاضراً عندما أرتبط في نفسي... ويكون حاضراً عندما أغيب عن نفسي...

كان حاضراً في مولدي... ويكون حاضراً حتى في المضاجعات التي أجريتها بيني وبين من ارتبط معهن لمرة أو مرات...

يعدُ معي الأموال التي أخذها منهن... ويكلف نفسه أحياناً بأن يعد الحيوانات المنوية التي أهدرتها عليهن...

ينبهني بأن لدي المقدرة لأنزف المزيد... أو التوقف ليكون لي قدرة العودة إلى البيت!...

أحياناً أشعر بقسوته وسطوته... وأحياناً أشعر بأنه بمثابة أبي وأخي لشدة حنانه...

كنت أحياناً أبكي فيلومني... يقول لي أأنت أنثى لتبكي؟ وأحياناً كان يحثني على البكاء ويضمني إلى صدره... فأشعر به يحطم ضلوعه ليدخلني إلى مقر القلب...

يلومني على التعب مبكراً أحياناً... وأحياناً يلومني على أخلاقياتي المتواضعه.

يضعني في حيرة وأحياناً يضعني أمام خيارٍ وحيد... قلت له: أنتَ ملك التناقضات... فهجاني بأنني لا أخلاق لي...

وما الفرق؟ هن بعن أجسادهن لأجل المال... وأنا أبيع جسدي لأجل المال...

لطمني...

لأول مرة مد يده وضربني... هزني بشدة... هزني وكأنه يعيد لي كياني المسلوب... فكدت أصحو ولا أصحو وأقول له: نعم... نعم... أعرف أنك تعد الأموال لأجلي... وتقسّمها لأجلي على حاجيات البيت... أنت من تدير الأمور غالباً... شكراً جزيلاً...

هذا هو جاحظ العينين!

أقول له: أنا أبحث عن نفسي الضائعة... أن وجدتها أرجوك أرجعها إلي...

كنت حين أنظر للناس في الشوارع وفي الماخور وفي الروايات التي قرأتها كنت أقول لهم... أن وجدتموها... نفسي الضائعة... أرجوكم أعيدوها... أرجعوها إلي.

ولو أنني أعيش حياة طبيعية... خالية من الحزن والألم... خالية من العاهرات... ومن عهري... خالية من الوسكي والجعة والفودكا والعرق ومن كل شي... خالية منك يا صديقي جاحظ العينين...

لو أنني فقط أستطيع العودة إلى الماضي ... وأمنع نفسي... لو أنني أخترت طريقاً غير طريقي هذا!

أأخبرتك يا صديقي كم أكرهك؟ لكن أخاف منك بعد هذه اللطمة أن تقتلني...

أشكرك يا صديقي لأنك تعد الأموال وتقسمها لأجلي على حاجياتي؟

شكراً يا رفيقي... شكراً...

أأخبرتك يا رفيقي أنك أخـذت قلبـي بـروازاً لـصورتك؟ لكنـك نسيت أن الزجاج مكسورٌ، فلا تلمني بعدها قـط! لا تلمنـي أن أصـاب أصبعك مكروه إن قررت لمس البرواز... أو إن خدش قلبـي صـورتك ببعض الحياء... لقد نبهتك وقلت لك أن الزجاج مكسور.

أأخبرتك يا صديقي كم أني أكرهك؟ أنا أكرهك بـشدة... وأنـا لا استطيع التخلي عنك!

ماخور الحياة

كان الماخور بيتاً راقياً... كبيراً جداً... بيتاً واسعاً بطابقين.

الطابق الثاني كان يتكون من غرف نومٍ كثيرة... وكل غرفة نوم تحتوي على أفضل سبل الراحة...

سرير مزدوج ضخم بملاءات نظيفة وراقية، ثلاجة صغيرة فيها أنواع مختلفة من المشروبات ولوازم المازة، لوازم الخدمة، مرايا في كل مكان، حمام واسع وكل المرفقات التي يحتاجها الزبون... لقضاء أفضل الأوقات.

كان وضاح دقيق جداً في إنتقاء سبل راحة الزبائن، لذلك كانت الغرف تتميز بأنها أفضل من فنادق راقية كثيرة، لذلك كان زبائن البيت من الطبقة الراقية القادرين على الدفع.

أما الطابق الأول فكان عبارة عن صالون واسع جداً وضخم وتتوزع فيه الكثير من الطاولات التي تحيط بها مقاعد من الجلد الراقي وفي إحدى زوايا البيت بار بسيط المظهر... كان وضاح يسعى لأن يظهر هذا الطابق بمظهر البيت... لا كماخور أو مطعم أو بار... كان البيت للوهلة الأولى يظهر كنادي للأثرياء... كصالون للطبقة الراقية، كفيلا لأحد الأثرياء وهناك يجتمع الأصدقاء لتدخين السيجار أو النرجيلة ولإحتساء بعض أقداح المشروب ولقاءات تتسم في أولها كأنها لقاءات جادة... لكنها لم تكن سوى لقاءات لعقد صفقات من نوعٍ مختلف.

وكان خارج هذا البيت لوحة فسيفسائية لفتاة عارية تسقي شجرة كتب تحتها باللغة العربية " بيت الحياة"...

بيت الحياة هذا هو مقر عملي المسائي...

هنا اتخذت على نفسي وعد في كل ليلة أن أعود لزوجتي ببعض الدنانير وكان هذا كفيلاً بإسكاتها وتلبية احتياجاتها...

هجرتها في الفراش لكن الأموال حلت مكاني... مع الوقت بدأت أحوال البيت بالتحسن... ملابس الأولاد الرثة حل مكانها ملابس جديدة وألعابهم المكسورة رحلت وحل مكانها ألعاب جديدة... ملابس زوجتي تغيرت... شعرها المنكوش أصبح مؤخراً مرتباً، ومع ذلك كلما رأيتها أرى وحشاً أمامي... أتذكرها وهي تصرخ وتزبد فأشعر حينما أضاجعها كأنني أضاجع رجلاً... ويضاجعني!

كيف تلومني يا جاحظ العينين على هجري لها في الفراش؟

كان المال الإضافي كافياً لسد احتياجات البيت... كافياً ليحقق هدوءاً وسلاماً في البيت ولكن ليس في أعماقي... صديقي جاحظ العينين ضحك يوماً وقال لي: المعروف أن المرأة تبيع نفسها وليس الرجل.

- هذا في الماضي أما الأن فكل شيء يباع ويشترى... النساء والرجال والأطفال والمبادئ والأخلاق وحتى الدين.

- وهل تكفيك بعض الدنانير؟

-أعتقد أن بيعي لذاتي بإرادتي أفضل من أن أبيع زوجتي... رغم أنني أكرهها لكني رجلٌ شرقي لا أرضى أن أبيع شرفي...

-بعت يا صديقي كرامتك... كرامتك مقابل الشرف

أصابتني كلماته بالصدمة... نعم أنه صادق... بعت كرامتي ولم أبع شرفي؟ لكن ما الكرامة وما الشرف؟ أنهما مبدآن نسمع بهما! هل هما قاعدتان رياضيتان؟ سهل أن نقول أننا كسرنا قاعدة ولم نكسر أخرى... لكنهما قاعدتان.

- بعت يا صديقي جسدك...

يوماً ما جلست منهكاً مع وضاح صاحب الماخور، وقد أعد لنا كأسين والأرجيلة ودعاني للجلوس لنتحاسب...

- كم جمعت هذه الليلة؟

- ١٠٠ دينار، ما هذا يا رجل... هذا مبلغ قليل مقارنة بالأيام الأخرى.

- أسف... لم استطع أن أمارس أكثر...

- هاك حصتك... ٥٠ دينار.

- عددت المبلغ ووضعته في جيبي....

- لماذا لا تحاول أن تمارس أكثر؟

- أمجنون أنت؟ لم أعد استطع أن أقف على قدمي يا رجل... أي رجل يستطيع أن يقوم بما أقوم به ويومياً؟

- المشكلة يا صديقي أن احتياجات هذا المكان مكلفة ولا تنسى أن كل ما تحتاجه من لوازم أمنحك إياه بالمجان!

- وأنا أمنحك ٥٠٪ من تعبي مجاناً.. دون أن تتعرض لما أتعرض له... نحن متعادلان.

أخذت جرعة التاكيلا بسرعة وسألته

- كيف تتعرف على هؤلاء النسوة يا رجل؟ يومياً أشاهد نساء جدداً... وأشاهد أجانب أيضاً رجالاً ونساء.

- تعيش هذه المدينة يا صديقي على صخب العمل والحياة في الصباح، وعلى صخب التعاسة والشقاء ليلاً! الأغنياء لهم همومهم وكذلك الفقراء... وتنشأ بينهم علاقة تبادلية في الأشياء... علاقة نفعية... منها اشباع الرغبة.... الأغنياء بحاجة لأشياء معينة ويدفعون لها... والفقراء يحتاجون لأشياء أخرى ويعملون للحصول عليها... وهذا البيت بمثابة السوق... عرض وطلب... لذلك لا تسعيرة محددة هنا يا صديقي.

- ولكن لماذا الجنس يا صديقي؟ ولماذا زبائنك معظمهم من النساء؟

- لأن لا بيت في هذه البقعة من العالم يستطيع تلبية رغبات النساء! كل البيوت هنا للرجال... فقررت أن أعكس الأمر وأرى ماذا يمكنني أن أعمل في بيت مخصص لتلبية رغبات النساء! بيت أنيق وجميل وواسع وفي مكان راقي.

- وكيف حدث هذا؟

- للرجال يا صديقي شهواتهم وللنساء أيضاً رغباتهن... في الصباح ما أن يخرج أحدهما أو كليهما من البيت تبدأ ترتيبات المواعيد... والوسيلة هي الهواتف الذكية ... لذلك عندما تخرج صباحاً من بيتك ستشاهد كل الرجال وكل النساء منهمكين في هواتفهم أو يبحثون فيها عن شيء ما يفتقدونه... ينظرون لهواتفهم بشغف.. بأمل.. بنشوة... برجاء... برغبة.. بإنتظار شيء ما! حتى الفقراء أصبحوا يملكون أحدث الهواتف الذكية التي حصلوا عليها بالتقسيط أو مستعملة للحصول على مواعيد... وأنا صاحب مصلحة عرفت ما يحتاجه السوق وأعمل كوسيط لتلبية احتياجات الزبائن.

- صدمتني...

- لماذا صدمتك؟ أتنكر أنها مدينةٌ باردة...

- المدن الباردة لا علاقة للرياح بها... أنها مدينة الغبار... فالمدن الباردة ممنوعة من الحب... والسبب هو تجمد مشاعر الناس وبلادتهم... يهتمون بطقوس نومهم وأكلهم... وبشعوذات حوريات البحر أو حوريات السماء... هؤلاء ما عادوا يعرفون ما طعم شفاه الحبيب ولا مذاقها... المدن الباردة لا تعرف الحب.

- أي حب يا تميم؟ أنت تتحدث عن ترف.

- ترف؟ قد يكون ترف بالنسبة للأغنياء، لكن الفقراء ما زالوا يعشقون... لذلك ترى عمان الغربية بعيدة عن الحب، وعمان الشرقية تمتلئ عشقاً.

- من قال لك هذا؟ الفقراء يشتهون كما الأغنياء، والأغنياء يشقون كما الفقراء...
- نعم لكن الفقراء يعشقون... يا وضاح.
- الحب لا علاقة له بالأماكن أو الأموال... " قد تبينت أن الإنسان يشقيه فرط الغنى، كما يشقيه جهد الفقر"[1] فالشقاء للجميع والعشق للجميع.
- لكن لا أرى فقراء كثيرين هنا... أعتقد أنك لا ترحب بالفقراء يا وضاح.
- نصف زبائني فقراء...
- لكن الفقراء لا يدفعون!
- ومن قال لك أن كل لقاء يكون نهايته دفعاً مادياً؟ أحياناً من يستطيع تقديم خدمة أفضل من الذي يدفع... والخدمات هي ما جعل هذا البيت يستمر ولا يُغلق... العلاقات العامة هي ما يجعل هذا المكان يتطور... أنا أخدم كل من لي مصلحة معه حتى أجعله في الأخر يخدمني هو أو هي.
- لماذا يلتقون أيضاً؟
- هناك من يريدون فقط التواصل لأجل شيء يظنونه حباً...هروب من الواقع... يريدون أي وسيلة إتصال مع عالم خارج عالمهم... أن يخرجهم من بؤسهم... بالصوت والصورة... بالوهم أو في الحقيقة... بملابس أو بدونها... بالمال أو بالمجان... الكل منهك في محاولة الخروج من دائرته المغلقة، لذلك هم منهكين في هواتفهم...

١ - شكسبير " تاجر البندقية".

الجميع جائع للرغبة... نهم للجسديات... ورثنا كبت المشاعر وإخفائها بالعديد من الأقنعة... لكن أباءنا الذين أورثونا هذه الرغبات لم يورثونا سبيلاً لكبحها أو لعلهم هم لم يعرفوا سبيلاً لها... حتى الجنة جعلناها جوع لكل شيء جميل حرمنا منه على الأرض... أنا أرى حاجات الزبائن وأقدمها لهم مقابل خدمات تقدم لي أو أموال... أي شيء... لا أمانع أي شيء.

- أنه فعل خيانة متبادل... أنت يا وضاح شيطان متحرك.

لم يُجب وأنا لم أنطق...

أخذت أفكر يا ترى هل زوجتي تمارس أثناء أنشغالي بجسد آخر غيرها فعل خيانة؟.

كان يسكب التاكيلا في كأسينا وأخذنا نجترعها بجنون ونرجيلتنا تمتصنا وقد سرح كلٌ منا في عالمه... في خيانته!

أخذت أفكر... الخيانة لا يهم شكلها... تبقى الخيانة خيانة! لا يهم أن تكون كاملة أو جزئية... فعلية أو وهمية... حقيقية أو رمزية... تقريبية أو تشبيهية... سوية أو مثلية... مدفوعة الثمن أو مجانية...

عندما تخون فأنت تخون ولا يمكن أن تُسمى أي شيء آخر...

وعندما تخون تظن الناس جميعاً يمارسون الخيانة فتبرر لنفسك الخيانة... ويمتد هذا الفعل في الناس ويتوسع... أو لعلي أبالغ في الأمر كثيراً لأبرر فعل خيانتي!

البخلاء في مشاعرهم، هم أكثر الناس بؤساً في حياتهم...

جلست في ذلك الماخور مساءً أنتظر اختيار إحداهن لي... كم أكره هذا الإنتظار!

أنتظر حدث يأتيني ببعض الدنانير... مال يهطل قليلاً وأنا أنحدر كثيراً...

لكن بخيلة هي الأيام على رجلٍ في منتصف الثلاثين مثلي... عادة ما يفضلن زبونات وضاح الرجال مفتولي العضلات ظناً منهن أنهم قادرون على منح الحب مرات ومرات في الليلة الواحدة، ليكتشفن أن هؤلاء ليسوا سوى مظاهر خادعة عن قوةٍ اسطورية لكنهم ليسوا سوى دمى أو كالأجهزة الصينية الصنع تتلف سريعاً وتُنهك من أول استعمال!... لذلك عادة أعود لبيتي أحياناً خالي الوفاض نتيجة ضياع ليلةٍ بلا رفيقة بسبب سوء اختيارهن، وأحياناً يتم اختياري لأنني صاحب خبرة ومقدرة على الإطالة فأعود للبيت بمئة دينارٍ وهو إن حدث يكون بمثابة ربع راتبي... والنساء اللواتي يتعرفن علي يقلن أنني أتقن ما يجهله مفتولي العضلات ولهذا كان وضاح يستبقيني رغم أنني أكبر "فاعلي الخير" عمراً...

ما زال من المبكر التقاعد من هذا الماخور.

وهأنذا أنتظر في المكان وسط جموعٍ من الرجال الذين أخذوا يعرفون هذا الماخور فيأتون ليأخذوا دوراً كلاعبين أساسيين أو احتياط

في حياة سيدات مجتمع يبحث هنا عن من يسدي لهن خدمات متعددة... أو ليأخذوا دوراً كأبطال في حياة صبايا صغيرات بالسن يدفعون هم لهن...

كل اللواتي ذهبن لم أخسرهن... هن فقط رحلن، وكل اللواتي أتين إلى هذا الماخور أتين ولم أربحهن... هن أيضاً سيرحلن بعد الإشباع الوقتي دون أن أخسرهن!

جاءت سيدة أربعينية في إحدى الأيام... كانت تبحث عن رفيق... رفيق حديث لا سرير... رجل تبوح له ما في قلبها دون أن يلمسها أو تلمسه... كانت سيدة راقية جلست مع وضاح وقالت له: لم أتِ لرجل...

قال لها: لدي ما ترغبين... انظري لكل من في الماخور وأي شخص رجل أو فتاه تريدين سأجعله أو أجعلها لكِ ساعة أو ساعتين أو يوماً كاملاً...

-أريد رجلا... فقط للكلام!

-كلام؟ ماذا تقصدين؟

-أريد أن أتحدث مع رجل دون أن ألمسه أو يلمسني... رجل يجيد الأنصات... رجلٌ يملك مشاعر وقادر أن يظهرها... رجلٌ لا يخاف أن يظهر دموعه أمام امرأة

-تقصدين السيطرة؟ أن يكون عبداً لكِ؟

-لا... لا علاقة لما أقول بالرغبات الجنسية... حديثنا انساني بحت.

لم يفهم وضاح مقصدها... هو لا يفهم إلا لغة الدنانير، وكيفية إعداد خلطات الكوكتيل، وإعداد وتنظيم الحفلات الماجنة، وترتيب المواعيد، وتقسيم الأموال بعدالة بعد أن يأخذ نصيب الأسد منها... هو يفهم في التخطيط والتنظيم والرقابة الجيدة على الماخور... غير ذلك هو لا يفقه شيئاً...

من بعيد صرخ يناديني... تعال... ظننتها الهدف القادم وأنا المنشود... أنها أربعينية... سوف تدفع ما يكفي لهذه الليلة... ذهبت بإتجاهها وما أن جلست حتى وقف... فنظرت إليه مستغرباً فهو عادة لا يغادر إلا بعد الإتفاق وأخذ الأموال مسبقاً... وها هو يغادر قبل أن نفتح التفاوض... قال مغادراً: السيدة تحتاج لمساعدة وأنا لا أفهم عليها جيداً... أرجوك انصت إليها وتفاهم معها ومتى وصلتما للسعر أبعثوا أحد الأولاد ليبحث عني ونكمل الإتفاق... ثم غادر سريعاً.

-نعم سيدتي... ما هو المطلوب مني؟

-أريد رفيقاً لهذه الليلة هنا أو في مكانٍ أخر... الليلة فقط... لا أريدك أن تلمسني أو أن ألمسك فقط نتحدث... أريد أن أبوح بما في قلبي وأريدك أن تنصت لي فقط.

-أعتقد أن وضاح أختار الشخص الغلط سيدتي... أنا هنا...

-سأدفع لك عن كل ساعة عشرين ديناراً.

-أنا موافق... جاهز لما تريدين أن تقولي.

وكأن كومة من الأحزان انفلتت في وجهي... بركان من الألم والبؤس والأهات انفجر أمامي... أعصار من الهموم والخوف باغتني... شيء لا يمكنني أن أصفه... سيدة تخرج مشاعرها منذ الطفولة حتى هذا الوقت إلى رجلٍ تجهله...

شيء جعل صدري يتشقق كتربةٍ جافة... شعرت بالجفاف.

كانت عندما التقيتها فارعة الطول وتضع ذلك الشال المزركش بورودٍ زهرية اللون على كتفيها تبدو كسيدةٍ أربعينية راقية... وكلما فاضت مشاعرها تتكوم على نفسها وتصبح أصغر وتتقزم وتشد الشال بيديها على صدرها كأنها ترغب أن تختفي أو أن البوح خطف الدفء من عروقها، كانت الورود الزهرية على شالها تذبل شيئاً فشيئاً... وكلما تحدثت كبر سنها وزادت تجاعيد وجهها وإبيضَّ شعرها...

لم استطع أن أشير لها بالتوقف رغم أنني شعرت بأن أثقالها قد رحلت عن صدرها وسكنت صدري وأنا المسكون بأثقالي لا احتاج لأثقالٍ جديدة تسكنني... كيف قبلت بعشرين ديناراً مقابل جهدي عصبي كهذا؟ ما أغباني...

أخيراً انتهى كلامها وتوقف تسونامي دموعها... ومسحتها مع بقايا المكياج... ونظرت لساعتها... فتحت حقيبتها... أخرجت ورقة بعشرين ديناراً... وضعتها على الطاولة... سحبتها بإتجاهي وقالت لي: شكراً... كنت أحتاج لرجلٍ أبوح له بكل هذا.

أخـذت العـشرين دينـاراً ووضـعتهم في جيبـي دون أن أنطـق بكلمة... أما هي فأخرجت سيجارة من حقيبتها وقلماً وورقاً ووضعت السيجارة في فمها واشعلتها وهي ما زالت تنظر لي: ألن تغادر؟ لا أريـد أن أدفع المزيد... سأطلب وسكي وأغادر... هيا أذهب من هنا.

ثم أخرجت قلم الحمرة ووضعت كمية هائلة عـلى شـفتيها... ثـم قلم كحلة أسود وضعت منه خطـاً عـلى عينهـا اليمنـى ثـم عـلى عينهـا اليسرى وهي تنظر لمرآة دائرية صغيرة...

خلال أقل من دقيقتين استعادت وضعيتها القديمة عندما التقيتها...

فارعة الطول... جميلة... أربعينة... ذات مظهر راقي.

- أنتِ مجنونة!

- نعم؟ ماذا تقول؟ كيف تجرؤ أيهـا الـوقح؟ لمـاذا أنـت هاهنـا... لقـد أعطيتك أجرتك... ولن أشتري لك قدحاً من الوسكي... أذهب!

أخرجـتُ العـشرين دينـاراً التـي أعطتنـي إيـاهم ورميتهـا عـلى وجهها... الغبية دفعت عشرين ديناراً لتبوح بكلامٍ لغريب، وظنـت أن قدحاً من الوسكي بعشرة دنـانير سيفلـسها... لا أريـد أموالهـا، رميـت ورقـة العـشرين في وجههـا وذهبـت إلى طاولـة بعيـدة جلـست عليهـا وحيداً... لقد نزعت مني ليلتي هذه الـسيدة الجوفـاء... والأكثـر أننـي سأعود بلا مال...

بعد قليل جاء الساقي ووضع لي كأساً من الوسكي مع الكثير من الثلج ووضع الورقة ذات العشرين ديناراً ومعها ورقة... نظرت لحيث كانت تجلس تلك السيدة... كانت قد غادرت، شتمتها في داخلي ...

قال لي الساقي: السيدة التي كانت تجلس هناك تعتذر لك وتركت لك هذا الكأس والعشرين ديناراً وهذه الورقة...

كانت ورقة مطوية مكتوب فيها: لم يخب ظني بك أيها الرائع، لكن سيجارتي انتهت وقدح الوسكي انتهى والوقت قد مضى فحان موعد ذهابي، كان بودي أن أبقى ساعة أو نصف ساعة لأخبرك أنني لست مجنونة وأن ما فعلته هو أجمل بكثير من ممارسة جنسية! نعم لم نشبع من الرغبات ولم نرتوِ من ملذات مكبوته... لكن دعك من الجسديات! أنا أنثى لا احتاج لرجلٍ يمارس علي رجولته بل احتاج لرجلٍ يسمعني... وكل الرجال في حياتي يتحدثون ولا ينصتون... يقولون ولا يسمعون... رجال بألسن طويلة وأذان صغيرة جداً... لذلك اعذرني حين قمعتك... فقد اعتدت أن أُقمع لا أن أقمع... شعرت بلذةٍ وأنا أمارس هذا الدور معك ونسيت أنك غريب وأنني أمارس هذا الدور مع الرجل الخطأ... أو لعل اعتذاري منك هو خنوع آخر مني... تذلل آخر مني لرجل آخر... لا أعرف! " الرجال يتمتعون بالحياة دون خوف ولا وجل، يصعدون إلى قمم اللذات ويهبطون إلى أعماقها غير ناظرين إلى ما يقال عنهم، أما نحن النساء فنراقب بعضنا بعضاً وننتقد

بقساوة جارحة ما نفعله حسناً كان أو قبيحاً"[1] والأن دعك مني! فإن الوقت معك يكاد لا ينقضي...لقد لفضتُ كآبتي بفضلك وهذا ما أريده... وأنت احتجت للمال وها أنا أعيده لك!

انتهت الرسالة... قمت بضمها بقبضتي ورميتها... انتهى بكاؤها وبدأ بكائي الداخلي... هناك في مقعدي وحدي.

دعوت النادل من بعيد... أعطيته العشرين ديناراً وقلت له: نصفها لك ونصفها الأخر لوضاح... أخبره ذلك...

وخرجت من الماخور... وهمت في الشوارع وحدي!

أأنا مستأجرٌ لقضية؟ وبمجرد أن أنتهي من فعلتي... أُرمى بعيداً...!

أأنا مستأجرٌ لفعل ما؟... نعم أنا كذلك... أنا كورقة شجرة أطير من حجرةٍ إلى حجرةٍ أخرى... هي كتبت قصيدتها وشربت كأسها ورحلت... انتهى ارتباطها المؤقت بهذا الماخور... وأنا أنصت لها وحملت منها الألم والوجع... وورقة بعشرين ديناراً... وكأس أنهيته... ورحلت عن الطاولة... ولكنني ما زلتُ سجين الماخور.

أحياناً أبحث عن هتلر خاصتي في الزوايا المعتمة في داخلي... أحاول أن احفز هذا الشر الكامن داخلي ليثور ويعمل هولوكست آخر في كل ما يحيط بي، لكن لا أجد سوى دون كيشوت ينتفض منقضاً على

---

١ – جبران خليل جبران " الرسائل التائهة".

طواحين هواء ظننتها للوهلة الأولى وحوشاً... أريد أن يستيقظ روميـو في داخلي لينتزع الحب انتزاعاً أو يتناول السم وينتحر تاركـاً الـدنيا ومـا فيها بعـد مـوت جوليـت... لكـن لا جوليـت موجـودة ولا الـسم ولا يستيقظ في داخلي إلا كوازيمودو فيثير اشـمئزازي واشـمئزاز كـل مـن يعرف حقيقتي.

-أنت حطام وإلى الحطام تعود.

تفاجأت بظهور جاحظ العينين هكذا! كالعادة يظهر فجأة ويختفي فجأة

- جاحظ العينين، أرأيت ما فعلت هذه السيدة؟

- كن رجلاً وأهرب من ماخورك...

- أهرب!! أنت متناقض أيها المشوه، ألم تطلب مني البقاء؟

- أنكر أنني دعوتك لشيء... لقد أطلتَ الحياة... ألم تمت يوم أرتطمت برائحة أنثاك؟ أم أن روائح النساء ما عادت تعنيك؟

وهم الحب... يباع ويشترى

مصطحات الحب ما عادت موجودة... كلها مرتفعات ومنخفضات.... جبال وأودية... وكلها جرداء... ما عاد الأخضر يغزو مرابع الحب، فالجبال جرداء والأودية قاحلة...

أيها الحب لماذا لا تزورنا؟ لماذا الغيوم تأتي وترحل... ولا تمطرك؟

لماذا لا تتسرب مع أشعة الشمس؟

لماذا لا تأتي مع النسمات العليلة؟

أهذا قراركَ الأخير؟

أرحيلٌ بلا موعدٌ للعودة؟

كغريب جاء محملاً بحقائب سفر، حط في قلبي ساعة عبور، فتح حقائبه وأخرج محتوياتها من حب... وسكن، وعندما مل... جاء وقت الرحيل... لملم حاجياته على عجل ودفع الحساب ورحل!

أصبح قلبنا كغرفة فندق... يسكنه الغرباء لفترة... وعندما يحين الوقت، يلملمون حاجياتهم... ويتركون القلب في فوضى... في بعثرة... ويرحلون بلا عودة... ونحن نبتلي بالفراغ... بتنظيف القلب من الفوضى...

كيف ننظف هذا القلب من أشيائهم التي تركوها هنا وهناك؟

كيف ننظف هذا القلب من بصماتهم؟ ... من اختلاط الدم بالدم... من ذبيحة سفكوها على أسِرَّة الحُب؟

أيها الحُب... دع طيفك حينما ترحل... اتركه معي...لئلا أبقى وحيداً بلا مأوى

دع رسمك وخذ القلم...دع لوحتك هنا... لا تفارقني...

دع بسمتك، دع ضحكاتك، دع قُبَلك يا حبيبي... حينما ترحل

فحتى الراحلون عنا...يتركون بعض الأثر

دع طيفك عندي... حينما ترحل

فأثر الحبيب... سفارة حين يغادر

وحضور حين يسافر...

دع طيفك هاهنا... وخذ ما تشاء

لكن دع لي بعض الأمل.

كنتُ معتاداً على كبت المشاعر... أما في الماخور فنحن مدعوّن للكذب... مدعوّن لمشاعر مزيفة...

مطلوب منك أن تظهر مشاعر تتغير حسب الزبونة ورغباتها ولكنها ليست سوى مشاعر مصطنعة...

أن تخبر الآخر بأنك تعشقه وأنك تتمتع وتتلذذ... بينما أنت تتمزق وتنهار!

فوضى مشاعر وضجيج قلب...

كم أكرهك يا ضجيج قلبي وأنت تطرق صدري في اليوم ميئات المرات...

ولا مرة طرق بابك حبٌ حقيقي...

حياتي كومات من نفايات المشاعر المزيفة ومكب لإبتسامات مصطنعة

على الأقل استطيع أن أخلع عني هذه الأقنعة بمجرد أن ينتهي الأمر... بمجرد الإنتهاء من نزف الرغبة.

كم مرة تموت مشاعرنا داخلنا لأننا في لحظة ضعف سلمنا قلوبنا لنحاتٍ بدل فنان، فأخذ يضربها بشدة ليصنع قلباً مشوهاً...

قلوبنا البشرية... اللحمية الصنع... لا تتحمل ضربات ازميلك أيها النحات الفظ! أنها مصنوعة ليرسمها فنان بارسي بريشته اتخذ زاوية في إحدى الشوارع الضيقة المبلطة في باريس ليرسم القلوب فقط ولا شيء إلا القلوب.

أنا في هذا الماخور أعيش أسوأ مراحل حياتي... فما عادت المصائب الأخرى تؤثر فيّ... وما عادت دموع النساء اللواتي يأتين هنا لأول مرة تؤثر في داخلي...

كنت سابقاً أحضن الباكية إلى أن ترتاح... الأن بمجرد ما انتهي... اتركهن يبكين وحدهن على السرير وأرحل إلى كأس الوسكي...

ما عدتُ أبالي!

ما عادت الرومانسية تعني لي شيئاً...

بل أكاد أجزم أنني قطعة ثلج بلا مشاعر! قطعة ثلج تذوب تحت الشمس بإستمرار وستتبخر قريباً...

تميم القديم قد انتهى... تميم ذو الرومانسية الفريدة قد ولى... فأنا الأن لستُ فرنسي الهوى ولا فينيسي العشق ولا فينيقي التاريخ ولا إغريقي الفكر ولا يوناني الروايات.

لا شيء من هذا أبداً...

ما عاد لرومانسيتي فرح وحزن... حضور وغياب... سماء ونار... رب وشيطان...

أنا كومة من لحم تكسو عظام... حيوان ناطق يجتر خيباته!

هنا في الماخور... متسكعٌ أنـا عـلى شرفـةٍ لـيس لي فيهـا مقعـدٌ ولا فنجان قهوة...

أنا هنا آلة تعمل بمفتاح يحركه وضاح... كنت في أول الأمـر أبلـل ريقي بالدموع وأختار البقاء رغماً عني، أمـا الأن فأنـا أمـلأ جيـوبي بـما أحتاجه وقد قررت البقاء.

كنت أحاول بالعمل في المـاخور أن أعـود لـذاتي القديمـة، فقـدت الجديدة، ولم يبق سوى الغلاف.

كنت أسأل نفسي سؤالاً: هل توقفتُ عن الحب؟

أنا ما زلت أُحب أولادي اذا فما زال في قلبي مشاعر! أنـا لم اتوقـف عن الحب يوماً لكني توقفت عن الحلـم وحيـنما يتوقـف الإنـسان عـن الحلم يموت...

أنا أنا... لكنني أنا مع وقف التنفيذ...

وإن سألوك عني يا جاحظ العينين فقل لهم: كان هنا ورحـل ضـد التيار... قل لهم: حينما نتوقف عن الحلم نموت...ونحن لا نموت لأن الحياة انتهت، بل لأن أمنا الأرض اشتاقت لنا... فتنادينا ونحن نسمعها

ونلبي النـداء... فنعـود إليهـا بعـد التعـب والألم فتأخـذنا في أحـضانها وتضمنا بهدوء.

سألني جاحظ العينين: لماذا نتجه للماخور وللملهى وللمرقص؟

قلتُ له: كلٌ منا لديه احتياجاته... وكل منا يعـاني مـن نقـص مـا، ويظـنُ كـلُ واحـدٍ فينـا أن الـشريك سـيكمل النـاقص منـه فيحـدث التكامل... ولكن نكتشف أن النقص الذي فينا يتسع مع مرور الوقـت ويزداد بوجود هذا الشريك، فنمتلئ خيبة... وتأخذنا أمواج اليأس فـلا نرتوي ولا الشريك يرتوي... فنبحث عن آخر يُكمل نقصنا... فتتكرر نفس الأحداث ويزداد النقص ويـزداد الإحتيـاج وتتـسع الهُـوّة ونزيـد نقصنا عمقاً واحتياجنا عرضاً وحزننا طولاً...

- والحل؟

- الحل يا رفيقي هو الصمت! أن نقتل الروح التي بداخلنا... أن نطمـر كل مشاعرنا تحت الـتراب... أن نحـاصر أنفسنا خلـف أطنـان مـن إسمنت البرودة... خلف سد المحبة... أن نقتل كل هذه الأشياء التـي بداخلنا بلا رحمة... أن نمارس في احتياجاتنا ورغباتنا الجريمـة... وأن نفعل هذا الأمر بـصمت وهـدوء... وبعـد أن ننفـذ الجريمـة نخفـي السلاح! وننكر الأمر... كأن شيئاً لم يحدث! الحل هو أن نقتـل ذواتنـا الداخلية بهدوء وصمت، وأن لا نترك أثر لفعلتنا... ثـم عليـك أن لا تندم لاحقاً بعد أن تكون قد قطعت أحلامك قطعاً قطعاً ومزقتها أربـاً

أرباً ثم أشعلت فيها نارك وأحرقتها حتى تصبح مجرد رمـاد... ثـم أن تخفي معالم الجريمة للأبد... وحتى أن تنكر أنك تعلم ما الذي حدث أصلا! لذلك أنا أنكر كل شيء.

- " يكادُ الناسُ يُجمِعون على الاعتِقـاد بـأنّ اللّـص و القاتـل و الزانيـة يخجلونَ من عملهِم و سـيرةِ حيـاتهِم، ولكـنّ الواقـع خـلافُ ذلـك، فالذين دفعَ بهم سوء الطالع، أو قادتهُم أخطاؤهم الشخصِية للسلوكِ مسلكًا شائِنًا يألفون مع الأيّـام ذلـك المسلك، ويُـصبح مـن العـسير إقناعُهم بقُبحِه"[١].

١- لِيو تولستُويْ (البَعثْ).

حلمت أياماً كثيرة بالقداسة لكنني كلما انغمست أكثر في حلمي كلما هبطتُ أكثر في ظلماتي...
نعم أنا قديس الشياطين

جلستُ في البيت... وكأنه العيد بالنسبة إلى أطفالي... مرت فترة طويلة لم يروني فيها... كنت مرهقاً جداً للذهاب لبيت "الحياة"...

مرت أيام طويلة جداً لم أرتح فيها من كثرة النساء حولي... فقررت أن أخذ إجازة هذا اليوم...

اشتريت لأطفالي هدايا جديدة، وما أن شاهدوها حتى مزقوا ورق الهدايا والكراتين التي تغلف الألعاب تمزيقاً، وأخرجوا الهدايا وهم يهتفوا بسعادة... وسرعان ما نسوا وجودي... ووجود صحن الحلوى أمامهم...

كُنتُ اذكرهم بوجودي... كلما تحركشت بألعابهم... فالهدايا وحدها كانت تذكرهم بأن هناك رجلاً اسمه تميم يعتني بهم وهو "بابا".

جلست أمامهم وهم يلعبون ويمرحون وأحياناً كنت ألعب معهم! أو أعلمهم ماذا يفعلون...

كنا نلعب بمرح، ونضحك بجنون، ونسيتُ خلال هذا الوقت كل ما اقترفته من أمور ورجعتُ طفلاً يمرح... لا شيء يثيره إلا لعبة وقطعة حلوى...

كم أحبهم أطفالي، ليتني أموت قبل أن يكتـشفوا حقيقتـي أمـامهم ويتعرضون لصدمة حياتهم!

لا يهمني العالم كله ولكنني أخـاف عـلى أولادي مـن اكتـشاف أن رجلهم كان عابثاً...

لا يهمني إن حاسبني العالم كلـه عـلى مـا فعلتـه... أو سـأفعله ولا يهمني إن غفر العالم كله خياناتي وخيباتي لذاتي لكن لا أُريد أن يكرهنـي أولادي يوماً ما... لذلك فأنا امشي ببطء محاولاً البحـث في هـذه الحيـاة عن مساحة فارغة بين الألغام...

لا أُريد لغماً ينفجر بي وبهم، وإن دسـت عـلى لغـمٍ أُريـد أن أكـون وحيداً... وأن أموت بعيـداً عـنهم فـلا يتـذكروني ويـشعرون بـالخزي والعار بسببي.

نظرت للحائط... حيث صورتي الكبيرة...

أضحك فيها!

صورة قديمة جداً...

لكن ما بالي أراها مختلفة عمّا مضى؟ شيءٌ ما مختلفٌ فيهـا... أطلـت النظر فيها وهي تستفزني دون أن أعرف الـسبب... ولـشدة مـا نظـرت إليها قال لي من في الصورة: أهذا أنا أم أنت؟ قلـتُ: بـل أنـتَ الـصورة وأنتَ نسخة طبق الأصل عني... فقال لي: مـاذا لـو كنـتُ أنـا الأصـل وأنتَ النسخة؟

لمستني أميرتي الجميلة وقالت لي: ماما طلبت مني أن أمسح الغبار عنها.

الطفلة شعرت بي! شعرت أن اهتمامي إبتعد عنها ولو للحظات...

شكرتها وقَبّلتُ وجنتها... فعادت تلعب في دميتها...

وأنا عاودتُ النظر للصورة فكأنها صورة لجاحظ العينين مصلوبة على صدر بيتي كأيقونة جنائزية...

أنها الصورة التي أخذناها قبل فترة لتكون جاهزة لتوضع تحت الهيكل في قداس الثالث والتاسع والأربعين بعد وفاتي...

لا أُبلغ أبداً... أنه تقليد في عائلاتنا... عندما تتزوج عليك أن تتقن أشياء كثيرة أهمها أن ينمو لك كرش، وأن تحبذ المناسبات الحزينة التي يتجمع فيها الرجال المتزوجون لا العزاب لأحاديث عن بطولات وهمية للأجداد، وأن تحضر كل زفاف يتم دعوتك إليه برفقة زوجتك وأن تعاملها كحبيبتك التي تزوجتها للتو، وأن ترقص وإياها بإبتسامات كثيرة أمام الحشد، وأن تتقن هذه المسرحية إتقاناً تاماً، وأخيراً أن تأخذ صورة كبيرة تنصبها في صدر البيت لتكون جاهزة لمناسبة موتك... مشاهد مسرحية تتكرر كل يوم!

لكن ما بال هذه الصورة تتعرض للإنتهاك والنظافة بعد أن كانت مهملة؟ هل جاء موعد إستخدامها؟

منذ مدة طويلة جداً لم تتعرض للمس لدرجة أن ملامحي في الصورة إختلفت بمجرد مسحها من الغبار!!!

أيتها الصورة على الجدار ألا تتخذين موقفاً إزاء ما حدث؟

ما بالك أيها الرجل الإيقونة في الصورة تنظر ولا تنتظر... تبتسم بلا سبب... تئن ولا يسمع لك صوت... جامدٌ لا تتحرك... صامتٌ لا تنطق... مملٌ لا تتململ..

ما بالك؟ ألا تمل من النظر إلى المجهول... ألا تمل هذا الموقف السلبي؟

ما بالك أيها الأبله لا موقف لك...

من علقك على جداري؟ من صلبك على حائطي؟ من قال لك أنك بشري تشبهني؟

أنتَ لا تشبهني في شيء...

ثم أن من في الصورة نطق أيضاً وقال: ما بالكَ أنت؟ لا تتخذ موقفاً أيضاً!

كان أولادي ما زالوا يعبثون بكل شي أمامهم... وكانت زوجتي بعيدة...

فجأة شعرت بها خلفي... سألتني ماذا أرغب أن أشرب... قلت لها قهوة... بعد قليل جلبت لي كأساً من الأعشاب وجلست!

نظرت للكأس ولم أناقشها... أردت أن يمر اليوم بسلام

- لماذا لم تذهب لعملك المسائي اليوم؟

- أنا تعب وطلبتُ من مديري في العمل يوم راحة...

كنتُ أحاول تجاهلها وأركز على أولادي وأساعدهم في ألعابهم...

- أنا أعلم!

نظرت لها برعبٍ شديد... فماذا عساها تعلم؟

لم أنطق... تركت الحديث لها...

-أنا أعلم أنك لا تعمل في مطعم... أنت تعمل في خمارة... رائحة المشروب تفوح منك كل ليلة!

هدأت من روعي بكل الوسائل التي أعرفها والتي لا أعرفها... مسكت كأس الأعشاب أريد أن أحتسي منه قليلاً... ليبل ريقي... ألمتني سخونة الكأس فأعدته فوراً إلى مكانه... وهي تراقبني كأنها محققٌ قبض علي متلبساً بالجرم المشهود ولا مجال للكذب ولا مفر ...

ثم أكملت حديثها...

- لا يهمني ماذا تفعل في الخمارة... لكن حياتنا أختلفت للأحسن بمجرد أنك أصبحت تعمل مساءً...

لم أنطق

- لماذا لم تحاول العمل بمكانٍ أخر؟ لماذا خمارة؟

- لم أجد شيئاً... كلها أعمال متعبة وبدون مردود مالي.

- هل يوجد في الخمارة نساء؟

-بحق الله هذا يسمى بار وليست مرقص... أنه بار رجالي... لا نساء ولا رقص ولا غناء... فقط يأتي الرجال لإحتساء المشروب وعمل صفقات أعمال... أنه بار محترم ولذلك يعطينا المدير راتباً مجزياً.

-فقط لا تكثر من المشروب.

قالت جملتها الأخيرة لتوحي لي بأنها تهتم، بينما قالتها لتنهي الحديث الذي طال أكثر مما يجب بيننا...

تركتني وذهبت للمطبخ!

كان هذا الحديث هو الأول والأطول بيننا منذ مدة طويلة... فأحاديثنا التي لم نكن نتصارع فيها، تكون على شاكلة اشتري شيئاً أو إفعل شيئاً... فقط.

انتهى حديثنا... بدون صريخ! الحمدلله.

تركتني في زاويتي المعتادة أراقب الأطفال وهي ذهبت إلى زاويتها المعتادة... المطبخ!

- كل ما تعانيه من هذه المرأة هي تعانيه منك أيضاً.

الصورة نطقت!!!

- جاحظ العينين؟

- نعم.

- أين كنت يا رجل؟ من مدة لم أراكَ فيها... اشتقتُ لك...

- لا تغير الموضوع، كل ما تعانيه من زوجتك تعانيه منك أيضاً... أنت قتلت أمانيها كلها.

- نعم، أعلم ذلك جيداً يا جاحظ العينين.

- هل حاولت أن تسمع قصتها؟

- لا.

- اذا لا تحكم عليها.

- هناك يا جاحظ العينين من يبحث عن شيء فيك ليغضب منك... وهناك من يبحث فيك ليسعد بك! وأنا وزوجتي لا نبحث عن أشياء فينا... علاقتنا علاقة قشور.. علاقة سطحية... لا مشاعر فيها ولا ود... لا حب فيها ولا أدنى مستويات الرومانسية! قلب زوجتي صحراء قاحلة ومرور غيمتي عبرها لن يغير فيها شيئاً! وإلتصاقي بهذه المرأة قتل في داخلي كل شيء حي...

- أتركها...

- لا استطيع... زواجنا زواج مسيحي ليس من السهولة بمكان أن أتركها... ثم ما ذنب هؤلاء الأطفال ليعيشوا بدون أب أو أم...

- هم يشعرون بطاقتكما السلبية ولا يقولون شيئاً...

- ماذا أفعل؟ لا استطيع أن أصلح الوضع... فعلنا ما يريده المجتمع منا... زواج وأطفال... باقي ما تبقى لا يهم! لا شيء استطيع أن أفعله لأحمي أولادي من هذه الطاقة السلبية.

أيتها الحفرة...
أنتِ المكان الذي اريد أن أبقى فيه للأبد

العمل هو المكان الوحيد الذي يكاد يُنسيني ما أعيشه، هو عملي الصباحي، راتب قليل وعمل كثير، وعندما لا أكون في مكتبي المتواضع أكون في أحد المواقع الأثرية!

واذا كان هذا العمل يدر القليل فأنا أحبه... فعندما أمسك معولي الصغير وأكون بين الرفش والقفف والعربايات والفراشي والمكانس وأدوات التنقيب بمختلف أنواعها أشعر أنني فنان...

أفقد الإتصال في واقعي واسرح في قصة المكان الذي أسبره فيأخذني لأعماق الأرض وأذوب فيها...

أحفر بيدي أو بأدواتي وكأنني أحفر قبري... وليت المربع الذي أحفره يطمرني فينساني رئيس البعثة وزملائي... وأهلي وخلاني... وصديقي جاحظ العينين وأعدائي... وزوجتي ونساء الماخور....

ليت المربع يلتهمني فأصبح تمثالاً وأموت في مكاني... ولا أعود للبيت ولا للماخور ولا للنساء ولا لأحزاني... لكنني على الأقل الأن أدفن مع أكوام التراب التي أخرجها الكثير من دموعي وآهاتي... استخرج قصة المكان وأحاول دفن قصتي معها... لكن هيهات.

ذاكرة للنسيان، تلك الذاكرة التي ترافقك بإستمرار وتحاول نسيانها بالدفن... وكلما حفرت في الحفرة لطمرها تتذكر أنها أكبر من الحفرة!... فلا أنت تَنسى ولا أنت تُنسى ولا أنت قادرٌ على الحفر أكثر.

أحياناً أجلس في الحفرة لساعات طويلة لا أريد أن أفعل شيئًا فقط أجلس صامتاً أو اتمدد فيها... يجلب لي أحد العمال كأساً من الشاي وأنا لا أحب الشاي فأتركه للذباب يتصارع عليه... ثم يجلبون لي فنجاناً من القهوة... فلا اسمح للذباب بالإقتراب منه... أشرب القهوة في قفصي، والعصافير خارج الحفرة تُغرد...

تسرب المساء إلى الحفرة والشيخوخة إلى قلبي... وما عاد قلمي يقوى على الكتابة طويلاً، النهوض يرهقه، الوقوف يتعبه... فيختار التمدد مثلي لأن التعب والملل تسرب إلى حبره... بقايا حبره حتى التي نزفها على الورق...

ترك العمال المكان ورحلوا إلى بيوتهم أما أنا فأخترت أن أبقى قليلا فالنجوم تروي هذا المساء قصة عني لباقي الكون... في لحظة ما هب هواء خفيف فطار بعض الغبار إلى عيني... فركتهما وسمعت صوت جاحظ العينين فوق من أعلى الحفرة يقول لي: الغبار يا صديقي هو رماد الأرض الميتة تحملها الريح... ليرحل الرماد ويسكن عيوننا لأن الأرض تحبنا ولا تستطيع أن تتخلى عنا... تسكن بيوتنا لأنها منا وتسكن كتبنا لأنها قصتنا وتسكن عيوننا لأنها نور بصيرتنا... الماضي جثة هامدة يا

صديقي... جثة ستصيبها العفونة عما قريب، ولا أحد يرغب بـأن يـرى حبيباً له يتحلل أمامه! وإكرام الميت دفنه! فأكرم ماضيك الجيـد بالـدفن المحترم... وأما ماضيك السيء فأهل عليه جبالاً من الرمـل دون شـاهد قبر... ادفن ماضيك ولا تبقيه بجانبك لئلا يصيبك المرض والإعياء.

كم أنت حكيم يا جاحظ العينين.

حل المساء وحدي في هذه الحفرة... وتكرر القصة...

أتيت أيها المساء ولم تأتِ بجديـد... سـأذهب للماخـور... عمـلي المسائي وأنا لا أرغب أن أترك هذا الرقاد على أرضٍ يابسة لأنام على سرير الخيانة.

في الصباح الباكر أعود للحفرة...

تختلط دموعي مع تراب الحفرة فأي قصص المكان سأكتبها؟

عندما أبدأ بتقشير طبقات التربة والصخور طبقـة طبقـة بحثـاً عـن الأرض البكر[1] وأكتشف وأنا في خضم البحـث في كـل مـرة عـن جـرة أحياناً كاملة وأحياناً مكسورة أو صحناً أحياناً كاملاً وأحيانـاً مكـسوراً

١- مصطلح يستخدم في الزراعة للإشارة للأرض التي لم تزرع، وفي علم الأثار للطبقة التي كان يستخدمها الانسان القديم والتي غطتها طبقات كثيرة من التراب والحجارة، ويقال "تقشير الطبقات" وكأنها تقشير برتقالة والهدف من هذه العملية نزع الطبقات الزمنية المتراصة فوق بعضها البعض طبقة طبقة بعناية ودراسة محتوياتها وتحليلها وتسجيلها، وليس كالحفر العشوائي الذي يهدف للوصول للقى الأثرية، والكنوز دون الإهتمام بالطبقة الأرضية ومحتوياتها.

أو سراجاً أو عن عملةٍ أو عن تمثال أو جزء منه أو نقش على حجر أو أرضية فسيفسائية أو عظام بشرية أو أشياء أخرى سواءً في معبدٍ أو في كنيسة أو مدفن أو مدينة كبيرة أو كهف... أشعر أنني قدمت شيئاً للإنسانية بعكس سيرتي الذاتية السيئة...

في المربع حيث تقيم من ساعات الصباح الأولى حيث الوقت جميل إلى ساعات الظهيرة الحارقة تشعر أنك تتصل بالأرض، تكون أكثر عمقاً وأكثر روحانية... تكون أكثر انتماءً وأكثر وجودية... تتصل بسهولة مع السماء وتتحد مع الكائنات التي تأخذ من التراب مسكناً... فيهون عليك الفقر... يهون عليك الجوع والتعب...

في وظيفتي أكتشفتُ عُملات ذهبية وفضية وقطعاً ذهبية أو من معدن آخر، ومخطوطات قيّمة وتماثيل ونقوش ذات قيمة تاريخية وأثرية وفنية عالية... وكنت أميناً في توثيقها وتسجيلها وتسليمها لدئرة الآثار حيث أعمل... تسليماً حسب الأصول.

ورغم أن راتبي لا يكاد يغطي احتياجاتي الأساسية لكنني أحب مهنتي... المهنة التي أُبدعُ فيها وحصلت من خلالها على الكثير من المديح وكتب الشكر... والقليل من المكافأة والترقية... لكن كأثاري فأنا مؤتمن على التاريخ والآثار.

وخلال عملي بالأثار تعرفت على الكثير من الأثاريين من الزملاء والعلماء... من الأجانب ومن العرب... عملت مع الكثير منهم وتعلّمتُ من بعضهم الكثير وعلّمتُ منهم من كان حديث التخرج...

الفقر... أه لو تدري زوجتي أن معظم الحفريات التي خرجت بها مندوباً أو رئيساً للبعثة أكتشفُ في بعضها كميات من الذهب على شكل عملةٍ أو قطع أو أدوات... أو تلك الزجاجيات الثمينة... وأنني أقوم بتوثيقها وتسجيلها وتسليمها في نهاية الحفرية... لو تدري لجن جنونها... لثارت تلك المجنونة وأصابها الصرع.

نعم قطعة من بعض هذه المكتشفات قد تكفي عائلتي لعام كامل أو أكثر نعيش خلالها في رغد...

لا أنكر أنني اشتهي أخذ قطعة ذهبية وأضعها خفية عن أعين الزملاء والعمال في جيبي... أن أقوم بتهريبها... بيعها... وأعيش ملكاً...

أن اكتفي بها واعتزل الحياة الموازية التي أعيشها... أن أرمي كل أقنعتي التي ألبسها في البيت وفي الماخور وفي العمل...

أن أرمي كل ملابسي البالية... والأثاث البالي... وأن أعوض أولادي وأخرجهم من بؤسهم الذي أورثته لهم... وأن أمنح زوجتي ما تريد فتتركني وشأني...

قطعة واحدة تخرجني من بؤسي لعام كامل... ولكنني كلما سقطت في مربعٍ... أسقطت كل مخططاتي الدنيئة وأصبحت شخصاً آخر...

شخصاً أكثر إلتصاقاً بالأرض وأكثر قرباً للسماء... شخص مثـالي... لا يمثل من ترونه في " بيت الحياة" وفي المنزل وفي العمل وفي الحافلة أو في أي مكانٍ آخر.

قلت لصديقي جاحظ العينين يوماً: أريد أن أسرق إحدى هذه القطع.

- ولماذا لا تفعل؟

- إن الأمانة تمنعني من هذا الأمر.

ضحك بشدة...

- أي أمانة وأنت تمارس الخيانة! لا فرق يا صديقي بين خيانة زوجتـك وخيانة وطنك! كلاهما فعل معاكس للأمانة!

- أنا جائع يا صديقي لذلك أمارس الخيانة الزوجية.

- وهناك من يمارسون فعل خيانة وطـن لأجـل الـدولار والبقـاء عـلى كراسيهم... كلاهما فعل غير مبرر.

- أنا أريد أن أعيش فقط... لا أريد شيء آخر.

- بل أنت تبني حياتك من تراكم المعاناة والألم...هي كالحجارة كسرتها بقوتك في أمانة العمل وعليك أن ترميها تحت قدميك لا أن تبقيهـا عـلى صدرك... أن تحملها طول الوقت... ضعها يا صديقي تحت قـدميك... فترفعك لأعلى.

- أي أعلى؟ أنا أنحدر يا صديقي أنا أسقط بقوة.

كان يدهشني هذا الذي يشبهني جداً... ولا أعرفه جيداً...

أنه في دقيقة مجنون معتوه وبعدها بدقيقة حكيمٌ ذكي!!

- أنت إبن الحاضر يا صديقي... أنت إبن الحاضر، أما الماضي فأنه ذهب ولن يعود... أنت الآن ما أنت فلا تتحسر على الذهاب ولا على الإياب ولا على ما هدرته من الوقت حزيناً وحيداً بلا أصدقاء. أنت الأن ما أنت ... فلا توجعك بقايا الأيام... أنت الأن ما أنت... فلا الوقت يعود ولا الماضي يصبح حاضراً ولا الحاضر يصبح ماضياً إلا بعد قليل... ولا ما مضى يحضر وإن حضر فإنه لا يعود كما كان... ولا الحاضر يسترجع ماضياً ولا يجتره لأنه قد ولى وراح...

- هل تعتقد أنه ولى وراح؟ إن تأثيره ما زال باقياً.

- نعم قد ولى وراح... أنت إبن الحاضر فلا تلتفت للوراء... لا تزاحم ذكرياتك بالألم... بل اقفل عليها في صندوقٍ اسمه تابوت... ثم صلي عليه وقم بتوديعه ثم إلقيه في البحر أو في جوف البركان... أو في إحدى حفرياتك حيث تنتهي من مربع وتعيد طمره... ضع وجعك في المربع ثم ارمي عليه التراب... دعه بسلام... أنه الماضي... قد تركك ورحل فلماذا تتمسك به؟

- أنا لا أتمسك فيه... أنا أعيشه لحظة بلحظة.

- ولماذا تستمر في العيش فيه؟ ... ولماذا تقامر وتقول: يوماً ما سيعود؟ أنه الماضي يا صديقي...لا يعود إلا كذكريات ومتى عادت الذكريات... قتلت فينا الاحلام والأمل والمستقبل.

- الذكريات تقتل الأحلام.

- تذكر مقولة الأديب الروسي فيودور دوستويفسكي بأن " هناك ذكريات يرفض الإنسان حتى أن يعترف بها لنفسه"... لا تعترف بوجودها... إنكر وجودها.

لو اتخذت ذلك القرار

" لو أخذت ذلك القرار لكانت حياتي أفضل"

هذه الجملة التي دوماً كانت على شفتيّ!

لو أخذت قرار عدم الزواج لكانت حياتي أفضل...

لو أخذت قرار الرهبنة وعدم إحتساء المشروب وإدمان الحزن لكانت حياتي أفضل...

لو أخذت قرار عدم الحياة لكانت حياتي أفضل... نعم لكانت حياتي أفضل... تلك الحياة التي تأتي بعد الحياة وقبل الموت!

لو اتخذت قراراً بسرقة قطعة أو قطعتين من الأثار أو الذهب لتغير حالي... لما اضطررت بيع ذاتي للشيطان...

لما مددت يدي لوضاح...

لوفرت حاجات أولادي وزوجتي...

لما سمعت صوت معدتي تقرقع جوعاً...

لما دسست يدي في جيب بنطالي القديم الذي يمتلئ بالثقوب بحثاً عن أجرة طريق وقعت غدراً من الثقب... أيها الثقب الخائن!... أيتها المربعات الخائنة التي أحفرها في المواقع الأثرية فتغريني بما تقدمه لي... ولا استطيع إلا أن أغض البصر عن جمالها...

لكن أتعلمي يا نفسي شيئاً؟ سأخون... نعم سأخون

لا أريد أن أقول " لو" مجدداً... لا لكلمة " لو" في قاموسي منذ الأن.

سريعاً جاء تصريحٌ لجامعة أمريكية مرموقة للعمل في إحدى المواقع الأثرية في محافظة عجلون... إلى الشمال من مدينة عجلون... في منطقة نائية تقريباً بين أربد وعجلون... منطقة فيها بعض الأشجار والمزارع هنا وهناك... موقع يفترض أن يكون "موقع بكر"...

دهشتي هي أن الموقع الذي ينون الحفر فيه لم يكن بكراً فعلياً فقد تعرض لمحاولات العبث والحفر غير الشرعي منذ مدة طويلة جداً وأصبح ركاماً... وقام برفسور مات قبل سنوات اسمه الدكتور خليل بمحاولة توثيق الموقع بحفرية انقاذية، بعدها تقاعد وسافر ثم علمنا أنه مات ...

كنا عبثاً نحاول حماية الموقع من الإعتداءات ولكن... مع السنوات أصبح الموقع ركاماً لا يصلح للدراسة أو التوثيق.

التصريح صدر باسم البروفسور دانيال ويشاركه البعثة عدد من الدارسين والطلاب من جامعة أمريكية... وإحدى تعليمات التنقيب في دائرة الأثار والذي بموجبه يمنح تصريح التنقيب للجامعات والمعاهد الأجنبية هو أن يرافق بعثة التنقيب مندوب عن الدائرة يشارك في عملية التنقيب ويراقب أعمالها العلمية، ويقدم في نهاية العمل الذي قد يستمر بعض الأسابيع وأحياناً الشهور تقريراً علمياً للدائرة، ويحصل المندوب بموجب هذا التقرير على مكافأة مالية لقاء هذا العمل العلمي، وقد تكون هذه المكافأة مبلغاً مجزياً يصل أحياناً لأضعاف راتب الموظف،

كما قد يحصل الموظف على مكافأة من رئيس البعثة دون أن توثق في سجلات الدائرة المالية.

هذه البعثة تقرر لها أن تعمل مدة أسبوعين فقط...

ذهبت لرئيس البعثة بروفسور دانيال قبل بدأ الحفرية وقدمت نفسي إليه فأجابني: أأنت مندوب الدائرة للبعثة؟

- نعم

- يمكنك أن تبقى في البيت اذا أردت لا شيء ندرسه في الموقع... سنطلبك عندما نحتاجك.

- لماذا أخذت الموقع اذا؟... كان أمامك الكثير من المواقع وتستطيع أن تأتي كل عامٍ لدراسته أنت وتلاميذك... أنا لا أفهم سبب أصرارك على أخذ هذا الموقع الذي ناله العبث.

- سندرسه لكن لن نحفر فيه لذلك لا داعي لقدومك يومياً، وستأخذ حقوقك المالية كاملة وفوقها سنمنحك مبلغاً إضافياً وسنعطيك تقريراً علمياً جيداً باللغة الإنجليزية عن نتائج الحفرية وما عليك إلا تقديمه للدائرة وتأكد أن دائرتك ستكون سعيدة بالتقرير.

كانت كلمات البروفسور دانيال مثيرة للشك... فمع أنني كنت أُفضّل موقعاً من تلك المواقع المشكوك بأن فيها ذهباً أو قطعاً ثمينة حتى أنفذ خطتي... لكن طلبه مني أن لا أذهب للموقع كان مثيراً لشكوك

أكبر فقررت أن أخبر عطوفة المدير بهذا الأمر... عساه ينقلني لموقع أحقق فيه أهدافي.

-عطوفة المدير هؤلاء لا يريدون الحفر في الموقع... طلبوا مني عدم القدوم وأنهم سيمنحوني حقوقي المالية كاملة مع مزيد من الأموال فقط إن جلست في البيت.

-ماذا؟ كيف هذا الأمر؟

-هذا ما حدث سيدي المدير.

-لا... هذا الأمر غير مقبول... ستذهب إلى هناك وستحفر معهم وإن لم يعملوا في الموقع اتصل بي فوراً... ولا تخف... الموقع والبعثة تحت الرقابة الأمنية فنحن خاطبنا الجهات الأمنية لمراقبة أعمال البعثة مثلها مثل جميع البعثات الأثرية... اذا شككت بأي أمر فإعلمني فوراً.

-أريد أن أعتذر عن هذه الحفرية عطوفة المدير.

-لا يمكنك ذلك... لقد طلبوك بالاسم وأيضاً أنت أكثر شخص أثق به في هذا الموضوع.

لقد تمنيت لو قال نعم... فأذهب إلى موقع أخر استرزق منه...

أول موقع قررت أن أدفن فيه ضميري وأخلاقي يكون قد تم نهبه بالفعل!!!

ماذا أفعل؟ لعل حظي في المرة القادمة أفضل... اسبوعين ويرحلون وقد يتم إنتدابي لحفرية أخرى قد تكون أكثر فائدة.

في اليوم التالي ذهبت للحفرية وألتقيت بالبروفسور وسلمته رسالة رسمية من المدير العام، نظر إليها وقرأها بتمعن وبدت عليه علامات العصبية... كانت الرسالة واضحة وفيها أصر المدير بضرورة الإلتزام بالحفرية وحضوري يومياً وتسجيلي احداث الحفرية يوماً بيوم... وأن التقرير يجب أن يقدم في وقته!

نظر إلي البرفسور دانيال بتجهم وعصبية... وقال لي: خذ ما تريد من الأدوات وابدأ بالحفر أينما تريد... سيساعدك العمال... هم سيأتون بعد قليل.

- أين تريدني أن أبدأ؟ ثم أين طلابك؟ ثم بروفسور أنت طلبتني بالاسم فمن أين تعرفني؟

تغيرت معالم وجهه وقال لي: نحن نعرف كل شيء يا تميم...

- كيف؟ لم أفهم ماذا تعني بأنكم تعرفون كل شيء؟ أأنتم أنبياء مثلاً؟

- لا لسنا أنبياء... نحن أذكياء.

- ونحن الأغبياء!!!

- لم أقل هذا! نحن فقط نختلف عنكم بأننا نجيد تخطيط الأمور، وضع أهداف لتحركاتنا، ندرس الأمور جيداً، نرتب الأولويات ونجيد العمل... وأنتم لا... أنظر لهذه الأرض... هذه البُقعة كلها مُلكاً لي الآن إلى انتهاء الحفرية.

وضع يديه على خصره ونظر الي مطولاً وقال لي: حسناً سأقول لك شيئاً نحن نريد دراسة الموقع أكثر من الحفر فيه، الحفر هنا غير

أساسي... قد نحفر بعض المجسات لكن لسنا بحاجة لعمل مربعات[1]... لكن أنا الأن مضطر للحفر كي يرضى مديرك!

شعرت بالخجل، لماذا؟ لا أعلم... مع أنني كنتُ على حق لكنني شعرت بالخجل... أما هو فأكمل: الموقع يهمنا ولكن كدراسة ثم فيما بعد الحفر، لكن يبدو أنني سأجعل بعض العمال يحفرون مربعات!

- لم تجبني برفسور لماذا هذا الموقع بالتحديد؟

- هذا الموقع هو الوحيد الذي يصلح لنوع دراستي.

- نوع دراستك؟ ما هو هذا النوع.

- اذا هل ترغب أن تتعلم طريقتنا أم تريد فقط طريقتكم القديمة في الحفر... أنتم ما زلتم تتبعون الطريقة القديمة في الدراسة والتوثيق والحفر... وأنا هنا أحاول أن أقوم بشيء جديد وأعلمه لطلابي وللجيل القادم... هل تريد أن تتعلم وتصبح أول من يعرف طريقتنا في الأردن؟

قلت متحمساً: طبعا أريد...

- اذا تعال... سأعرفك على انجل ... الحفرة الأجمل.

شككت بفهمي للكلمة... هو يتحدث الإنجليزية وأنا أفهمها جيداً، لكن لماذا وصف الفتاة بالحفرة؟

---

١ - المجس في علم الأثار حفرة صغيرة جداً الهدف منها استكشافي، المربع هو حفرة كبيرة قد تكون بالأمتار.

- الحفرة؟

- نعم... ستعلم لماذا لاحقاً.

تركنا المكان حيث خيمة كبيرة وأخذنا نمشي إلى خيمة بعيـدة جـداً وكان لا يظهر من البعيد إلا الخيمة وظلها وبعض الأشجار والسيارات رباعية الدفاع... لم يكن أحد في المكان...

قال لي: انجل إحدى طالبـاتي المميـزات وهـي تُـدرّس في الجامعـة أيضاً... ستحصل على شهادة الدكتوراة مبكـراً عمرهـا لا يتجـاوز ٢٦ سنة طالبة مميزة وذكية وجميلة جداً... أريـدك أن تبقـى بجانبهـا وتـتعلم منها... ولكي تتعلم منها لا بد أن تنصت لها وتنفذ ما تقولـه لـك... اذا قالت لك أحفر هنا ستحفر... اذا قالت لك أكتب تقريراً ستكتب... اذا قالت لك أحضر معلومة من دائرتك ستحضرها... اذا قالت لك أخلـع ملابسك ستخلع ملابسك...

نظرتُ له بإستغراب وتوقفتُ عن السير...

توقف ونظر لي ثم أبدى عدم رضاه وقال: إن كنت متديناً أرجـوك أن تترك دينك خارج بعثتي أو أن تعتذر عن العمل معي... أمامنا عمـل كثير ولا أريد أن تتعطل مهمتي.

لا يدري هذا البروفسور أنني مللت خلع ملابسي أمام الكثـير مـن النساء وأن خلع الملابس مجدداً لا يمثل مشكلة لـدي... وأنـي طلبـت الإعتذار مسبقاً ورفض المدير...

مشكلتي أنني أريد أموال هذه البعثة وأن تنتهي هذه البعثة سريعاً لأذهب لحفرية أخرى فيها ذهب ولُقى أثرية لأهربها وأبيعها...

أردت أن أقول له أنني غير مهتم بخلع الملابس! إلا البالية منها.

قلت له وأنا أسير بإتجاه الخيمة خلفه وهو مستعجل في المسير: لا يهمني... المهم العمل.

- هكذا أريدك... أريد منك أن تفعل كل ما يطلب منك وستأخذ ما تريد وأكثر.

قلت في عقلي " وكأنني سمعت هذه الجملة من وضاح سابقاً"

ولو تعرف أيها البروفسور ماذا أريد لطردتني من بعثتك فوراً.

ثم بدأ يشرح أهمية دراسة الموقع ككل من حيث الإبتعاد عن فكرة حفر مربعات في مكان محدد إلى فكرة حفر مجسات ذات إشارات محددة معتمداً على خبرة ودراية...

وأنه يجب أن أكون مثل باقي اعضاء الحفرية مطيعاً وأن لا أناقش في شيء لا أعرفه بل أنفذ ما يُطلب مني فوراً...

ونحن نمشي أخرج مجموعة من الأموال وقال لي: خذ هذه مئة دينار لك...

وضعهم في يدي وأنا مدهوش...

قال لي: هذه الأموال ليست أموال الحفرية بل مكافأة بداية العمل... لا تندهش ضعها في جيبك وسر معي...

وضعت الأموال في جيبي وأنا سعيد... هذا مبلغ جيد جداً كمكافأة أول الخدمة... والدائرة لا تعلم عنها شيئاً... اذا بقي هذا البروفسور يعطيني مكافآت مثل هذه قد لا أحتاج لحفريات كي أنفذ فيها ما أخطط... قد لا احتاج للذهاب للماخور قريباً...

مشى البرفسور وأنا خلفه... ظل يمشي امامي بكل قوة وعنفوان وكأنه شاب في العشرينات من عمره وأنا ألهث أحاول أن ألحق به...

دخلنا الخيمة معاً، فوقعت عيناي على فتاةٍ بارعة الجمال... حسناء... كأنها حورية من صنع إله... كانت أمامي تنظر لطاولة عليها مخطط، ويحيط بالطاولة أيضاً فتاة مراهقة وأربعة رجال أشداء أعمارهم في الثلاثينيات وجميعهم يلبسون نفس الملابس... تي شيرتات سوداء، بناطيل عسكرية مبرقعة، قبعات عسكرية سوداء دون شعار، جزم عسكرية سوداء... نظرة خاطفة عليهم، ثم أعدت النظر للفتاة التي اسمها انجل وهي أيضاً تلبس نفس ملابسهم، وقد استدار نصف جسدها الأعلى بإتجاهي، بينما بقي أسفل جسدها ثابتاً لا يتحرك...

نظرتُ لها... نظرت إلي... وكأن لا أحد في الخيمة سواها وسواي.

فتاة شقراء جميلة جداً...

طويلة...

نحيفة ذات جسمٍ متناسق...

شعرها الأشقر كأنه خيوط الشمس قد حطت على كتفيها فأشعلت في جسدها حرائق من الرغبة وجواً حاراً من الحب...

عيناها الزرقاوتان كأنهما لؤلؤتان في بياضٍ من الصفاء...

خداها كأنهما حبتا فراولة حمراوين...

شفتاها كأنهما حبتا كرز تريدان أن يأكلهما جائع للفاكهة المحرمة...

صدرها كجبلين دائرين تريد أن تصعد عليهما وتدور حولهما

كأنهما جبلان مقدسان تريد أن تحج إليهما كل قوافل الحب...

أن تمارس بينهما السعي... جيئتاً وذهابا...

طولها كأنها جسر معلق بين الأرض والسماء... ترسلُ للسماء تحية أرضية وترسل بركات السماء للأرض...

أليس هذا دور أنصاف الألهة؟

ألعلها نبية؟

ألعلها روح أفردويت جاءت تبحث عن مدفنها القديم؟

يا عشتار أنا تموز فأعيديني للحياة... انشليني من هذا الكابوس وخذيني معك... لتعود الخصوبة للأرض...

أم لعلها أنانكي بعثت من جديد؟

ألعلها بريجيد؟

أم أنها إيزيس جاءت ترضعني من ثدييها؟

هل سبق والتقينا يا انجل على صفحات روايةٍ لكاتب رومانسي؟

هل كنا كلماتٍ في قصيدة شعر غزلية لشاعر مغمورٍ مات قبل سنين طويلة دون أن يستطيع أن ينشر ما كتبه... فتحررنا من الهوامش وطرنا من النص فحملنا " الهوى" وأصبحنا حالةً إنسانية؟ وها نحن نلتقي مجدداً وهذه المرة جسدين لا كلمات...

لحظات لا أعلم كم طالت وأنا أتأمل هذا المنحوت البشري الجميل جداً والذي أكتشفته الآن... ولم أكتشفه بعد... أجمل اكتشافاتي للأن في حفريةٍ صنعها قلبي...

أهذا ما يسمونه الحب من النظرة الأولى؟

لحظات من الغياب... إلى أن أعادني للواقع صوت البرفيسور وهو يصيح بإتجاهي: تميم... تميم... تميم... هو الأخر جن بكِ يا انجل !!!

امتلأت الخيمة ضحكاً والبروفسور يشير اليهم ممتعضاً مني بأن ينتبهوا اليه...

قال موجهاً كلامه إلي...

ألم تروا نساء شقراوات في بلدكم مؤخراً؟

استمر الضحك... وأنا لم أجبه لشدة خجلي...

يا جماعة هذا تميم... ممثل دائرة الأثار في حفريتنا... هؤلاء انجل... جيمس... جون... جورج... جيلارد... سيرين.

نظروا إلي جميعاً بتمعن نظرات جدية من أعلى إلى أسفل... إلا انجل كانت نظرتها عابرة من منتصف جسدي إلى أعلى، ثم عادت تحدق في المخطط أمامها...

ولما بدا لي أنها لا تبالي أصابني من الحب البلاوي...

وأكمل البروفسور حديثه وأعين الرجال ما زالت تنظر بيني وبين البروفسور.

- تميم سيبقى معنا معظم الوقت لكن عمله سيكون التعلم منكم أبحاثنا الجديدة، وفي سبيل أن يتعلم لا بد أن ينصت لكم جيداً... سيلبي ما تريدون... سيبحث لكم عما تحتاجون... وأيضاً سيكتب التقارير ويتعلم منكم ما يحتاجه... أرجو أن يكون عند حسن ظنكم... لا تنسوا أنه سيكتب تقريراً عن حفريتنا للدائرة وعليه يجب أن يحصل منكم على كل الرعاية والإهتمام وأيضاً الحرص الشديد أن ينقل للدائرة الأشياء الجيدة عنا... والأن تعال يا تميم وخذ لنفسك كوباً من القهوة وقف معهم وتعلم منهم.

صب لنفسه قهوة من إبريق زجاجي شفاف، وذهب خارج الخيمة أما أنا فأخذت فنجاناً صغيراً منها ووقفت بين رجلين منهما، وبدل أن أنظر للمخطط الذي أمامي كانت معظم نظراتي لجميلتي انجل ...

كُنت كما طفلٍ صغير بالقرب من هؤلاء الرجال... كانوا رياضيين ضخام الجثة... أتساوى بالحجم تقريباً مع انجل أما الفتاة المراهقة الصغيرة فأقل حجماً... أين رأيتها يا ترى؟ أين؟ أين؟

ثم لفت نظري أن معظم الطلاب القادمين من الغرب للعمل في الحفريات كانوا عاديين مثلنا... أجسامهم معتدلة وبعضهم كانوا حتى صغار الحجم...

معظمهم صغار في السن إلا اللهم من كان منهم يدرس الماجستير أو الدكتوراة... حتى أولئك كانوا ذوي أجسادٍ نحيلة جداً أو ذوي أجسام ممتلئة...

لكن هؤلاء " الأربعة جيم" كانوا رياضيين في الثلاثينات من أعمارهم... وأربعة فقط! أين باقي الفريق؟

بدأت تساؤلاتي تبعدني عن جميلتي... سأترك أجوبتي لفترة أخرى فأنا الأن أحتسي قهوة أمريكية وأمامي فتاة أمريكية جميلة ولا أريد أن يخطف هذه اللحظة أيٌّ من أوهامي...

نعم أدخلت هذه الفتاة من اللحظة الأولى صراعاً داخلياً في قلبي...

صراعاً يدور بين ملاكي الحارس وشيطاني... بين الغرامِ والغرامِ...

صراعاً يدور بينهما وعقلي الفقير لا يحتمل وطأة الحربِ... وشدة القيظِ... ورأساً يدوخه أدماني...

هذه الفتاة أشعلت حرباً داخلية... أشعلت أدماني الذي قويت عليه منذ مدة فشعرت بأنني ضعيف...

قررت أن أطرد كليهما... الملاك الحارس الراعي الرسمي للحروب ... والشيطان الراعي الرسمي للتمرد... وقررت أن أعتزل الماخور فوراً...

ماذا قلت؟ أيعقل أنني إتخذت هذا القرار أخيراً؟!!!

كيف تركت الماخور هكذا... ما كنتُ أبداً أتوقع أن أتركه بكل بساطة.

كيف تركته وداخلي ماخورٌ كبيرٌ جداً...

وإن قويت على ذلك الماخور كيف سأقوى على هذه الفتاة التي أراها ماخوراً الأن بكل مشتهياته وملذاته وطوفانه...

ماذا الذي أصابك يا قلبي؟ هل اقتحمك الفراغ؟

أهزمك الجوع إلى الحب؟

أم عادت شمس الحسناوات تشرق في أوديتك؟

ماذا أصابك يا قلبي لتتعب هكذا؟

ماذا دهاك يا قلب ليصيبك صمتٌ قاتل ثم شوقٌ للحرب؟ وأنت الذي كنت عند كل مفترق طرق تركض كالأطفال... وأنت الذي كنت عند كل شهوة تنتفض كالأبطال.

ما الذي هزمك يا قلبي؟

من الذي فعل ذلك بك؟

من الذي استطاع بعينيه فقط أن يخترق حصونك؟ وأنت الذي كنت تشعل النيران تحت الملاءات البيضاء الباردة...

أنت الذي كنت تشعل النساء حطباً من أشعارك...

أنت الذي كنت تمطر المساء نجوماً فتصبح لآلئ وتصنع بأشعة الشمس خيوطاً تضع فيها هذه النجوم وتصنع قلائِد تصيد بها النساء...

أنت الذي صنع بالبدر لوحةً زيتيةً فأصبح القمر مزاراً للأزهار وأرضاً خضراء...

ماذا فعلوا في قلبك أيها المغوار؟

ماذا أصابني؟

كنت يوماً زنديقاً فأصبحت في لحظـة... في نظـرة عـين مـن انجـل كراهبٍ منقطع في الـدير يتعبـد صـباحاً ومـساءً... فأزهـدت في الـدنيا وأزهدت النساء... والخمر... والشهوات... وحارت في قصتي حبكـة الروايات... فما عدتُ مع الحديث كلام ولا أنا مع الصمت هدوء...

أصبحت شيئاً لا يقال...

درويشي يتأمل راقصاً في الخيال...

مخدرٌ من النبيذ ولم تذقه شفتاي...

فماذا دهاني الأن؟

أنا لستُ مع المصلين بخاشع ولا أنا مع السكارى بمستمتع...

التصقت روحي بذاتها فبدوت ككائنٍ في الدير قد نال منـه الـصيام الشديد والوقت ليس بصيام...

موعد الصوم لم يحن إنما هو موعد الحياة... ولعل انجل هي العودة للحياة.

ماذا فعلتِ يا انجل بي؟

انجل ...

لا علاقة لي بكِ، لا أحبكِ، لا أنتظركِ ولا احلم بكِ...

لا أعاينكِ سراً واشتهي وصلك...

أنا يا انجل أكذب...نعم أنا كاذب وألف كاذب...

أنا اتمنى كل هذا وأكثر.

استنشقتكِ... فأدمنت هواكِ

في اليوم التالي كنت أول الحاضرين إلى موقع الحفرية، وكنت أقف على باب الخيمة المخصصة لانجل وفريقها لكن لم يكن أحد في الخيمة...

كانت هناك طاولة كبيرة وبعض الكراسي وبعض المعاول والأدوات الأخرى...

لا شيء آخر...

أُصبتُ بالإحباط...

أردتُ أن أرى هذه الفتاة الأن واليوم وكل يوم...

أريدُ أن أكون معها الأن واليوم وكل يوم...

أريدُ أن أمنحها الحب وأن تمنحني قلبها الأن واليوم وكل يوم...

جلستُ على صخرةٍ تحت شجرة بإنتظار قدوم أحدهم وذهب التفكير بي إلى مكانٍ لا أعرف أين هو بالتحديد لكن كنتُ كالغائب عن الوعي...

شعرتُ بيدٍ قاسية على كتفي...

إلتفتُ إلى الخلف فكان البروفسور دانيال... وقفتُ وحييت البروفسور ورد السلام

- أنت نشيط! لكن لماذا أنت هنا؟

- كنت بإنتظار انجل ... أقصد المجموعة!

وأحمررتُ خجلاً... ما أغباني

- انجل !

نظر إلي مطولاً ثم قال لي:

- أدخل إلى الداخل... انجل ستأتي قريباً...

دخلنا الخيمة وأنا أنظر لزواياها لعلها تظهر من إحداها كعروسٍ بالأبيض تزف لي، لكن سرعان ما دوخني عطرها الباقي في الخيمة...

أنه عطر مميز... رائحتها عطر بحد ذاته...

رائحةُ عطركِ يا انجل في الجو كأنها مُخدّرٌ ثملتُ به...

سكرتُ بكِ يا انجل وسكرت بالعطر!

وما أن بدأت احتسيكِ واستنشق هواكِ المعطر بكِ حتى قاطعني البروفيسور مجدداً:

- لقد قسّمت الحفرية إلى فريقين...هل لديك مانع؟

- مانع؟ لماذا يكون لدي مانع؟

- أنت مندوب دائرة الأثار في الحفرية ولا بد لي من أخذ مشورتك.

- لا يهمني... القرار قرارك...لكن هل لي بطلب؟

- تفضل

- أريد أن أكون في الفريق الذي تكون فيه انجل .

- نعم ضروري... ستكون بالطبع في فريق انجل .

- حقاً؟ شكراً برفسور

- العفو.

ابتسم الثعلب...

ابتسامة هذا البروفسور اللئيم إبتسامة ماكرة، وعرفت أنه أصطادني بشباك انجل ... لكن لا يهم... المهم أن أكون سمكة انجل... انجل فقط... أما هذا الماكر فإن لف ودار معي فسأحكم عليه بالإعدام بمجرد أن تنتهي الحفرية... عندها سأكون قد وضعت أفكاري وخططي بعلاقتي مع انجل ...

سأحاول جاهداً أن أكون معها وأن تكون لي...

انجل أهم عندي من هذه الحفرية الغبية في مكانٍ مثل هذا سبق أن حفر فيه أخرون فأصبح ركاماً! ماذا يمكن أن يكتشف هذا الغبي وغيره لم يكتشفوه؟

صحوت من أفكاري على صوته...

- انجل تقيم في فندق قريب هي ومجموعتها أما مجموعتي فتقيم في فندق آخر... قريب أيضاً من فندق انجل... لا بد أن تعرف أن مجموعتي من العمال لا تختلط بمجموعة انجل ولا يوجد بينهما أي اتصال إلا عند الضرورة، وستبقى أنت مع مجموعة انجل إلا عندما أطلب منك أن تأتي لمجموعتي وهذا لن يحدث إلا اذا زارنا أحد من دائرتك أو جاءنا التفتيش الأمني، أو قاربنا من الإنتهاء... أنت أجبرتني على أن أقسم فريقي إلى فريقين.

- لا تهتم بكلاهما... أنا سأعمل على أن لا يأتي أيهما للموقع.

- أحسنت... ومع ذلك فالحذر واجب.

وبينما كنا نتحدث شعرت برائحتها تفوح مجدداً... عطرها يكاد يخلق بستاناً من أجمل الزهور والورود في اعماقي...

فجأة ظهرت أمامي الأمبراطورة تيودورا عشيقة وزوجة الأمبراطور جستنيان...

أم أنها كليوبترا اسطورة الزمان والمكان ابنة بطليموس الثالث عشر؟

أيعقل أن تكون ملاكاً أرسلها الله لنجدتي مما أنا فيه؟

لا ما عدت أومن بهذه الخرافات... والفضل يعود لأمي! جعلتني أكره كل الطلاسم والخزعبلات.

ألعلها فضائية من كوكبٍ آخر؟

كم أنا سخيف... ما الذي أقوله؟

ألعلكِ يا انجل من زمانٍ آخر؟ روحٌ شبيهةٌ بي من زمان آخر! ألتقيتها مسبقاً وأتت لي لتنقذني ولتنتشلني من الغرق في هذا الوحل... هذه الرمال المتحركة ونهايتها الموت... حوض البطاء[1] هذا!

لا أعلم فجأة شعرت أنني بحضرة ملكة الملوك انجل وليس أمام فتاة عادية تدرس في إحدى الجامعات كعالمة أثار...

وقفت وأنا أنظر إليها... مدت يدها... ومددت يدي... ولمستها لأول مرة...

١- البطء.

فأصبتني الكهرباء...

تلك الكهرباء التي لا تقتل، ولكنها بالتأكيد ليست كتلك الكهرباء التي تمر بك بلا رحمة... أنه ذلك التيار الذي يسري بهدوء وجمال لمرة وتستمر بالمرور للأبد... وتبقى ذكرى هذا التيار للأبد.

لقد أصابني تيارٌ قوي من كهرباء الحب وبقي داخلي ينفض أعماقي دون أن يقتلني.

ثم نطقت سيدة الجمال وإله الحب:

- صباح الخير سيد تميم ... صباح الخير بروفسور.

دخل خلفاها الرجال الأربعة والفتاة المراهقة! أنهم كالظل خلفها... كانوا يحملون صناديق وعلب وكتب وأوراق وملفات وضعوها في اماكنها وتوزعوا كلٌ إلى عمله بدون أن ينطق أحدهم أي كلمة... أما البرفسور دانيال فأمسك أحد الكتب وفتحه... ثم قال:

- انجل... السيد تميم سيكون في فريقك... سيبقى معك على مدار الساعة... احجزي له في الفندق معكم... ستتولين أمره من الأن... أنا سأذهب لحفريتي كما اتفقنا بالأمس في الفندق، ستتولين أمر هذا الفريق وأنا سأتولى أمر الفريق الأخر وسأراقبكم من بعيد وكل ليلة سنجتمع في الفندق لندرس الوقائع... اذا احتجتموني أرسلوا لي وإن احتجتكم سأرسل لكم... تذكروا أمامنا وقت قصير جداً... بمجرد الوصول للهدف تعتبر الحفرية منتهية.

كان الكلام واضحاً... هناك فريقان... فريق يعمل على شيء ما سري وفريق إلهاء يحفر... لكن إلهاء لمن؟ ولماذا؟

كنت أفكر في عقلي ما الذي يجعل البرفسور دانيال يضمني لفريق المهمة السرية بينما يجب عليه أن يضمني لفريق الإلهاء... ما هذه البعثة!

كل لحظة تزداد شكوكي بهذه البعثة!

نظرت انجل مباشرة إلى عيني فجردتني من أفكاري وقالت: حاضر بروفسور.

أعاد البرفسور الكتاب إلى مكانه، وقال مغادراً مع الفتاة المراهقة: انجل انتبهي للوثائق... وأنت يا تميم لك مبلغ مئة دينار عندما تصل للفندق ستسلمك إياها انجل ، أرجو أن يبقى أمر المكافئات بيننا.

رددت بسعادة بالغة: أمرك بروفسور دانيال.

لقد امتلكني هذا الصعلوك... أصبح سيدي وأنا عبده...

أمس منحني مئة واليوم مئة... كل يوم مثل هذا المبلغ وسأجني مبلغاً جيداً أدخره لأحضر لانجل خاتم ألماس، وأطلب يدها كما هي عادة الأمريكان!

فردت انجل والرجال الأربعة على الطاولة خريطة المنطقة... لم تكن مثل الخرائط التي تستعين بها الفرق الأثرية والتي تشتريها من المركز الملكي الجغرافي بل كانت خارطة قديمة فيها الكثير من الرموز والإشارات...

أخذوا يتبادلون الحديث في قياسات وأبعاد واحداثيات بين القدس وعمان... ثم بين جرش وعجلون والكرك... كانوا يفتشون في الكتب القديمة والجديدة عن أبعادٍ ورموز وينظرون لصور بالمكبرات... وكانوا يتحدثون عن دقة أبعاد هذا الموقع وإحداثياته... كانوا يحاولون التوصل لنقطة معينة... ساعات وهم يقرأون في الكتب والمخطوطات ويراجعونها على خرائط متعددة وصور جوية...

في الأخير قالت انجل: الأغبياء عندما حفروا لم يوثقوا مكان المسمار جيداً... رموه بعيداً عن مكانه ونحن الأن متورطون بهذا الأمر... لا أعرف هل وثقه البرفسور خليل جيداً أم لا.

قلتُ لها: أي مسمار؟

نظرت لي من فوق إلى أسفل، ووضعت في فمها قلم رصاص وأخذت تلعب به بلسانها: المسمار الذي نبحث عنه... وعن مكانه الأصلي.

جن جنوني بحركتها... وعَرفت أنني جُننتُ بها... فاستمرت تقوم بها دون أن تعبأ بمن حولنا...

لعلها تريد مني أن أُجن...

وكيف شكل هذا المسمار...

نظرت لأسفل... إلى بنطالي... وبقيت عيناها مسمرتين على بنطالي.

- يفترض أن يكون هنا مسمار حديد حسب وثائق محددة... المسمار رمز لشيء معين.

في ذلك اليوم الربيعي عندما رأيتُ فيه انجل في الخيمة كان يوماً عادياً ثم انقلبت الامور... انقلبت اموري وانقلبت امور الطقس... واختلفت أولوياتي مع اختلاف الطقس وبدأت الغيوم تتجمع ثم أخذ مطر غزير بالهطول بشكل جنوني والخيمة ترزح تحت كمٍ هائل من هطول مطري لم تشهده المنطقة منذ فترة طويلة...

كانت الخيمة قوية قادرة أن تصمد أمام جنون الهطول ولم تسرب إلا أقل القليل منه علينا...

وأنا ضعيف جداً أمام انجل وبدأت غيومي تتجمع وانتصب قلبي ثم أخذ مطري الغزير بالهطول بشكل جنوني وأنا أرزح تحت كمٍ هائلٍ من العشق.

المطر والحب يتشابهان جداً... كلاهما نادرٌ هنا لكنهما عندما يحضران فإنهما يحضرا بقوة وغزارة...

أما انجل فقد لفت الأوراق الكبيرة من مخططات وخرائط ووضعتها جانباً بسرعة...

وببطء ركزت اهتمامها على خارطة صفراء قديمة اعتنت بها جيداً ووضعتها في أنبوب بلاستيكي وأحكمت أغلاقه جيداً ثم وضعته في صندوق خشبي واغلقته بالقفل جيداً ووضعت المفتاح في جيبها ثم جاءت بقربي والتصق كتفها في كتفي...

أخرجت سيجارة وأشعلتها ثم نظرت لي

- أنـتم العـرب مـن عـادتكم أن تعرضـوا سـيجارة قبـل أن تأخـذوا لانفسكم سيجارة... أليس ذلك صحيحاً؟

ابتسمت وأنا أنظر لباكيت السجائر وأحسد تلك الفلاتر في نهايـات الـسجائر التي تتخذ من شفتيها ركناً لإقامةٍ ولو قصيرة في جنةٍ حمراء لا مثيل لها...

- صحيح... ولكنني أميل أكثر لتدخين الأرجيلة!

- حسناً أترغب بسيجارة؟

- لما لا؟

جلـسنا عـلى كـراسي قـصيرة ثـم قـدمت لي سـيجارة مـن باكيـت السجائر وأشعلتها لي...

سكب أحد الرجال لنا القهوة ومنحني قدحاً كبيراً ولانجل قـدحاً آخر... أخذت ترشف القهوة بلطف وأنا أنظر لها...

أخذني خيالي إلى بعيد...

وتسألتُ عن سر الأنوثة والقهوة... ما سر العلاقة بيـنهما؟ لدرجـة أننا نحن معشر الرجال نحب أن نشرب القهوة التي تعدها النـساء، ولا نحب القهوة التي نصنعها نحن...

أسكرتَ بقهوة من تُحب؟ إن لم تفعل فأنت لم تتذوقها وتعـشقها... "المحبوبة" و "القهوة".

أتلذذتَ بكحلتها؟ إن لم تفعل فإعلم أن سواد ليلك حالكٌ، فحـال بينك وبين أن تفهم سر إرتباط الأنثى بـالقهوة، ولكـن إن أحببتهـا فـإن

ليلك من كُحل عينيها... وستسهر وأنت تحتسيها... وأنت تعشقها... وأنت تناجيها... أقصد"المحبوبة" و "القهوة".

أسرقتَ قبلة من شفتيها؟ قبلة تدوخ رجولتك فتسقط صريع الهوى، وقدماك لا تقوى على حملك... أقصد "المحبوبة" و "القهوة".

أنمتَ على صدر فنجان قهوة؟

كيف؟

لا تسألني كيف تنام على صدر القهوة، فالذي تراه مستحيلاً في الحُبِ، لم تُجربهُ قطعاً ... أقصد " المحبوبة" و"القهوة".

وأنتِ يا انجل ... المحبوبة والقهوة! المعشوقة الشقراء والقهوة السمراء...

انجل ...

دعيني أُفاتحكِ بشيء ما في قلبي... أنا منذ عرفتكِ ما عُدتُ أعرفُ نفسي...

ما عادت الأوراق تكتبني أو تكتبكِ...

ما عاد الحبر يكفي لتسارع خطوات قلمي...

ما عاد "بيت الحياة" شغفي وقلقي... فأنتِ الشوق وأنتِ الراحة... وأنتِ تعبي.

وأنتِ بيت حياتي... وأنتِ الشهوة... وأنتِ الرغبة... وأنتِ قلقي.

صحوت من خيالي على صوتها وهي تقول:

- اليوم لن نستطيع أن نفعل شيئاً... توقعنا أصلا هذا الجو السيء لذلك قمنا بتأجيل أعمال اليوم... ماذا تريد أن نفعل؟

أهٍ لو تعرفين يا انجل ماذا أريد أن أفعل...

بلعت ريقي وجمعت كلماتي بصعوبة وقلت لها:

-اخبريني عن أسلوبكم في الحفريات الجديدة... رأيتك تضعين كل المخططات والخرائط في صناديق إلا واحدة فقط تعاملت معها على أساس أنها شيء ثمين ووضعتها في أنبوب مخصص لها ثم بصندوق خاص....من مشاهدتي لها عن بُعد أعتقد أنها مخطوطة ثمينة .

-نعم أنها مخطوطة تعود لحوالي القرن السابع الميلادي وهي مهمة جداً سنحاول أن نربط هذه المخطوطة مع مخطوطات أخرى ونقوش وعلامات وأشياء أخرى لتعطينا تأريخ هذا المكان بالتحديد... ومكان المسمار... المخطوطة تحمل خارطة وعبارات ورموز وجزء منها صلاة لهرقل.

-أي هرقل تقصدين؟ هرقل عظيم الروم؟

-نعم... نحن نعتمد عليك في الكثير من الأمور.

-سأساعدكم قدر المستطاع.

-حسناً سأطلعك ما هو المطلوب منك! غداً صباحاً سنذهب لدائرتك وسنذهب لقسم التوثيق والحقوق الفكرية... هناك بحث علمي قدمه بروفسور عربي اسمه خليل لنفس هذه المنطقة، نريد نسخة من هذا التقرير مع مرفقاته كاملة.

-ألا تعلمي أن الأمور لا تسير ببساطة هكذا في الدائرة.

- أعلم ستقول لي حقوق الدكتور العلميـة... البروفـسور خليـل مـات منذ مدة في روما.

- سمعت الخبر، ولا أصدق أنه انتحـر هكـذا... أعرفـه رجـل متـدين ومتزن ولكن حدث ما حدث، عـلى الأقـل الـدائرة سـتطلب رسـالة منكِ واذا تمت الموافقة وهنا تكمن الصعوبة ستـسمح لـكِ بـالاطلاع على التقرير فقط دون نسخه أو أي شيء من هذا القبيل.

- ألا تستطيع إحضار هـذا التقريـر بـدون هـذه التعقيـدات الروتينيـة... أنـت صديقهم يمكنك أن تأخذ التقرير عادي ودون أن ينتبه أحد أو يهتم...

- لكن هذا ممنوع... وسيضر أحد الزملاء إن أخذناه بطريقة غير قانونية.

- هل سبق وأن سُحبت التقارير من عندكم دون أن يهتم أو ينتبه أحد.

- كـان... حـدث سـابقاً... لكـن الأن التقـارير موثقـة في الحواسـيب والإطلاع عليها يحتاج لولوج خـاص تحـت انتبـاه وتركيـز مـن قبـل موظفين مختصين ويسجل النظام أي عملية اطلاع أو سحب على هذه التقارير ولا تتم العملية الا عبر كلمة سر... ناهيـك عـن الكـاميرات المحيطة بقسم التوثيق تكشف عن أي محاولات لإخـراج أي ورقـة أو قرص مدمج أو ذاكرة مهما صغرت من القسم بـل يـسجلها حاسـوبياً فورا بمجرد دخولها على أي حاسوب في القسم.

- معقول؟ منذ متى هذه الأمور؟

- منذ أربع سنين.

- مع ذلك أريد منك أن تساعدنا على الإطلاع على التقرير وأن تـترك لي ولصديقنا جيمس باقي الأمور... الأمور الإلكترونية سهلة!

- الا يعتبر هذا تعدياً على الحقوق العلمية للدكتور خليل.

نظرت لي بجدية ولم تعلق فقط نظرت لي... ثم قامت من مكانها وذهبـت لمكان آخر في الخيمة! مشيتها أثارت جنوني وضربات خطواتها في الأرض كأنها همسات دبيب في قلبي جعلت روحي تشتاق لأن أمنحها ما تريد...

بدأ شيئٌ ما يحثني في داخلي على أن لا أجعل بعض الأمور العلميـة التافهة تبعدها عني!

ماذا يعني حقوقاً علمية لرجل مات في ظروف غامضة...

وأنت أمام ابتسامةٍ لنصف إله يمشي امامك بكل رشاقتها وأنوثتها وجمالها لا يمكنك إلا أن تتعبد وأن تخضع وأن تقدم البخور...

أريدها... أريدها وبشدة... لكن لا أريد أن أتصرف أي تصرف أندم عليه...

هل أعشقها؟... لا أعلم... لكنني متيم بها...

أن تحب هو أن ترى الأرض تدور حول الحبيب، والنجـوم تـضيء لأجل الحبيب والشمس تشرق بنعمومة للحبيب...

لا أريد أن أخسر الدوران حول محور حياتي الحالي الأن... لا أريـد أن أخسر حرارة وضوء هذه النجمة في سمائي المظلمة...

هل أحبها؟... لا أعلم... لكنني مأخوذٌ بها...

أن تحب هو أن ترى الحبيب قمراً في سمائك... أن تحب هو شعور أن كل شيء مختلف، ولم يختلف أي شيء أنما أنتَ من اختلفت وما عدت كما كنت... ما عدت أنت.

نعم أنا متأكد أنني أعشقها وأنني متيم بها وأنني أحبها وأكثر بكثير مما أتوقع!

يوم أصبحتِ لي

تلك الليلة عدتُ معهم للفندق...

كان لا بد لانجل أن تحضى بما تريد وكأنها خططت لهذا الأمر جيداً...

رغم أنني كنتُ بطل ماخور وضاح وتجري في الغرف المجاورة في الماخور أفعال شبيهة بما فعلتُ مع انجل تلك الليلة وكنت اسمع تلك الأحداث جيداً ويسمعني من في تلك الغرف أيضاً... وفي هذا الجناح في الفندق والذي كان فيه ثلاثة غرف نوم وصالة كبيرة، كان الرجال الأربعة الذين معنا في الفريق يتمتعون بغرفتين ملاصقتين لغرفة انجل وكانوا يسمعون لنا دون أن نسمع لهم صوتاً ولو بسيطاً.

كأن الأمر مخططاً له بأن أقيم معها في الغرفة الوسطى بين الغرفتين... والرجال الأربعة يستمعون لأحاديثنا ويسمعون أفعالنا...أما هم فكأنهم غير موجودين... كأنهم أشباح... لا صوت لهم ولا حركة عندما يدخلون غرفهم...

ما عساهم يكونون هؤلاء الرجال؟

دائماً صامتون... وجوههم بلا معالم... عيونهم ثاقبة لكنهم يركزون على أهدافهم المحددة... لماذا لا تغريهم انجل؟ أو نساء أُخريات... كأنهم رجالٌ أليين... تحركهم بطاريات أو شواحن... لا أحداث أو عواطف أو أحاسيس أو مشاعر!

لماذا اهتم بهم.. اهتمامي بانجل والحب الذي يجري بيننا...

كان ما يجري بيننا رقص... والرقص بين عشيقين صراع...

كان عناقاً والعناق بين حبيبين حربٌ طاحنة...

كنا نتراشق القُبل ونترامى بسهام كيوبيد...

أنتصر عليها حيناً فأمتطيها وتنتصر علي حيناً وتعتلي قممي...

موسيقى جسدينا تشير لسيمفونية الحب فغرقنا في بحرٍ تلاطمت أمواجه فكسّرت قوة الموج أخر مجاديف تورطي والتصقت بهذه الفتاة... فتاة النار والجحيم...

كانت تصعد جبالي ثم تنزل ودياني...

كانت تشرب من مائي كأنها مصاصة دماء... جائعة لشيء ما تبحث عنه بين زواياي وداخل ضلوعي...

كانت كالذئب الذي ينهش جسدي... تأكلني أكلاً.

وكأن لا أحد غيرنا في هذا الكون الواسع...

كأننا أول الخلائق على هذه الأرض... وأخر الأحياء... فإرتبطت بها مع أخر حيوانٍ منوي نزفته تلك الليلة لأجل انجل!

كان لقاؤنا الأول على سرير ولم أشعر قط بالندم عليه... بل شعرت أن هذا الأمر حقي وأن انجل ملكي.

شعرتُ أن عشقي لها إلهي ومقدس... وأنني أخيراً تحررت من علاقةٍ سطحية مع زوجتي.

وأنني تحررت من علاقاتٍ وهمية مع سيدات الماخور... وأنني أنا الآن ذاتي.

أشعر أنني أنكيدو وأنتِ يا انجل المنذورة لي من جلجامش...

انجل ... رحلة إلى خيالٍ بعيد... وهي كل ما أحتاجه...

ولكن حتى الخيال يهاجر من قلبٍ حزين، لـذلك يـا "ملاكـي" لا تتركيني... فأنا أُحبكِ.

أحبكِ...

أهٍ منذ مدة طويلة جداً لم أنطق هذه الكلمة بصدقٍ ومشاعر!

قلبي كان صحرا[1] قاحلة، والآن تفتحت في قلبي ياسمينة اسمها انجل ...

انفجرت في صحرائي ينابيع ماء... فإخضّر قلبي... وكلها لأنكِ حبيبتي.

لماذا نحب؟

يقولون لكي تملأ النصف الأخر منك!

لا ... هذا غير صحيح...

نحن نحب لنكتشف هذا الجزء الآخـر فينـا... الجـزء الفـارغ مـن الهواء والمملوء من ظلنا...

الجزء الذي نجهله منا، ونريد أن يمتلئ... بوجـود الحبيـب الـذي يُكملنا ونحن نكمله...

ولأننا لا نرى هذا الجزء منا فإن الحبيب يكتشفه فينا...

---

1 –الأرض التي تتحول الى صحراء غير صالحة للزراعة، وصحر الشيء أي كان في لونة حمرة خفيفة.

فوجـود الحبيـب في حياتنـا هـو كـالنور... كوجـود الـشمس في المجموعة الشمسية...

وضرورة الحـب هـو كـضرورة الثقـب الأسـود في كوننـا... شيء مفروغ منه! لا نفهمه لكنه موجود ليتمم الشيء الناقص فينا.

أخيراً وصلت إلى الشاطئ المنشود... أخيراً رست سفني...

والشاطئ فتاة شقراء اسمها انجل ...

شاطئ يلمسه البحر دون أن يغرقه... و انجل فتاتي الشقراء لمستها في تلك اللحظة دون أن أغرقها بحبي، لكنني لا أرغب فقط بلمسك يـا انجل ... أنا أريد أن أكون تسونامي حب... أريد أن أغرقك في بحـري للأبد وأن تكوني لي وحـدي فقـط لا يـشاركك بي هـواة الـشواطئ ولا سفن راسية ولا مراسي متناثرة ولا راكبو الأمواج ولا صـيادو الـسمك ولا صيادو الكنوز...

أريدك أن تكوني لي فقط... لسفني وموجي وجنوني وزبدي ولوني الأزرق وعواصفي وهدوئي ومرجاني وكنوزي التي اخفيهـا في داخـلي والوحوش التي تسبح في أعماقي... لي أنا فقط.

منذ تلك الليلة انتهى ارتباطي بالماخور... وبعائلتي!

وبدأتُ حياةً جديدة.

ماخوري الخاص بي

جُنَّ جنون جاحظ العينين...

-كيف تفعل هذا؟ من أعطاك الحق لتتصرف هكذا؟ أمجنون أنت؟

جُنَّ جنون جاحظ العينين حين عَلِمَ أنني قررتُ أن لا أذهب للماخور... وأنني وجدتُ ماخوري الخاص بي...

- نعم أعتقد أنني مجنون... مجنون بحبها.

- أنت لا تعلم ماذا تفعل! عائلتك سينقص دخلها وستجن زوجتك مجدداً، وستعود للمربع الأول و" كأنك يا زيد ما غزيت"... أنت مجنون... أنت مجنون رسمي.

- أنا أحب انجل ... ولأنني أحبها لن أذهب للماخور مجدداً... ثم أن البروفسور دانيال سيمنحني مبلغاً جيداً... سأرسل بعضه إلى عائلتي وسيكفيهم مع جزء من راتبي وأفكر ملياً بأن أترك زوجتي المجنونة وساتزوج انجل .

- لا يمكنك أن تفعل هذا... أنتَ تبيع كل شيء في حياتك بخسارة... في سبيل انجل ... أنت مجنون... أنت مجنون.

- لا تصرخ! إياك أن تصرخ! اذهب بعيداً عني.

- ستعود لي في كل مرة... وفي كل مرة تبكي كالأطفال.

وإختفى كما ظهر فجأة...

قد أكون قد جُننت... لكن كلام جاحظ العينين الذي يرعبني دوماً كلما أراه ولا ارتاح إلا برؤياه قد أصابني في مقتل!

غضبنا من بعضنا قليلاً لكنني أسرعت كعادتي إليه... عُدتُ إليه أبكي!

أحتضنني هذا المخلوق المسخ كما يفعل دائما...

منحني ارجيلة حرقت صدري...

-أأعادت انجل لك ماضيك الأليم؟

-حينما يكون الألم واقعاً فلا مفر منه... حينما يكون شيئاً تشعر به فلا مفر منه... لماذا لا نقبله كأنه جزء منا؟ لماذا لا نحضنه ونقول له أهلا وسهلا؟ لن يبتعد هذا الشيء عنا... لن يرحل! إذا لنساكنه... لنتعايش معه... لنتقاسم معه الخبز والأكسجين وأشعة الشمس... لنضاجعه... لنعشقه... ولنداعبه في أوقات الفراغ ونفك جدائله... ليتحرر... ونمسح عنه غبار الأيام...

-نعم هو لن يرحل عنا... فلنجعل أقامته معنا مباحة... فإما يمل منا وإما نعتاد عليه...

-لا ينفع مع الألم لعب دور الضحية... لا يهتم بما تذرف من دموع... لا يهتم بقسمات وجهك العابس... بتجاعيده... لا يهتم كم شعرة بيضاء حقق في شعرك... كم غصة في القلب نجح في تنفيذها... كم من تنهيدة حزن... كم من عضة شفة... الألم لا قلب له.

- تذكر... الألم ليس بشرياً ولا انسانياً ليشعر أنه ضـيف ثقيـل دم... لا دم له... لا يشعر أبداً أنه ضيف... رافقك منـذ الـولادة... منـذ لقـاء أبيك بأمك في ساعة رغبة... هو معك إلى الأبد... لذلك هو توأمـك الشبيه بك... كما نحـن يـا رفيقـي ... هـو أنـت الأخـر... هـو أنـت الكلي... هو صورتك ومثالك... هو واقعك لا خيالك ... لذلك هو لا يَعتبر نفسه غريباً عن نفسك... يُطالبك بأن تشعر به وأنـت تحـاول أن تبعده، لذلك يلتصق بك أكثر... هو يطالبك بهويـة وأنـت تحـاول أنكاره، لذلك لن يقبل بأقـل مـن اسـمك... هـو يطالبـك بحقوقـه، وأنت ترفضه... هو يطالبك باللجوء، وأنـت تدفعـه بعيـداً عنـك... فيتسمر بك، ويصلبك على خشبته فتنـزف حتـى المـوت! لـذلك لـن تعيش إلا معه وكلما أبعدته عنك ألتصق بك أكثر... أنه أنت...

- الألم كقطعة سكر نضعه في فنجـان الحيـاة لنذيبـه ويختـلط... لنـشربه بصمت... لكن على مرارته لن يقبل الذوبان... يبقى كقطعـة واحـدة تبعث بالمرار في قدح الحياة فلا نحن نـسكر ولا هـو يـذوب... يبقـى مدى الحياة... يختلط ويبعث فينا مكونات المرار ولا يذوب.

صديقي الجاحظ العينين مثلـه مثـل الألم يـزورني في أوقـات كثـيرة ويختفي من حياتي بعض الأحيان... وحتى عندما يختفي لا يتركني...

كائن الصمت حين يتحدث... يتحدث بلا توقف... ومـن بـراثن لسانه أعرف أحياناً الحكمة وأحياناً أخـرى الغبـاء... متنـاقض بـشكل كبير لكنه رفيق دربي...

من هو هذا المسخ؟

دائما ما أتسال من هو... حقاً لا أعرفه... كل ما أعرفه عنه أنه يشبهني جداً ولا يشبهني...

مسخٌ رافقني منذ طفولتي من المهد إلى المدرسة إلى الجامعة إلى العمل... حتى في الماخور أحياناً أجده... ضاجع نصف نسائي، والنصف الأخر كان يقرف منهن...

سرق بعض أموالي، واستدان البعض الأخر دون أن يكلف نفسه بسداد ديونه... وأنكر بشدة عند مراجعتي له...

صديقي الجاحظ العينين طالما انتحل شخصيتي وفعل أشياء لا أفعلها ورحل تاركاً اسمي وبصمتي في المكان... وكلما راجعته... قال لي: أتظن نفسك حراً؟ لا يا سيدي، أنت رهن الإعتقال منذ أن ولدت...

لقد "وقعت" في الحب

في اليوم التالي في الصباح الباكر صحوت على صـوت انجـل وهـي تأخذ حماماً وتغني:

I do it for you

نظرت للغرفة كان الفطور موجوداً على طاولة... فطـور خيـالي... كُنتُ جائعاً... لقد امتصت انجل أمـس كـل قـوتي... سـأنتظرها حتـى تكمل حمامها لنفطر معاً... انجل ملاكي الذي أصابتني في مقتـل وحـل سهمها في قلبي مباشرة...

أخـذتُ اسـتمع لهـا تغنـي وصـوت الميـاه تتـساقط عـلى جـسدها اللذيذ...

Look into my eyes, you will see
what you mean to me
Search your heart, search your soul
and when you find me there
you’ll search no more
Don't tell me, it's not worth tryin' for
you can't tell me, it's not worth dyin' for
you know it's true
everything I do, I do it for you
Look into your heart, you will find
There's nothin' there to hide
Take me as I am, take my life
I would give it all, I would sacrifice
Don't tell me it's not worth fightin' for
I can't help it, there's nothin' I want more

You know it's true
Everything I do, I do it for you, oh yeah
There's no love, like your love
and no other could give more love
There's nowhere, unless you're there
All the time, all the way yeah
Look into your heart baby
Oh yeah
Oh, you can't tell me it's not worth tryin' for
I can't help it, there's nothin' I want more
Yeah I would fight for you
I'd lie for you
Walk the wire for you
Yeah I'd die for you
You know its true
everything I do, ohh, I do it for you
Everything I do darling
We will see it through
We will see it through, yeah
Yeah, just look into your heart
You can't tell me you'll die for love
Oh yeah, I'll be there
I'm goin' all the way, all the way

يقولون أن الإنسان عندما يغني في الحمام فإنه عاشق... لعلها تعشقني الأن بعد أن لمست فيها ما لم يلمسه رجلٌ فيما مضى... نعم لست أول رجلٍ يمر عليها، لكن يبدو أن مروري صنع في قلبها عشقاً لتغني هكذا.

أهٍ كم أحبها هذه الفتاة...

نحن نقع في الحب ولا نمارسه... يقولون أننا نمارس الحب، لكن من يقول عن الحب أنه ممارسة فإنه يظلم الحب! فالممارسة فعل فقط، لكن الحب أكثر من أن يكون فعلاً وأكبر من أن يكون عملاً!

نحن لا نجيد الحبُ لنمارسه، لذلك متى وقعنا فيه فلا مفر... لا مفر من التخبط لأننا لا نعرف كيف نتقن الحب... نسبح به ظناً أننا نستطيع السباحة لكننا مهما أجدنا الحياة فإننا نغرق اذا ما أحببنا...

الحبُ ليس علماً لِنَدرسهُ ونُدّرسهُ... الحبُ ليس وظيفة لنمارسها... الحبُ ليس فناً لنرسمه ونعبّر عنه بالتماثيل واللوحات والقصائد... الحبُ ليس أدباً ولا قصيدة ولا رواية... الحبُ ليس ديانة ولا فقهاً ولا فكراً... الحب أكثر من هذا وذاك.

الحب حالة استعصائية... الحب أصعب من أن يكون معادلة رياضية... الحب ليس مادة فنطبق عليها علوم المواد ولا هو وهم لنقول عنه غير موجود إلا في رؤوسنا... الحبُ موجود... الحبُ ليس ملموساً ... وليس خيالاً... الحب ليس كالضوء لكنه أسرع منه... الحب فوق الفيزياء وليس كيمياء... الحب لا تنطبق عليه أي قواعد ولا يخضع لأي نظام... الحب فوق اللغة!

الحُّبُ سهلٌ جداً إلى درجة أنكَ لا تستطيع أن تحب أيّا كان...

والحُّبُ صعبٌ جداً إلى درجة أنك لا تستطيع أن تحب هكذا بدون أن تتألم وتسهر وتفكر ويتخربط كيانك كله.

يخلط الناس بين الحب والشعور بالإطمئنان أو بين الحب والرغبة أو بين الحب والإحتياج لشخص يكون قريب منك وأنت قريب منه... الحب هي هذه كلها! لذلك نحن لا نختار من نحب، بل " نقع" في

الحب، بينما قد نختار من نرتاح لهم أو نشعر بمن يرتاح قلبنا لهم، نختار من نصادقهم ونقربهم منا ومن نعاديهم ونبعدهم عنا...

أما الحب فهو كالسير فوق الماء، كالركض صعوداً نحو قمة جبلٍ جليدي...

لا شيء في الحب يُفهم... لا شيء في الحب يُدرك... كحفرة في الطريق نقع فيها دون سابق إنذار!

حاولت تجنب الحب... حاولت أن لا أقع فيه...

كم مرة قلت للحب أن أُغرب عن وجهي! فغاب وجهه عني ومفاعيله باقية...

وهذه المرة جاءني الحب على هيئة فتاة اسمها انجل ... ياسمينة دائمة الزُهرة والرائحة العطرة.

المهمة المستحيلة

لم أعد اسمع صوت الماء... توقف صوت المـاء... وبقيـت قطراتـه تتساقط عن جسدها... كأنها قطرات المطر تنزل ببطء عـن جـسد تمثـالٍ يوناني لأنثى إلهية...

خرجت بعد دقائق مـن الحـمام تلـبس ثـوب الإسـتحمام ونـادتني للفطور... قبلتني على شفتاي

- شكراً أيها الوحش... ستقيم معي كل ليلة... الأن لنفطـر... نريـد أن نذهب معاً لدائرتك...
- هل ضروري أن نذهب كلنا معاً.
- نعم... نريد أن نعطل الكاميرات لنستطيع أن نحظى بنسخة من التقرير.
- هذا صعب
- لا يوجد صعب عندنا... كل شيء يمكننا أن نفعله! المهم سنذهب أنا وأنت و أحد رجالنا اسمه " جيمس" ومعنا رسـالة مـن البروفـسور، ستأخذ أنت الرسالة وستذهب لتحصل لنا على موافقة عـلى الإطـلاع على التقرير وستتركني وجـيمس نقـوم بـبعض الأعـمال الإلكترونيـة لنعطل الكاميرات والتشويش على أجهزة المراقبة.

أخذت تأكل بشراهة كلبوة جائعة بكـل ثقـة وذوق... وأنـا بـدأت أتناول فطوري من كل أنواع الأطعمة التي أمامي... كنـت جائعـاً بعـد

الذي فعلته بالأمس وكنت أريد أن أجدد طاقتي لهذه الفتاة... ولهذه الحفرية... أنها مغامرة.

رغم أنني كنت سعيداً بهذا الحب، لكنني كنت أشعر ببعض القلق من هذه الأحداث السريعة... حب سريع، علاقة سريعة، أموال كثيرة تأتي بسرعة... ثم ما قصة اهتمامهم بتقرير حفرية... أخذ التقرير بصورة غير قانونية... تعطيل الكاميرات... تشويش... أشياء لا أفهم لماذا يفعلونها؟

كانت الأفكار السلبية تجتاحني وأنا أكل وأشاهد هذه الفتاة الرائعة الجمال تأكل مثلي... كانت كل فترة ترمقني بنظرات شهوانية فتثير في داخلي زوابع وعواصف، فتثير أوراق أفكاري وتبدد شكوكي وتعيث فساداً بعقلي... ما عدتُ استطيع التفكير جيداً!!! فما أغباني!

التورط فيكِ... التورط معكِ

كان جيمس يحمل حقيبة كبيرة وكنت متأكداً أن بداخلها جهاز التشويش وانجل تحمل حقيبة أصغر حجماً وفيها بعض الأجهزة الأخرى وأما أنا فكنتُ أحمل رسالة من البروفسور دانيال لعطوفة المدير تتضمن طلباً بالإطلاع على تقرير البروفسور خليل...

لأول مرة أدخل دائرتي مرتعباً وجسدي كله يرتعش من الداخل... ومع ذلك حاولت أن أشد عزيمتي وأن لا أظهر الخوف على قسمات وجهي أو تعابير جسدي... بمجرد ما وصلنا للدائرة تفرقنا... أنا توجهت لأسلم على بعض الزملاء ولأخذ موافقة للإطلاع على التقرير، وأما هما فتوجها إلى قسم التوثيق...

كانا يحددان أماكن الكاميرات والبقع التي لا يمكن للكاميرا الوصول إليها...

عندما عدت إليهما بالموافقة أشرت لهما بأنني نجحت فإبتسما وفوراً شغلا التشويش من مكانهما حيث لا تسجل أي كاميرا حضورهما بينما كنتُ أُدخل أنا وزميلي جلال في قسم التوثيق كلمة السر على أحد الحواسيب لنستطيع الولوج للتقارير... ثم أحضر جلال ملف التقرير كاملاً...

جلسنا ثلاثتنا نعمل... جيمس يفتش في الحاسوب وأنا وانجل نفتش في الملف وجلال ينظر إلينا لا يفارقنا ولكن معظم نظراته كانت لانجل ... نعم أنها تُبهرُ بجمالها كل من ينظر لها...

قُلتُ لها: ما الذي نبحث عنه بالتحديـد؟... سـألتها وهـي تقلـب صفحات التقرير المكتوب بالعربيـة وكأنهـا تبحـث عـن صـورة محـددة ضمن مجموعة من الصور المرفقة في التقرير.

- نبحث عن المسمار.

- المسمار الذي اخبرتيني عنه.

- نعم... المسمار إياه.

- أم تريدين مسماراً أخر؟

نظرت لي بمكر وقالت: تميم الوقت الأن للعمل وليس للتسلية...

- حسناً... حسناً.

وأخذت تقلب التقرير دون جدوى إلى أن يأسـت ولم تجـد صـورة لأي مسمار... أغلقت التقرير ووضعت يدها على رأسها وكأنهـا غابـت عن الوعي... فتحتُ التقرير وبحثت عن فهرس القطع إلى أن وجـدت كلمة مسمار... قلت لها: نعم هناك مسمار.

- ماذا؟

- هناك مسمار...

قُلتها وأنا أحاول أن أراجع الصور محاولاً أن أجد الـصورة المـشار إليها في الفهرس لكن يبدو أن الصورة كانت مفقودة.

- يبدو أن الصورة نزعت من التقرير... أنظـري هنـاك تمزيـق بـسيط في طرف الملف وكأن الصورة نزعت نزعاً من الملف.

نظرت مطولاً وهزت رأسها مؤكدة...

- أغبياء... موظفون أغبياء... كيف يسمحون لأحد أن يأخذ شيئاً هكذا.

نظرتُ لجلال الذي يجهل الإنجليزية ويبدو أنه فهم ما تقوله انجل وبدا ممتعضاً... إبتسمتُ له خجلاً...

- انتبهي بما تتفوهين أمام الموظفين...

- أعتذر.

- سأصلح الأمر.

أوضحت لجلال أنها متضايقة من الموظف السابق فإبتسم.

- قلت لي أن الموظفين يسجلون اسماء من يراجعون التقارير في سجل خاص، هل هذا صحيح؟

- نعم مؤكد...

- اذا اسأل جلال... هل يمكننا الإطلاع على سجل المطلعين على هذا التقرير؟

- ما قصة هذا المسمار؟

- سأخبرك بعد أن تحضر سجل المطلعين على التقرير.

نظرتُ لها نظرة المنتصر، فأنا رجلها الذي يستطيع أن ينفذ طلباتها ويحققها بكل سهولة... ثم التفت للخلف وناديت صديقي جلال...

- جلال... جلال... هل يمكنك أن تقدم لي خدمة؟

جاء جلال وقال: طبعاً... ولكن لماذا نحن أغبياء؟

فهمت انجل من تعابير وجه جلال أنه مستاء من كلماتها فإعتذرت فوراً وكان اعتذرها مثيراً... فقبل جلال الإعتذار سريعاً.

- هل يمكنك أن تجلب لي سجل المطلعين على هذا التقرير؟

- دقائق ويكون عندك...

أختفى جلال من الغرفة بلمح البصر... أما أنا فإلتفت إلى انجل... نظرة مباشرة إلى عينيها الجميلتين ثم أمسكت يدها بكلتا يدي وقلت لها: ما قصة هذا المسمار.

- أنه مسمار من مسامير المسيح!

- ماذا؟ المسيح؟ كيف هذا؟ من أين لك هذه المعلومة السخيفة؟

سَحَبتْ يدها من بين يدي ونظرت مباشرة في عيني وقالتْ: ليست معلومة سخيفة... أمامك تقرير الدكتور خليل إقرأ وستعلم عن ماذا يتحدث...

نظرتُ لها... ثم للتقرير... فتحته... وبدأت أنظر له... أما هي فأكملت حديثها

- ليس مسمار المسيح الحقيقي لكنه مسمار رمزي يقود لأمور مهمة... خطيرة جداً

- أليست المسامير في روما؟

- كلا... أعتقد أن معظم المسامير الحقيقية ما عادت موجودة، المسامير الحقيقية على ما يعتقد نُقلت إلى القسطنطينية منذ القرن الرابع حسب المؤرخين سوكرتس وسوزومنوس وتيودوتردس ثم بعد ذلك تم

اذابة أحد المسامير وإدخالها على الملابس الملكية للإمبراطور قسطنطين وسراج حصانه...

بينما كانت تتحدث وجدتُ معلومة مهمة في التقرير وقاطعتها...

- أنظري هنا ماذا يقول الدكتور خليل...

- إقرأ ثم ترجم لي.

- يقول في هذه الصفحة أنه وجد مسماراً كبيراً لا يحمل علامات بينما كان يتوقع أن يكتشف مسماراً يحمل على رأسه الحرف (שי) في العبرية وأنه يعتقد أن المسمار يعود للقرن السابع أو الثامن الميلادي ولكنه جزم بأنه مسمار من مجموعة مسامير كل واحد منها يحمل حرفاً من حروف المشيا أو المسيا الأربعة (המשיח) وأن المسمار الخامس يجب أن يحمل اشارة (+) فقط، لكنه يؤكد أن لا دليل ملموس على هذا الشيء وأنه استند في هذا الكلام لأسطورة تداولتها عائلات يونانية ذات أصل رومي كانت تعيش في اسطنبول وتدعي أنها تملك حقائق عن كنوز بيزنطية تعود لفترة هرقل اختفت عندما هرب من بلاد الشام قبيل الفتوحات العربية ولم تقع بيد العرب.

لكن باقي التقرير عن المسمار لم يكن موجوداً... كان الكلام ينتهي في هذه الورقة ويفترض أن يكمل في الورقة اللاحقة لكن الورقة غير موجودة ويبدأ موضوع أخر في التقرير يتحدث عن الكسر الفخارية التي وجدت في الموقع...

نظرتُ لها وقلت: اذا كانت صورة المسمار غير موجودة والتقرير ممزق في هذا الجزء... اذا التقرير تعرض لإعتداء مقصود...

-صحيح والأغبياء زملاؤك لم يحاولوا أن يحموا هذا التقرير القيم من العبث... تماماً كما أن الموقع تعرض للعبث... أنظر لصاحبك جلال تركنا وحدنا مع تقرير من أهم التقارير وأقدمها وذهب وتركنا... كان بإمكاننا أن نسرق التقرير كاملاً أو نعبث به كيفما شاء... أغبياء حمقى.

-هم يعتمدون على الكاميرات في المراقبة.

تذكرت بكلامها جيمس... كان يعمل كالشبح... لم نكن نشعر بوجوده قط...

كان في هذا الوقت قد شغل من حقيبته جهازاً... وكان يضع في إحدى حواضن الحاسوب جهازاً صغيراً يشبه ذاكرة صغيرة لكنه كان يحمل هوائياً طويلاً... كان منهمكاً بتعطيل الأجهزة من حولنا دون أن يمس الحاسوب الذي يعمل عليه بأي مشكلة... ونجح بوقت قصير في ذلك وقبل أن يعود جلال... كنا ننظر له وهو يقوم بعمله بإتقان وهدوء!

ظهر جلال يهرول بإتجاهنا وبيده السجل... وضعه امامنا فوق تقرير الدكتور خليل وقال لنا: لم يأتِ أحد منذ مدة طويلة جداً...

نظرتُ للتقرير ونظرت هي إلي لأترجم المكتوب... قلتُ لها: بالفعل لم يرى التقرير بعد أن سلمه الدكتور خليل سوى شخصين، الأول دكتور إيطالي اسمه فرديريكو أليانتو وطالب ماجستير أردني اسمه علاء...

-بروفيسور فرديريكو... عرفته لقد مات قبل سنوات قبل أن يستكمل أبحاثه عن الكنز... بقي علاء هذا. خذ اسمه الكامل وسنبحث عنه لاحقاً... إسأل صديقك جلال أين يمكننا أن نرى هذه المقتنيات؟

-هل تعتقدين أن المسمار موجود هناك؟

-قد يكون.

-جلال... أين تحتفظون بمكتشفات هذه الحفرية؟

-يجب أن تحدد لي أي قطعة لأخذ رقمها ثم أنظر للبرنامج فأعرف أين هي موضوعة.

قاطعتنا انجل فوراً وقالت: خذ... هات لي معلومة عن هذه العملة... ووضعت أصبعها على صورة لعملة ذهبية على أحد وجهيها نقش صورة هرقل وولديه فأخذ رقمها ثم أدخلها على الحاسوب الذي كان يعمل عليه جيمس قبل قليل وخلال ثواني خرج البرنامج بمعلومة بأن العملة محفوظة في مستودع الدائرة للمقتنيات الثمينة في سرداب الدائرة.

- ها هي... أنها تحتنا مباشرة... في السرداب.

- هل كل مكتشفات هذه الحفرية في نفس المكان؟

- طبعا...في عدة صناديق متجاورة على رف واحد.

- هل يظهر معك في المقتنيات مسمار حديد؟

نظر جلال للقطع المسجلة ثم قال: المسمار الحديدي وطوله حوالي ٢٠ سنتمتراً معار إعارة طويلة الأمد للسيد علاء.

أيضاً قاطعتنا انجل مرة أخرى وقالت: جلال هل يمكنك أن تجلب لي شيئاً أشربه؟ قهوة تركية لو سمحت.

- طبعا... وخرج يهرول بسرعة.

أخرجت انجل كاميرا رقمية صغيرة وسلمتني إياها.

- بسرعة خذ هذه الكاميرا وصور لي التقرير... أنا وجيمس سنعمل على الحاسوب... صور التقرير بسرعة.

كانا يتحركان بسرعة وأنا أيضاً خوفاً من عودة جلال... كانت حركة جلال الأخيرة على الحاسوب كافية ليعرفا ماذا يجب عليهما أن يفعلا...

كانا يعملان على نقل للمعلومات من حاسوب الدائرة إلى الحاسوب المحمول الذي كان في حقيبة جيمس... لأول مرة أشاهد سرعة جنونية في نقل المعلومات من حاسوب لآخر... وانتهت العملية خلال دقيقتين بعدها قام جيمس بإخراج جهاز صغير جداً من الحقيبة وقال جيمس: لا بد لي أن أركبها داخل الحاسوب ولا يمكنني هذا ألا بوقف تعطيل جهاز التشويش وتوقف تميم عن التصوير... اخذت انجل الكاميرا من يدي ووضعتها في صدرها ثم وقفت انجل حاجزاً بين الكاميرا التي تراقبنا من فوق وبين جيمس فكانت تحجب عن الكاميرا معظم ما يقوم به... وبسرعة استطاع جيمس فتح الحاسوب وثم قام بتركيب القطعة في إحدى الوصلات داخل اللوحة الرئيسية ثم عاد وأغلق الحاسوب وكل ذلك تم بسرعة بالغة... ثم عادت انجل لمقعدها وكنّا ثلاثتنا جالسين لا نعمل شيئاً

- ما الذي فعله جيمس قبل قليل؟
- ركب جهاز يربطنا بالسيرفر الرئيسي للدائرة الذي يحتوي على برنامج التقارير ومقتنيات المستودعات من الحفريات.
- هذا خطير جداً
- لا تهتم لن يكتشف أحد هذا الأمر إلا بعد مدة طويلة سنكون خلالها قد غادرنا ومعنا ما نريد... جيمس متى يمكنك اعادت تشغيل التشويش لنعمل على تصوير باقي التقرير؟
- لا بد أن يتأكد الرجال بأن جهاز الولوج يعمل.
- متى سنتأكد؟
- دقائق وسيتصلون بنا.

كنت أنظر إليهما وأنا مدهوش... متى اتفقوا على هذه الأمور كلها؟ عندما عدنا من الموقع أمس بقيت انجل معي طيلة اليوم في الغرفة نمارس أطول علاقة فعلتها منذ زمن طويل... بعدها نمنا... هل يعقل أنها غادرت الغرفة وأنا نائم؟

دخل جلال بعدها بلحظات وبيده صينية عليها أربعة فناجين من القهوة وهو يقول: لم أعتقد يوماً أن أحد الأمريكان قد يحب مشروباً ساخناً غير القهوة الأمريكية.

وضعها أمامنا وجلسنا نحتسيها...

كان جلال مشغول جداً بالنظر إلى ثديي انجل ولم يعلم أنها قبل لحظات اخفت بينهما كاميرا رقمية صغيرة صورت من خلالها تقريراً بالغ الأهمية والسرية يمنع تصويره... كانت انجل تتعمد أن تأتي بحركات مثيرة وكان هو يتلوى ويتحدث بالعربية معي عن جمالها وكم هو سعيد بالتعرف عليها وأنا كنت أترجم كلامه لها وهي تبتسم له وتقول بصوت منخفض: أرعن... غبي... أحمق... ويسألني هو ماذا تقول وأنا أجيبه: هي تشكرك كثيراً على تعاونك وكرمك وحسن ضيافتك وأنها ستكتب فيك كتاب شكر للمدير العام...

كان يرشف القهوة رشفاً مقرفاً وهو يسألني لماذا توقفنا عن قراءة التقرير والبحث في الحاسوب...

فهمت انجل ماذا يقول فقالت لي: قل له أن عُطلاً حدث أوقفنا... وهل يمكنه مساعدتنا بإبلاغ قسم تكنولوجيا المعلومات بالعطل.

انتفض جلال من مكانه وهو يقول: سأذهب لقسم الحاسوب وأخبرهم بالعطل....

تركنا وذهب...

بمجرد خروج الغبي جاء اتصال لثواني معدودة لجيمس واغلق السماعة ونظر لنا وقال: لقد نجحنا...

انهينا قهوتنا وبقي علينا أن نصور التقرير الورقي.... لململنا اغراضنا وسألتني انجل :

- ماذا بقي من التقرير حتى تنهيه؟

- أقل من ٢٠ ورقة.

- حسناً أنت ستلهي جلال بإعطاءه هذا المبلغ وجيمس سيعيد تـشغيل جهاز التشويش وأنا سأكمل التصوير...

مدت يدها واعطتني عشرين دينار وقالت: حاول أن تجعلـه بعيـداً لخمس دقائق فقط.

عاد جلال وقال لنا أن أحد مـوظفي قـسم الحاسـوب سـيأتي بعـد خمس دقائق...

أخذته خارجاً وسلمته المبلغ وأخذنا نتحدث عن جمال انجل وهـو يطلب مني أن أحدد له موعداً معها... كان التـوتر ظـاهراً عـلى وجهـي وجسمي وكنت أجاريه بكلامه ومرت الدقائق كأنها ساعات... دقـائق وخرجا وكأن شيء لم يحدث...

وودعنا جلال وهو هذه المرة ينظر بشغف لمؤخرة انجل ...

تركنا الـدائرة خلفنـا ونـسي الأحمـق فعـلاً أن يوقعنـا عـلى سـجل المطلعين على التقرير!

في السيارة ونحن ننطلق عدت وفتحت موضوع المسامير مع انجل ...

- ألن تحدثيني عن المسامير؟

- قبل ذلك نريد أن نعرف أين يقيم علاء هذا ومـا علاقتـه بالتقـارير... هذه مهمة البرفسور دانيال يا جيمس. اتصل مع البروفـسور وأعطيـه

اسمه الكامل مع رقمه الوطني وهو سيعرف تفاصيله كاملة وكيف يصل إليه... وأخبره أنه يملك المسمار... كما أريد منك أن تفرغ المعلومات كاملة وتترجم المكتوب بالعربية منها مع تميم إلى الإنجليزية... أريد التقرير اليوم مساءً... لا مجال للتأخير.

- ألن نعمل سوية؟

- تميم... أخرج المتعة من دماغك الأن... نريد المعلومات بأقصى سرعة وكلما اسرعت كلما تمتعت أكثر.

ضحك جيمس ضحكة ماكرة... لأول مرة أرى تعابير وجهه تتغير وتصدر منه مشاعر انسانية... ظننت أنه والرجال الثلاثة الأخرون مجرد رجال آليين لا مشاعر لهم ولا صوت... لا يمكنك أن ترى أي تعابير حزن أو فرح على وجوههم!

- حسناً أعتذر.

- المسامير يا تميم التي نبحث عنها كبيرة وليست كالمسامير العادية تشبه كثيراً مسامير المسيح... مسامير المسيح ثلاثة أو أربعة، لا نعلم بالتحديد عددها، لكنها عبارة عن مسمارين لليدين ومسمار واحد لكلا القدمين وهذا ما يقدمه التقليد اللاتيني أو مسمار لكل قدم فيصبحوا أربعة كما يقدمه التقليد الأرثوذكسي، هذه المسامير وجدتهم الملكة هيلانة والدة الأمبراطور قسطنطين مع الصليب في القرن الرابع الميلادي في القدس... وفي طريق عودتها للقسطنطينية بحراً هاج

البحر فتعرضت السفينة لعاصفة كادت تغرقها، فألقت أحد المسامير في البحر الأبيض المتوسط فهدأت العاصفة كما يقول التقليد، أما المساران الأخران فأهدتهما لإبنها الأمبراطور قسطنطين، فقام بإذابة احدهما ووضعه في ملابسه الملكية وفي لجام فرسه أما الثاني فأهداه للبابا ماركوس في روما بُعيد تنصيبه بابا وقبيل وفاة قسطنطين... ودرجت العادة أن يقوم كل بابا ببرد جزء من المسمار ومنح برادته لشخص عزيز على البابا... كما كُسِرت أجزاء منه ووزعت على الكنائس والأديرة في أوروبا... هذه كلها اساطير من وجهة نظري مثلها مثل الحربة المقدسة، ولوح الحكم الذي علق لاحقاً على الصليب فوق رأس المسيح، وكذلك ثوب المسيح الذي نزع عنه قبيل صلبه، والأكفان. كلها لم تظهر إلا بعد القرن الرابع الميلادي وبعضها في العصور الوسطى... لذلك يشكك الكثير من المؤرخين والباحثين بحقيقة هذه المواد.

- وما علاقة مسامير صليب المسيح بالمسامير الخمسة الخاصة بهرقل؟
- المسامير الخمسة علامات ورموز... اتخذها هرقل لإخفاء شيء يخص الأمبراطور.
- وما هي هذه العلامات والرموز؟
- أربعة إلى كنائس وواحدة إلى قبر...
- كيف حللت هذا؟

- كل حرف من هذه الحروف تحمـل رمـزاً لـدير أو كنيـسة أمـا إشـارة الصليب على المسمار الخامس فتشير إلى قبر!

- كيف؟

- ستعلم ذلك عندما نصل الفندق...

عندما وصلنا الفندق ذهبنا سريعا إلى الجناح المخصص لنا... دخل جيمس لغرفته وطلب منا الإبطاء وعدم الـدخول فـوراً... بعـد دقـائق دخلتُ للغرفة أنا و انجل .

أول مرة أدخل هـذه الغرفـة... كانـت تمتلـئ بـأجهزة إلكترونيـة متعـددة الأحجام والأشكال وحواسيب وشاشات متعددة الأحجام، كثير منها مطفئ، وكان الرجال الثلاثة الأخرين موجودين وكل منهم يعمل على جهـاز معـين... والفتاة المراهقة سيرين تعمل على جهاز محمول... نعم لقد كانت غرفة تحكم... لكن ماذا يرقبون؟ وبماذا يتحكمـون؟ عـلى الأقـل أعـرف أنهـم الأن يراقبـون حواسيب وكاميرات الدائرة.

سيرين... الأن تذكرتها!!! أليست هذه الفتاة التي أنقذتها في الماخور!

ماذا تفعل هنا؟

سيرين الفتاة التي كانت تنام على يدي... التي طلب منـي وضـاح أن أخـذها لنفـسي... وربحتهـا بالرشـوة في لعبـة القـمار... ونامـت بجانبي... ثم أطلقتها بعد ذلك دون أن أمسها بسوء.

ماذا تفعل هنا؟

أين نظرة البراءة التي كانت على محياها؟

أين الدموع التي كانت تغطي وجهها حينما إلتقينا؟

أين إحمرار وجهها وكسرة نظرتها وشعرها الحريري المنكوش خوفاً...

الأن تبدو وكأنها فقدت براءتها...

لكن... ماذا تفعل هنا؟

صحوت من تفكيري على صوت انجل ...

اعطت انجل الكاميرا لأحد الرجال وقالت له بالإنجليزية أننا نجحنا بتركيب الشريحة على أحد حواسيب نظام التوثيق بسهولة، فابتسم في وجهها، ثم قبلها على خدها، وقال لها: أحسنت صنعاً...

ذهب لعمله وكل واحد من الرجال الأربعة وسيرين منهمكين على جهاز ما... وبقينا أنا وهي ننظر إليهم...

أخبرنا جيمس أنه إتصل مع البروفسور الذي كان في الحفرية وأنه سيأتي قريباً...

أخبرتني انجل أنها تريد أن تستحم قبل أن يصل البروفسور وأيضاً لكي تجهز نفسها لي وبعد ذلك ستخبرني قصة المسامير الخمسة...

أنها تشعر بالشهوة كلما استطعنا الإقتراب من حل اللغز... وكنت أشعر بالسعادة كلما أشعلت نشوتها وشهوتها...

كنت أشعر أنني بذلك لا أحضى فقط بجسدها بل أيضاً بقلبها...

كنت مستعداً لأدوس القانون فقط لكي أكون بجانبها... أن أفعل المستحيل فقط لأحظى بها...

انهمكتُ مع جيمس في ترجمة التقرير العربي للانجليزية...

عندما وصل البروفسور دانيال كان الغداء جاهزاً والتقرير بالإنجليزية جاهز والمعلومات التي تخص علاء جاهزة وأشياء أخرى تحدثوا فيها لم أفهمها جاهزة... تناولنا الغداء معاً ثم قالت لي انجل: أذهب لتستحم، أريدك جاهزاً لي بعد قليل...

أسرعت للحمام وأخذت حماماً طويلاً... وعندما خرجت ظننتها ستكون جاهزة على السرير... لم تكن هناك... كان صوتها في الصالة تتحدث... مشيت بهدوء نحو باب الغرفة ووقفت خلفه استمع إليهم... كان في الصالة البرفسور ومعه أوراق التقرير وبجانبه انجل ، لم يكن هناك وجود للرجال الأربعة أو لسيرين.

قالت انجل: بروفسور لقد أكدتُ على الرجال عند إحضارهم لعلاء أننا لا نريد أن نرعب تميم...

البروفسور: لا طبعا، ما زلنا في أول المشوار ولا نريد أي شيء يلفت انتباه الأمن لنا... المهم في هذه المرحلة أن لا نلفت الإنتباه إلينا... بمجرد أن نحصل على ما نريد من علاء تخلصوا منه كما تخلصنا من البروفسور خليل... تميم ما زال في أول المشوار نحن نحتاجه.

ماذا؟ ...

ملأ الرعب قلبي... عن ماذا يتحدثون؟

تخلصوا من البروفسور خليل!!! هل قتلوه؟

ويريدون أن يتخلصوا من علاء هذا بعد أن يأخذوا منه ما يريدون؟

ما هذا الفريق؟ أشك أنهم فريق آثار!

ماذا عساي أن أفعل؟

وقفت خلف الباب لا أدري ماذا أفعل... هل أهرب وأتصل مع الأمن؟

هل أكمل المشوار معهم عسى ولعل أن أحضى بقلب انجل؟

كان الشك ينخر قلبي... والإختيارات صعبة...

بعد التفكير وجيز قررت أن أبقى لأرى ماذا سيفعلون... لأعرف ما موضوعهم قبل أن أقدم على أي حركة أخسر فيها قلب انجل ...

لقد قالت للبروفسور أنها لا تريد إخافتي... لا بد أنها تهتم لأمري...

قررت أن اتراجع للحمام، فتحت الباب بقوة ثم تنحنحت... ثم سرت بإتجاه الصالة.

قابلتني انجل واقفة وبإبتسامة عريضة...

ناداني البرفسور دانيال: تميم صديقي... تعال أجلس بجانبي بيني وبين انجل .

جلست بينهما...

- اسمع تميم... انجل سعيدة جداً بك... تقول لي أنك شخص مميز وأنك تعمل بجد.

نظرتُ لها، فكانت تبتسم ابتسامتها المثيرة إياها... الإبتسامة التي تشل كل حواسي...

- هل أنت سعيد معنا يا تميم؟

- نعم طبعاً

لم أملك جواباً آخر!!!

-خذ يا تميم هذا مبلغ بسيط لعائلتك... وهذه هدايا لأولادك... سيارة تعمل على جهاز تحكم لطفلك الكبير ودمية لطفلتك ولعبة هاتف تخرج أصواتاً وموسيقى لطفلك الصغير جداً، أرجوك أبعث الأموال والهدايا للبيت مع أحد رجالنا وأكتب لهم رسالة وأخبرهم أنك سعيد وبخير وأنك مشغول حالياً بالعمل وستعود للبيت قريباً... لا نريدك أن تتركنا حالياً وتذهب للبيت.

-وهو كذلك.

بقدر ما شعرت بالطمأنينة من كلمات البروفسور بقدر ما شعرت برعب انتهاء العمل مع انجل والعودة "لأم كشة"...

لا يعلم البروفسور أنني لا أطيق العودة للبيت... وأن همي كله أن أكون بجانب حبيبتي انجل ...

هناك فرقٌ كبير وواضح بين إمرأة تمثل الجمال الإغريقي وإمرأة تظهر وكأن قنبلة قد انفجرت في وجهها فطارت خصلات شعرها في كل مكان.

-أنا سعيد يا بروفسور بالبقاء معكم وشكرا على الاموال.

-حسناً أنا بعثت الرجال ليحضروا لنا السيد علاء... نريد أن نستضيفه على العشاء الليلة وأنا سأذهب للنوم قليلاً في جناحي في الفندق... وانتما استمتعا.

ذهب البروفسور أما انجل فأخذت بيدي اليسرى وذهبنا لغرفتنا...

في تلك الليلة أخذ أحد الرجال عنوان بيتي ورسالة مني لزوجتي بأنني مشغول بعمل يدرُ علي أموالاً كثيرة وأنها تستطيع أن تفعل أي شيء في هذه الأموال، كنت أريد بهذه الجملة أن أتقي شرها وصريخها وشتمها لي... ثم أخذ مني الأموال والهدايا، وأخبرني أنه غداً صباحاً سيوصلها للبيت.

لم يبق معي قرش واحد... لكن كيف سأشتري لانجل خاتم ألماس؟

لا يهم سأعوض ذلك في المرة المقبلة.

أنتِ قيد دفاتري وعقلي... وأنا قيد المجهولِ والغيب

محظوظٌ أنتَ يا قلبي لتحضى بانجل ...

محظوظ لأنني حين سبحتُ في بحر حبها، غرقت إلى الأعماق...

محظوظ لأنني أجهل السباحة... فلا زلتُ أغرق ولا أمل لي بالصعود مجدداً...

محظوظ لأنني ما عُدتُ مع انجل برياً بل جعلتني كالسمكة أعشق البحر فقط! وهي بحري... ومنها لا استطيع الخروج... وخارج كيانها لا استطيع التنفس... لا أتنفس إلا في بحرها... أنها كالأكسجين بالنسبة لي، وأنا لست سوى سمكة في أعماق أعماقها حيث لا شيء معي إلا سكون بحرها...

كنتُ قد اشتقت لبحرٍ أرمي فيه أحزاني، فأهدتني السماء بحراً أجمل من بحر "غراندي آنس" ومن بحر "الكاريبي" لكن أخاف تلوث هذا البحر بألآمي.

أُحبكِ يا انجل لا بل أعشقكِ... فأي طريقة أعلن فيها أنني أحبكِ؟

هناك ألف طريقةٍ للحب وطريقة واحدة للعشق... وأنا أعشقكِ بطريقة العبادة... بطريقة الصلاة... بطريقة الدراويش... بطريقة الرهبان.

أحببتُ عدداً من النساء ولكن ولا واحدة منهن مثل انجل ...

خدود انجل عنبٌ أحمر، وجنتاها بساتين ورد جوري، عيناها الله ما أجملهما... شاطئٌ أبيض تُحرك رماله أمواجٌ خجولة... شعرها... يا

شعرها الشقي الناعم، يُرسل أشعة الشمس إلينا في الليل فيقلب مزاج السهر للبوح بالقصائد كتلك التي كتبها شكسبير، أو تلك التي كتبها فدريكو جارسيا لوركا، أو المتنبي، أو نزار قباني...

مهما وصفتك يا حبيبتي انجل سيبقى الوصف قليلاً يا جميلتي...

لكن ما هذا الحبُ الذي جاء بغير موعد!!! هل هذا ما يقال عنه صدفة خيرٌ من ألف ميعاد؟

كيف شاءت الصدف أن يكون ترتيب اسمي في قائمة المندوبين مناسباً لأكون أنا من يخرج مع هذا الفريق! هل لعبت الأقدار دورها لأكون أنا مع هذا الفريق وأتعرف على انجل ؟ أم أنها مجرد صدفة؟ وما أجملها من صدفة!

الصدفة في الحب لا تبرر وأيضاً الحب للمرة الأولى... للوهلة الأولى لا يفسر ولا يبرر...

الاهتمام الزائد عن الحد في الحب لا يبرر.

لا شيء ابداً في الحب قد يُفهم... لا شيء في الحب واضح لأن يُفسر أو يُبرر.

الحب ليس علمياً ولا ينفع فيه فحص مخبري...

الحب ليس كماً لتقول عنه زاد أو نقص عن الحد الصحي

ومع ذلك... الحب ترتفع حرارته جداً وتنخفض جداً

الحب ليس قلباً... لكنه يدق كثيراً

الحب ليس وردةً... لكنه رقيق جداً

الحب ليس بشراً... لكنه رومانسي جداً

الحب بلا لحم أو عظم... لكنه حي جداً

الحب يسكن بيننا لكنه يرحل كثيراً... ولا يبقى!

كيف أصل إلى نفسي وقد هاجرت خلسة إلى الآخر؟

كيف أتواصل معها وقد تآمرت مع قلبي وسافرت بعيداً؟

أيعقل أن تمنح النفس وأن يمنح القلب لجوءاً خارج ذاتي؟

أنتِ يا انجل قيد دفاتري وعقلي... وأنا قيد المجهولِ والغيبِ.

البحث عن اللغز

انتهت نوبة عشقنا الجنونية... أنا وإياها على السرير وقد نال منا التعب... فأخذنا نستريح... هي تلهث حباً وأنا ألهث وراء شيء...

في كل مرة يضيع مني شيء... ما هو؟ لا أعلم!

كلما لَمستُ جسدها أنوي أن استرجع ما ضاع مني أفقد شيئاً جديداً...

أنها تسلبني ذاتي فماذا بقي لي بعد؟ لا أعلم!

لكنني لظروف خارجة عن إرادتي أحببتكِ يا انجل .

تَناولتْ سيجارة وأشعلتها وأعطتني إياها...

أخذت هي واحدة أخرى وأشعلتها...

وقلبي يشتعل منها وبها

أخذنا نمتص من السجارتين ما يبقينا على قيد ذكرى الزلزال الذي جرى قبل قليل على سرير الفندق... ما أطيب طعم السيجارة بعد أن تأخذ طعم الحب من شفاه من تحب...

كان لقاؤنا الجديد هذا مثيراً ومتفجراً... لقاؤنا السابق شعر به الرجال الذين في الغرفتين المجاورتين لغرفتينا لا بل شعرت به المدينة كلها... أما اليوم فاستطعت أن أثير جنونها أكثر والغرف فارغة... وما أن انتهينا حتى كان السرير وما عليه مبعثراً في أرجاء الغرفة.

وضعت انجل رأسها على صدري ونحن نجلس على السرير...

منذ ذلك اليوم الذي اتصل فيه قلبانا معاً واتصل جسدانا معاً وأنا يا انجل شخصٌ آخر!

أنتِ جعلتِ لحياتي طعماً آخر... معنى آخر... وكل يوم يا انجل أفكر في الكلمات التي سأقولها لكِ... أنني أريدكِ أن تبقي معي وأن لا تتركيني... لكن هل ستبقين معي؟ أم سوف ترحلين بمجرد انتهاء المشروع وتسكن الذكرى مكانكِ، هل سترحلين ويبقى منكِ ورقاً في رواية أكتبها ويتداولها الناس... هل تموت ذكراكِ في مخيلتي أم ستعيش الكلمات لما بعد التاريخ كنقشٍ حجري تؤرخ قصة حبنا... آثاري وآثارية عشقا بعضهما بعضاً... وفرقتهما حفرية!

كنتُ غائباً عن الوعي وأنا امتصُ سيجارتي التي في يدي اليسرى بينما تعبث يدي اليمنى التي تطوق عنقها بشعرها الأشقر الطويل... لم يعدني للواقع إلا كحتها وهي تنهي سيجارتها...

جاء في بالي أن أسأل انجل عن سيرين...

- انجل ؟ من أين تعرفون سيرين؟
- هي تعمل معنا... مثلك!
- نعم... لكن كيف تعرفتم عليها؟
- لا أعلم... إسأل عنها البروفسور.
- سأفعل ذلك لاحقاً.

تذكرت موضوع المسامير فقلت لها:

- هل ستخبريني قصة تلك المسامير الأن؟

نظرت لي بشغف...

- أتذكر حينما قلت لك أن المسامير الحقيقة ثلاثة أو أربعة وأن لا وجود إلا لبقاياها الأن...

- نعم.

- إختار هرقل خمسة مسامير وليس ثلاثة أو أربعة...

- بالضبط!

- المسامير الخمسة فعلياً هن عشرة مسامير... خمسة مسامير تحمل علامات محددة وخمسة لا... خمسة تشير لموقع الكنز وخمسة تقودك إلى لا شيء...

أصابتني الحيرة فقلت:

- ثلاثة أم أربعة وثم أصبحوا خمسة مسامير والخمسة أصبحوا عشرة وشيء يقود لكنز وشيء يقود إلى لا شيء...!!! ما هذا الأمر؟ طلاسم!

- بالفعل هذا هو المقصود... أنظر سأشرحها لك بسهولة...

أعتدلت وجلست على السرير، وأنا أيضاً أعتدلت وجلست أما هي فأكملت كلامها:

- القصة تبدأ في قصة الصلب عندما صلب المسيح على الصليب استخدم الرومان مسامير كبيرة الحجم وعددها ثلاث أو أربعة وهذه المسامير خُلعت عنه عندما تم نزع جسده عن الصليب، وتقول

التقاليد المسيحية أنها جمعت مع أشياء أخرى للمسيح وحافظت عليها مريم العذراء أو التلاميذ وتوارثوها لاحقاً...

-نعم أخبرتيني عن هذا الموضوع ولكن لماذا المسامير؟ لماذا ليس مثلاً الكأس المقدسة؟ السمكة كما فعل المسيحيون الأوائل؟ وما علاقة كل هذه الأمور بالمسامير الخمس أو العشرة التي نبحث عنها؟

-هنا القصة تختلف... تبدأ قصة المسامير بهرقل... هرقل هو بطلي وبطل قصة المسامير التي لا يعرفها أحد عبر التاريخ إلا جماعة رهبانية أرثوذكسية قليلة وعائلة يونانية توارثت هذه المخطوطات والمعلومات بسرية مطلقة.

شعرت بغصة وغيرة من رجل مات منذ زمن بعيد جداً... هو بطلها وصاحب كنزها أما أنا فما أنا بالنسبة لها؟... أما هي فأكملت حديثها غير مكترثة بالإعصار الذي دب قبل قليل في جسدي بعد أن سكنتْ قبل قليل زلازلي...

- هرقل صاحب أكبر كنز بيزنطي على وجه الأرض... لم يُجمع كنز بيزنطي كما جُمع في فترة هرقل... لذلك لعله واحد من أكبر الكنوز في وجه المعمورة... هناك أساطير كثيرة تدور حول هذا الأمر.

- لم اسمع قط بهذا الأمر.

- الكنز حقيقي وسُجل أمره في خارطة حقيقية واحدة وأخرى وهمية، كما سجلها في صلاة قصيرة جداً تحتوي على رسالة مشفرة لأبنائه عن

مكان الكنز، وسلم هرقل هذه المخطوطات قبيل موته لراهب مع وصية الأمبراطور الأخيرة وهذا الراهب سلمها لعائلة لاحقاً بقيت تتوارث هذه المخطوطات دون أن تعرف كيف تفسرها حتى وقعت بين أيدي البروفسور دانيال قبل مدة وأخذ يحللها.

- ومن أين جاء هرقل بهذا الكنز؟.. ألا تعتقدين أن القصة كلها اسطورة كما هي الرموز المقدسة!

- بعض ما يتداوله الباحثون عن كنز هرقل أساطير لكن الكنز حقيقي... كنز ملك الروم المخفي حقيقي لكن استطاع هذا الإمبراطور بحنكته أن يجعل الكنز وهم عند صيادي الكنوز، لا بل مات كثيرون بحثاً عنه في اسطنبول وجنوب تركيا وروسيا وفي أعماق البحر الأسود وفي أعماق البحر الأبيض المتوسط وحتى في أمريكا اللاتينية.

- أمريكا اللاتينية؟ ما الذي دعاهم للذهاب هناك ولم تكن وقتها القارة الأمريكية مكتشفة.

- جنون الكنز... ألم أقل لك أن هناك أساطير تحوم حول هذا الكنز وأنه نُقل لأرض جديدة لم تدسها قدم بشر!

- لكن أعتقد أن هذا الأمر كله غير صحيح... تاريخياً مات هرقل مجنوناً.

- الإمبراطور هرقل كان ذكياً وعظيماً... نعم اتهمه الجميع بالجنون لكنه استطاع أن يخفي واحداً من أعظم كنوز الدنيا عن أعين اللصوص والقبائل والفاتحين العرب وجنوده الذين كان منهم خونة... لقد

استطاع أن يخفيه عن قادة الحرب وقطاعي الطرق وصيادي الكنوز لمدة طويلة جداً... إلى أن اكتشف جزء منه صدفة من خلال بعض علماء الآثار مؤخراً بالقرب من سور القدس ورغم اكتشافهم المهم لكن أي منهم لم يعرف حقيقة الكنز الحقيقي ولا يعرفون الوثائق الأهم والأخطر التي توارثتها أجيال محددة من عائلة محددة عن حقيقة الكنز ومكان وجوده... كل ما اكتشفوه جزء بسيط جداً ويعتبر إلهاء عن الكنز الحقيقي، لذلك ما أن تم هذا الاكتشاف حتى أُعتبر كنز هرقل وهم.

قامت من مكانها ولبست ملابسها واتصلت بخدمة الغرف وطلبت منهم أن يحضروا لنا زجاجة من النبيذ الفاخر... ثم أغلقت السماعة وأكملت حديثها ...

- ما زلت لا أصدق أن هرقل المجنون يفعل هذا الأمر! انجل أنه بالفعل وهم.
- أعتقد أن الجنون كان تمثيلية... دعني أخبرك عن هرقل.
- كلي أذان صاغية.
- استطاع هرقل أن ينزع الحكم من يد الامبراطور فوكاس الشرس والذي يكرهه الجميع، فكانت الكنيسة الأرثوذكسية في القسطنطينية تكرهه والشعب يمقته والجيش يحقد عليه... شاء أن يجتمع هذا الثالوث ضده... أما هرقل فكان في هذه الفترة هنا في هذه المنطقة قائداً عسكرياً... تذكر هذا الأمر...

- نعم كان القائد العسكري في فلسطين.

- وصلت قيادته لحدود الإسكندرية غرباً ولدمشق شمالاً وصحراء الأردن شرقاً حتى العقبة جنوباً... وكان قائداً عسكرياً قوياً جداً ووصل صيته لكل أنحاء الإمبراطورية لأنه أخضع تمرد اليهود وتمرد الغساسنة وتمرد القبائل العربية الجنوبية.

- حسناً.

- وهذه الظروف صنعت من القائد العسكري هرقل زعيماً مطلوباً... فذهب للقسطنطينية وقام بإعلان العصيان ثم دخلها برفقة جيشه الذي قتل الأمبراطور وقطعه تقطيعاً... وكل ذلك بمرأى من الجيش والكنيسة والشعب وصمتهم، ثم أعلن نفسه إمبراطوراً بمباركة الأطراف الثلاثة... لكنه استلم الحكم في فترة كانت فيها الإمبراطورية البيزنطية على وشك الإفلاس، فعمل على إعادة إحياء الإمبراطورية مجدداً... ونجح خلال وقتٍ قياسي.

- كيف؟

- سألتني كيف... سأقول لك... نفذ هرقل سياسات مصادرة أموال الأعداء الأغنياء، صادر أموال الفاسدين أول الأمر، ثم أغدق الأموال على الجيش ليضمن ولاءه، كما أعاد للكنيسة ما سلب منها في عهد الإمبراطور السابق، كما صادر هرقل أموال الوثنيين واليهود من كل امبراطوريته، وصادر أموال الهراطقة الذين كانوا مسيحيين

لكـــنهم يؤمنـــون بالطبيعـــة الواحـــدة كـــما صـــادر أَمـــوال وأَوقـــاف كنائسهم... ثم شن حملة على اليهود في فلسطين وقتـل مـنهم اعـداداً كبيرة لأنهم كانوا يضطهدون المسيحيين هنـاك... ولم يـسلم منـه إلا العجائز والنساء والأطفال والمرضى من اليهود بعد أن ضمنهم راهب هاله القتل في تلك البلاد المقدسة، كما قاتل الكثير من الخـارجين عـن القـانون وصـادر ممتلكـاتهم... ثـم بعـد أن أنهـى عملـه في فلـسطين والأردن وسورية عـاد إلى القـسطنطينية محمـلاً بـالكثير مـن الـذهب والممتلكات الثمينة... لكن ما أن وصل للقـسطنطينية شـن الفـرس غزواً على العراق وسورية وسرقوا ونهبوا واحتلـوا كـل هـذه المنطقـة واستمروا بالزحف حتى وصلوا القدس ودخلوها بمساعدة من بقي من اليهود في المدينة، وصادر الفـرس أمـوال مـسيحيي هـذه المنـاطق وقتلوا معظم سكان هذه المنطقة وسبوا آخرين، كما هـدموا الكنـائس ومنها كنيسة القيامة وأخـذوا الـصليب معهـم إلى اكتـسيفون... لقـد جردوا المنطقة من كل ممتلكاتها.

- ماذا أيضاً؟

-جن جنون هرقل، فبعد أن بنى إمبراطوريته بجهد جهيـد وصـنع مـن جنوب إمبراطوريته مصدر رزقه، انقطع الـرزق عـن القـسطنطينية... كانت الإمبراطورية البيزنطية تعاني الأمرين!

-ماذا حدث بعدها؟

-هرقل كان يحمل عقلاً عسكرياً فعرف أن قتال الفرس في هـذا الوقـت يعني الانتحار، لكن الصدمة كانت أيضاً بعدها بفترة عنـدما سـقطت الإسـكندرية بيـد الفـرس فإنقطعـت امـدادات القمـح كليـاً عـن القسطنطينية... ثم حاصر الفرس وحلفـائهم القـسطنطينية... كانـت الإمبراطورية البيزنطية على وشك الإنهيار الكامل!

-ماذا فعل هرقل؟

-شحن هرقل مسيحيي بيزنطة ضد الكفـار الفـرس، ووقـف الـشعب والكنيسة معه، فأعاد تنظيم جيشه وزوده باسلحة كثيرة وهذا كله جاء بدعم من كنيسة القسطنطينية التي تخلـت عـن معظـم ذهبهـا لـصالح هرقل المحبوب... وجاءه دعم كبير من المـدن الغنيـة في ايطاليـا ومـن البابا نفسه، فقـد كـان المـسيحيون في كـل أوروبـا والـشرق يـشعرون بالخزي والعار والغضب من قيام الفـرس بـسرقة وتـدنيس الـصليب الذي عُلق عليه المسيح.

-نعم وماذا بعد؟

- بعد سبع سنين من تجهيز جيش قوي اغدق عليه كل ما يـستطيع قـرر هرقل الإنتقام!

- نعم هذه أكبر ملحمة تاريخية حتى أنها ذكرت في القرآن.

- نعم وجرى الأمر بقيادة عسكرية فذة... اسـتدعى هرقـل البطريـرك القسطنطي سراً وجعله يرسم ابنه إمبراطوراً ثـم زحـف هـو وجيـشه

خارج القسطنطينية المحاصرة ليلاً وبالسر من أحد المخابئ في سور القسطنطينية ملتفاً نحو بلاد الفرس مباشرة... كان هرقل يقوم بمباغتة الفرس وقتالهم وأخذ أموالهم وذهبهم ومقتنياتهم إلى أن وصل عاصمة الساسانيين القديمة جانزاك والتي تعتبر ايضاً من المراكز الدينية الرئيسية في فارس وأحتلها ونهب كل شيء ثمين فيها ثم أشعل جنوده النار في معبد زرادشت تماماً كما فعل الفرس في كنيسة القيامة... هذه التحركات العسكرية التي سُجلت في معظمها لصالح الروم جعلت معنويات الفرس تنهار.

- نعم.

- شاءت الصدف أن يخون بعض قادة الجيوش الفارسية كسرى الثاني، كما مات بعضهم بطريقة أو بأخرى، وهذه كلها جرت في أوقات قليلة جعلت الفرس يخافون ويحدث تذمر في صفوف الجيش الفارسي... لقد أرادوا التخلص من الصليب بأي وسيلة... ظنوا أن لعنة هذه الخشبة حلت على بلاد فارس.

- نعم.

- لكن كسرى الثاني كان عنيداً ولم يقبل بالهزيمة ولا برد الصليب للروم، فقاد شيرويه ابن كسرى الثاني ثورة ضد أبيه وقُتله... ثم سعى شيرويه للصلح مع هرقل بشرط أن يتوقف الأخير عن غزو بلاد فارس وأن يعيد شيرويه الصليب والأسرى وكل المناطق التي إحتلها الفرس سابقاً وكل الممتلكات الثمينة

والذهب الذي استولى عليه الفرس من بلاد الشام ومصر... لقد كانت كميات ضخمة من الذهب من كؤوس وتماثيل وشمعدانات وصلبان وايقونات وخواتم وأساور وتيجان ذهبية والكثير من النقود الذهبية... كميات ضخمة جداً احتاج هرقل لنقلها إلى القدس ما لا يقل عن مئة عربة تجرها التيوس والثيران والأحصنة... وكانت لكثرتها أن هرقل وضع هذه العربات في منتصف جيشه وشكل حولها حاميات على شكل صليب ويتقدمهم جميعاً صليب المسيح الذي كان يحمله شخصيا وإتجه بهم إلى القدس.

- ولماذا القدس؟ لماذا ليس القسطنطينية؟

- كانت الجيوش الفارسية والجيوش المتحالفة معها والتي تدين بالولاء لكسرى الثاني ما زالت تحاصر القسطنطينية ولم تقبل تلك الجيوش الإنسحاب إلى أن إنهارت لاحقاً أمام جيش الروم وقلة الإمدادات، لذلك كانت القدس أسهل إليه من القسطنطينية، ثم أن الطريق من بلاد فارس إلى القسطنطينية كانت تمتلئ بقطاع الطرق والأعداء فخاف أن ينهبوا هذا الكم الهائل من الذهب في الطريق... أما القدس فكانت طريقها مفتوحة ولا جيوش قوية في الطريق وكان قطاع الطرق في هذه المنطقة أضعف من أن يحاربوا هرقل المنتصر... لقد دمر الروم قوة الغساسنة العرب ودمر الفرس قوة المناذرة العرب فكانت الطريق خالية من أي قوة تمثل خوفاً على عودة هرقل للقدس، ثم أن هرقل فعل شيئاً ذكياً طول الطريق.

- ماذا فعل؟

- لقد وضع الصليب في المقدمة وكان المسيحيون يحيّون الصليب بالنار والصلاوات والركوع الطويل وإخفاء كافة مظاهر التسلح... كانوا يشعلون ناراً ضخمة على قمم الجبال طول الطريق حتى القدس، فكلما دخل أو مر جيش هرقل الذي سمي بموكب الصليب بجانب قرية أو مدينة يشعل مؤيديه ناراً ضخمة، كانت هذه النار وضخامة الموكب الذي يتقدمه الصليب وسيلتا إلهاء عن الكنز الذي كان في المنتصف.

- هذا اذا ما جعل الناس تحتفل لاحقاً بإشعال النار في الصليب في عيد رفع الصليب.

- بالضبط.

- وهل وصل الكنز للقدس أم أخفاه هرقل هنا فوراً في الأردن؟

- هرقل خيم في مناطق متعددة في الأردن قبل أن يصل القدس ولا تنسى أن هرقل كان يعرف هذه المنطقة جيداً بحكم أنه كان قائداً عسكرياً فيها فاستطاع أن يأخذ فكرة عن أماكن سرية في الأردن... هل تعلم أن الأردن كانت البلد المفضل لأخفاء الكنوز عبر التاريخ؟ حتى العثمانيين أخفوا الكثير من كنوزهم هنا... لكن هرقل لم يخفِ الكنز فوراً هنا بل أخذه معه للقدس.

- تمام.

- عندما وصل هرقل القـدس وضـع كـل الـذهب في أرضٍ قريبـة مـن كنيسة القيامة التي بـدأ فـوراً ببناءهـا ووضـع عليهـا وعـلى الـذهب حراسة مشددة وكانت خيمته تقع بالقرب من الـذهب... كـان يريـد العـودة للقـسطنطينية لكـن صـعود نجـم المـسلمين العـرب جعلـه ينتظر... سمع هرقل بإنتصارات العرب في الجزيرة العربيـة وهزيمـة الفرس امامهم الذين أصبحوا عـلى وشـك النهايـة، فقـرر أن يحمـي الذهب والصليب.

- لماذا لم يحاربهم وينتهي؟

- خرج هرقل من حروبه الطويلة مع الفرس منهكاً وجيـشه يعـاني مـن شدة الإعياء ثم أن جيشه كان لا يرغب بمزيد مـن الحـروب ... لقـد قلت لك أن هرقل كان عسكرياً محنكاً وقائداً فذاً قرر أن يخسر الأردن وفلسطين على أن يخسر المزيد من المناطق.

- غريب أمر هذه البلاد مشغولة بالحروب منذ بدأ التاريخ!

- نعم... كلامك صحيح.

- وخسر الحرب.

- هرقل ندم أشد الندم على ما أرتكبه من حماقتين رغم أنه قائد عسكري فذ... الأولى حين دمر مملكة الغساسنة وقـضى علـيهم والثانيـة حـين أنهك الفرس في الشرق وأضعفهم فمنح العرب فرصة القضاء عليهم.

- نعم لكن هذا الأمر لم يكن يمثل أياماً بل احتاج وقتاً طويلاً.

-نعم فترة ليست بقليلة... في هذه الأثناء قرر هرقل أن يخفي الذهب...

-نعم هذا ما أريد أن اسمعه... ولكن لم تجيبيني يا انجل لماذا استخدم المسامير كرموز؟

-عندما قرر هرقل محاربة الفرس استخدم اسلوب قسطنطين الكبير... هل تتذكر كيف استعمل قسطنطين الكبير إشارة X وبداخله حرف P أي اشارة الصليب وحرف يسوع على دروع جنوده لينتصر في الحرب في موقعة جسر ملفيوس عند نهر التيبر.

-نعم صحيح.

-نفس الشيء استخدم هرقل في حربه ضد الوثنيين الفرس أسلوباً مقدساً... فبحث عن شيء ذي قيمة دينية ليحقق الإنتصار له فهو مسيحي ارثوذكسي مؤمن، فسلمه البطريرك الأرثوذكسي أنذاك قطعة صغيرة من الصليب المقدس وضعها هرقل على قائم السيف الذي استخدمه في حربه ضد الفرس وفاز في الحرب وعزا هذا الفوز للقطعة الصغيرة من الصليب، وعندما شعر بأن حربه مع العرب إقتربت بعث برسالة إلى البابا الروماني يطالبه فيها بجزء من مسمار المسيح الوحيد المتبقي الموجود لدى البابا ليضعه في نصل سيفه، ولما تأخر الرد إختار أن تكون المسامير رموز الكنز.

-كيف عرفتِ هذه التفاصيل الدقيقة؟

-سجلها راهب كان المرافق الشخصي لهرقل طوال فترة غيابه عن القسطنطينية، كان أمين سر الإمبراطور وسجل هذه الأحداث كلها في كتاب، والكتاب بقي سرياً مع مقتنيات هرقل الأخرى وجميعها كانت في صندوق سلمه الراهب لعائلة أرستقراطية يونانية من القسطنطينية بقيت تتوارثه إلى أن فرت العائلة إبان فتح العثمانيين للقسطنطينية منها واستقروا لاحقاً في اليونان... وفي فترة الإنهيار الإقتصادي لليونان خسرت العائلة مقتنياتها ومنها هذا الصندوق الذي اشتراه البروفسور دانيال.

-وكيف لم تُكشف هذه الأسرار مسبقاً؟

-العائلة اليونانية لم تستطع فك الرموز.

-كيف اذا عرف البروفسور دانيال أهمية هذا الصندوق؟

-هذا ليس أول صندوق أثري نشتريه!

-ماذا؟ أليس هذا ممنوعاً؟

- لا نعطي هذا الأمر اهتماماً!

- لا يهم أكملي لي... ماذا بعد أن عرف هرقل أن لا قدرة له على محاربة العرب... ماذا فعل؟

- قرر هرقل وعدد قليل من قادة جيشه المخلصين جداً أن يبقوا الأمر سراً وأقسموا على ذلك في ليلة باردة أمام قبر المسيح فجمعوا أكوام الذهب ووضعوها في صناديق خشبية محكمة الإغلاق وقوية وتصمد

أمام محاولات الفتح ووضعت فوقها أقمشة بالقرب من كنيسة القيامة التي كانت تُشيّد في ذلك الوقت...

- هل دفنوها بالقرب من الكنيسة؟

- لا أبداً... علموا أن أبقاء الذهب بالقرب من كنيسة القيامة تدنيس لها فصنع حداد ماهر عشرة مسامير حديد كبيرة طول كل مسمار منها عشرون سنتمتراً، خمسة تحمل رموز على رؤوسها وخمسة تشبهها لكن بدون أي رموز، ثم أعطى هرقل المسامير الخمسة ذات الرموز مع صناديق الذهب لخمسة من أكثر قادة جيشه اخلاصاً مع حراسة مشددة وسلمهم خارطة محددة لوضع الكنز الحقيقي في منقطة محددة في شرقي نهر الأردن... ثم أعطى خمسة من القادة الأخرين الخمسة مسامير التي بلا رموز وصناديق أخرى تحتوي على كميات قليلة من الذهب والكثير من الحديد والحجارة وسلمهم خارطة أخرى لدفن الصناديق الأخرى في منطقة أخرى شرقي نهر الأردن.

- فريقين... لماذا؟

- بالضبط... نتوقع أن السبب هو أن هرقل لم يكن يثق إلا في عددٍ محدود من قادة جيشه، أو أن أهل القدس كانوا يراقبون هرقل عن كثب، أو أن اللصوص كانوا يتابعون تحركات هرقل... لا نعلم. كل ما نعلمه بأن هرقل قسّم الذهب إلى جزأين كبير وسلمه لفريق وقليل وسلمه لفريق آخر.

- فريق حقيقي وفريق إلهاء.
- نعم ومما زاد في شكنا أن علماء الأثار كشفوا أحد صناديق هرقل مؤخراً، كانت كمية قليلة من الكنز في صندوق واحد بالقرب من جدران القدس...
- صندوق الإلهاء.
- نعم...
- لهذا استخدم نوعين من المسامير... مسامير برموز ومسامير بدون رموز.
- نعم...هرقل كان مؤمناً وظن أن بركة المسيح ستحمي الكنز... المسامير تعني الألم الذي عانى منه المسيح عندما صُلب، ووضع المسامير مع الكنز كرموز وإشارة إلى معاناة الروم من الحروب الطويلة لذلك كانت المسامير وإن كانت غير حقيقية لكن رمزيتها جعلت هرقل مقتنعاً أنها تحت حماية المسيح، ولعل هرقل كان يشك ببعض قادته فقرر أن يصنع نوعان من المسامير كل خمسة مسامير تشكل صليباً... فكان هناك صليبان واحد يشير للذهب الحقيقي وواحد يشير إلى الكنز الوهمي... فالمسامير التي تحمل الحروف تشير للكنز الحقيقي وتلك التي بلا حروف تشير للصناديق التي تحتوي على الحديد في معظمها... هذه المعلومة لم يعلم بها حتى أقرب الناس إليه، سجلها الراهب الذي أشرف على كل العملية.
- وهل تم دفنه كما أراد هرقل؟

- نعم بواسطة قادة مخلصين وجنود أوفياء، ومع ذلك لم يكن الكل يعلم على ماذا تحتوي هذه الصناديق حتى أن البعض ظن أن هذه الصناديق توابيت لجنود ماتوا وليس ذهباً...

- حركة ذكية.

- بالضبط

- ماذا بعد؟

- عندما رجع إليه قادته منفذين أوامره بدفن الصناديق كانت الأمور العسكرية تميل لصالح العرب والمناطق تسقط الواحدة تلو الأخرى أمام الفتوحات العربية فحمل هرقل الصليب المقدس وهرب وجنوده والقبائل المؤيدة له نحو الشام.

- ولم يكتشف أحد هذه الصناديق؟

- منذ عام ٦٣٤ ميلادية حتى الأن لم يكشف إلا عن الصندوق الصغير الذي أخبرتك عنه في القدس.

- ألا تظني أن القصة كلها مبالغ فيها! لعل الأمر يتعلق فقط بكنز القدس لا أكثر!

- كنز القدس كان معظمه نقوداً ذهبية والقليل من الخواتم والصلبان والكثير من الحديد ولكنه يحمل إشارة ودلالة على أنه وضع هناك للتمويه ووجد في الصندوق مسمار حديد لا يحمل رمزاً دليل أن الكنز الحقيقي في مكانٍ آخر...

- ولم يشك أحد بهذا الأمر؟ أقصد وجود مسمار حديد مع الذهب؟
- بالطبع لكن لم يستطع أحد تفسير هذا الأمر إلا نحن... نحن نملك الخيوط في معظمها ولكننا الأن نحاول ربطها فقط للوصول للموقع المؤكد للكنز.
- لماذا لم يضع مسماراً واحداً وخارطة واحدة!
- أراد هرقل تمويه وإهام الباحثين عن الكنز... بالخارطة الوهمية والكنز الوهمي ثم لا يمكن لهرقل أن يفكر بطريقة تقليدية أمام كنز بهذا الحجم... كان الكنز ضخماً جداً وكان الهدف إخفاء أكبر كمية ممكنة منه ولذلك وضع صناديق وهمية بكميات قليلة من الذهب ليتوهم الباحثون عن كنزه بأن هذه الصناديق تمثل الذهب المحصن...
- إخفاء بالرموز؟ كثرة الرموز هذه تجعل الإنسان يضيع!
- وهو المطلوب... لقد كان هرقل يعتقد أنه يستطيع هو أو أحد أبنائه أو خلفائه من العودة وتحرير هذه المناطق... يستطيع أحدهم من اعادة ترتيب جيشه والعودة وقتال العرب وطردهم كما حدث مع الفرس لذلك ترك هرقل رموزاً وإشارات وخرائط تشير لمكان الكنز الحقيقي وأيضاً للكنز الوهمي وظلت هذه الوثائق محفوظة في كنيسته الصغيرة في القصر إلى أن اكتشف أن أقرب الناس إليه يحيكون فساداً في القصر فخاف أن تضيع الوثائق وينتهي أمر الكنز فوضع هذه

الكتب والخرائط والرموز في عهدة الراهب قبيل مماته... وتناقلتها العائلة التي أخبرتك عنها بعد ذلك إلى أن وصلت إلى أيدينا.

- الخريطة التي معك هي للكنز؟

- خريطة واحدة من أصل عدة خرائط ولم نكن نعلم هل هي الخريطة الحقيقية أم خريطة وهمية لتدلنا على الكنز المزيف، لكن عندما علمنا بموضوع كنز القدس وأن المسمار الذي كان بحوزة البروفسور خليل كان لا يحمل رمزاً عرفنا أننا في طريقنا للكنز الحقيقي..

- لكن ألا تعتقدين أن هرقل وضع هذه الأمور ضرباً من الجنون؟

- أعرف أن التاريخ يقول أنه مات مجنوناً لكن صدقني هرقل مات بعقل سليم وأن الإضطرابات التي أصابته في أخر عمره كانت نتيجة الضغوطات النفسية التي حلت به... وقد تكون تمثيلية افتعلها.

- والكنز... كيف نكتشفه؟ برفسور خليل مات وقال أنه اكتشف مسماراً لا يحمل رمزاً وهذا المسمار لا يدل على الكنز الحقيقي فأين المسامير التي تحمل رموزاً؟

- حسناً المسامير الخمس التي بدون رموز كشف أربعة منها واحد منها كشفه البرفسور خليل في جرش.

- حقاً؟

- نعم، وأحد المسامير التي تحمل رمزاً كشفه البرفسور دانيال مؤخراً.

- حقاً؟

فجأة دخل علينا الرجال الأربعة وسيرين وأحدهم يحمل زجاجة نبيذ... أَخذ يلوح بها وهو يقول: هل طلبتم النبيذ لنا؟

-كيف أحضرتها؟

-كان هناك شاب من خدمة الغرف سيطرق الباب فأخذتها منه؟

كان معهم شاب ذو ملامح عربية توقعت أنه علاء... كان يلبس ملابس رسمية ولم يكن يظهر عليه الخوف أو الخطف... شكرت الله أنني لم اتسرع بحكمي عليهم بأنهم أوغاد... قال لنا جيمس أنه طلب لنا العشاء وأن البرفسور دانيال سيحضر قريبا... جلس علاء وجلسنا كلنا حوله كان ينظر لانجل نظرات الشهوة إياها وهي كذلك تنظر له نظرات الشهوة... شعرت بغيرة تقتلني لكني كتمت مشاعري فأنا لست جيداً بتحليل هؤلاء... لعلي أخطأت التحليل كالعادة!

أخذت انجل تسأل علاء عن حياته وأمور شخصية ولم تبادر خلال الدقائق الأولى عن سؤاله عن المسمار وماذا فعل بالتقرير... إلى أن دخل البرفسور دانيال فوقف الجميع وبادر هو بالسلام على علاء معرفاً عن نفسه.

- علاء لا بد أن الشباب أخبروك أننا نريد معلومات منك عن المسمار.

- المسمار ليس بحوزتي الأن.

- لا تخف يا علاء نحن الأخيار ولن نشكيك للحكومة ولن نفضحك... الشباب أعطوك مبلغاً جيداً لتحضر وسنمنحك مبلغاً مجزياً مضاعفاً عشرات المرات اذا جعلتنا نرى المسمار وتعطينا

الأحـداثيات التـي حـددها البروفـسور خليـل لمكـان المـسمار الـذي بحوزتك... ثم أليس المسمار أخذته مـن الـدائرة عـلى سـبيل الإعـارة لغايات الدراسة؟

- نعم...
- اذا لماذا تخاف؟

بقي صامتاً بينما وزع علينا جيمس أقداح النبيذ... طرقنا الكـؤوس وشعرت بطرقتها في قلبي... هناك شيءٌ ما غير صحيح في كل ما يجري!

- انجل أحضري للسيد علاء مبلغ ألف دينار...

قامت انجل لإحدى الغرف التي كانت فيها الأجهـزة وأحـضرت رزمة من الخمسينات ووضعتها على الطاولة أمام علاء... نظر علاء لهـا ثم لجميع الحاضرين.

- بروفسور دانيال أنت تعرف أن المسمار وحسب البروفسور خليل يدل إلى كنز والكنز ضخم جداً... الألف دينار لا تمثل شيئاً بالنسبة للكنز...

نظر البروفسور دانيال مطولاً لعلاء...

الأن عرفت أن علاء هو الوغد!

- ومن قال لك أن هذا المبلغ مقابل الكنـز؟ هـذا المبلـغ دفعـة أولى مـن خدماتك معنا... ستحصل على مبالغ كثـيرة وعـلى حـصة كبـيرة مـن الكنز... عندما نكتشفه.

ثم نظر البرفسور لي وأشار بأصبعه:

- وهذا تميم... سيحصل على حصته إيضاً لأنه يعمل معنا بجد... وهذه سيرين ستحصل على حصتها، وكثيرون تعاونوا معنا سيحصلون على حصص مجزية.

أسعدتني ملاحظة البروفسور جداً... أخيراً سأحضى بكنزين ومعاً... انجل وحصتي من الكنز.

ابتسم علاء ووضع المبلغ في جيب السترة الداخلي ثم قال: غداً بروفسور سأجلب لك المسار والصور والإحداثيات من القاصة خاصتي في البنك.

- شكرا علاء...

في تلك الليلة أكل وشرب علاء معنا بدون توقف وثمل كثيراً وثم اخرج ما في معدته في الحمام... وبعدها جره الرجال للأريكة... فنام مثل دبٍ قطبي في الصالة...

كان طيلة السهرة يحاول مغازلة انجل وكانت انجل تجاريه وأنا كنت أُجن كلما رأيت تواصلاً بالعيون بينهما ولم ارتح إلا بعد أن نام كالميت في الصالة.

ذهبتُ وانجل لغرفتنا... عاتبتها على غزلها المبطن مع علاء... ضحكت ضحكة أرعبت داخلي وهي تقول أنها فعلت ذلك لتحصل منه على ما تريد...

ماذا لو كانت تستخدم نفس الأسلوب معي؟

عاد موضوع سيرين يؤرقني! هل هي مصدر معلومات عني لهم؟ من أين يعرفون كل هذه الأمور... هل لسيرين دور بهذا الأمر؟

أخذت تراضيني... وتقبل وجهي كأنها تقبل وجه طفلٍ صغير...

وأنا كنتُ أتصرف كالأطفال...

قالت أنها كانت تشمئز من منظره وتصرفاته طيلة الجلسة لكن ما عساها تفعل...

أشحتُ بوجهي عنها...

قالت لي أن نترك الكلام إلى ما بعد الجولة الأخرى من الإستمتاع...

عندها استسلمت لها ولقرارها... وعلمت أن كلامنا لن يبدأ مجدداً قبل منتصف الليل... لكن لم نتكلم ليلتها...

انتهت نوبة العشق وأشعلت سيجارة واستمتعت بها ثم نامت من شدة الإنهاك.

التحليل والإكتشاف

بعد أن ننتهي من جولاتنا... نُدخن!

ما سر العلاقة بين الإستمتاع والتدخين؟

ما أن انتهي منها حتى تسرع إلى باكيت السجائر وتخرج سيجارة وتمتصها بنهم... وأنا أصبحت أُقلدها مؤخراً... كنت أحاول النوم ولم استطع... دخنت أكثر من نصف باكيت السجائر ولم يغمض لي جفن... لعله تأثير الكحول؟... لكن أنا أحتسي الخمور يومياً...

أم أنها الغيرة أشعلت من ضلوعي حطباً لها فإستفاقت من حرارتها كل الحيوانات المتوحشة في داخلي وثار بركانٌ داخلي جعل النوم يهرب مني...؟

- أنها مجنونة...

قال لي صديقي الجاحظ العينين... وقد ظهر من حيث لا أعلم.

- تباً... ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- اتركها يا رجل... سوف تحرقك كما تحرق السيجارة وسوف تندم.

- أنها سبب سعادتي.

- هناك سببٌ لكل شيء... لكن الفرح لا يحتاج إلى سبب، الفرح هو الشيء الذي يأتينا بلا مبرر، دون أن نسأله لماذا أتيت؟ دون أن نسوغ مبررات لقدومه...

- ماذا تقصد؟

- أنت تتورط يا تميم، أنت في صميمك تعلم أن ما تفعله خطأ وأن علاقتك بهذه الأجنبية مرحلة وستنتهي... أنت تعيش سعادة اشباع الرغبة لا أكثر.

- اخرج... اخرج... ما الذي جاء بك في منتصف الليل؟

قلت جملتي الأخيرة بصوتٍ عالي فقامت انجل من نومها فزعه ونظرت انجل إلي ثم إلى أرجاء الغرفة... ثم إلي مجدداً حيث ما زلت أجلس على السرير... ثم نظرت مرة أخرى لأرجاء الغرفة تتلفت... ثم نظرت إلي: إلى من تتحدث تميم؟

كانت علامات التعجب في وجهها تقول أنها في حيرة من أمرها.

- لا أحد... لا أحد!

- لقد اخفتني ظننت علاء دخل هنا...

- لا ... ألا تسمعين شخيره يهز الفندق هزاً...

ضحكت ثم جلست على السرير تحاول أن تخرج النوم من عينيها...

-مع من كنت تتحدث؟ سمعتك تتحدث مع أحد ما.

-مع نفسي لا يهمك شيء... ألن تخبرينني أكثر عن المسامير!

ذهبت عنها علامات التعجب والإستغراب... قامت عن السرير وذهبت خارجاً ثم عادت بعد دقيقة وفردت خارطة كبيرة على السرير... كانت خارطة للأردن وفلسطين... نفس الخارطة التي شاهدتها معها أول مرة... ثم قالت وهي تؤشر على الخارطة.

-هذه القدس... هنا وجد أحد العلماء الإسرائيليين أول صندوق وهو الصندوق الصغير الذي فيه مسمار بلا رمز وقطع نقدية ذهبية تحمل نقوشاً لهرقل وولديه...

-صندوق الإلهاء.

-نعم.

ثم سحبت أصبعها بإستقامة نحو يمينها إلى ما بعد شرق نهر الأردن ووقفت بالقرب من مادبا وأشارت للمدينة، نظرت إلي... فقلتُ لها:

- انجل ... هذه مادبا.

-نعم مادبا... وجد فيها أحد الرهبان الإيطاليين اسمه الأب منفريدي في بداية عام ١٨٩٠ صندوقاً خشبياً كبيراً تحت ركام أكروبوليس مهدمة وسجل أنه وجد في الصندوق حديداً وعظاماً وحجارة وعدداً من اللقى وقطع نقدية ذهبية تعود لفترة هرقل ومسمار حديد... وأنه أرسلها للدراسة لعالم أثار إيطالي في القدس.

- حقاً؟ لم أقرأ عنها...

- لم يعر أحد هذا الأمر اهتماماً لكن أحد المستشرقين ذكرها.

- وأين المسمار؟

- مات الراهب وهو يبني كنيسة كاثوليكية أعلى أطلال أكروبوليس مادبا، فوضعوه في نفس الصندوق مع المسمار والعظام ذاتها التي كشفها ودفنوه تحت الكنيسة.

- وكيف ستتأكدي من صحة الكلام؟

- القطع الذهبية معروضة في متحف الأباء الفرنسيسكان في القـدس... وقيل أن مصدرها أكربوليس مادبا ومكتشفها الأب منفريدي.

ضحكت... ثم هبت خارجاً مجدداً وعادت وهي تحمـل مـسمارين حديدين كبيرين... فاعتلت عـلى وجهـي الـصدمة... وضـعتهما بيـدي وأشارت إلى رأسهما... كانا متشابهين جداً وخاليين من أي رمز.

- أين وجدتيهما؟

أمسكتهما كل واحـد بيـد وبـدأت اتفحـصهما... مـسماران قـديمان ثقيلان ولكن لم يعتريهما أي صدأ أو خراب

- لقد اقنعنا كاهن الكنيسة قبل سـنوات بـالحفر في سراديـب الكنيـسة الـسفلية للكشف عن الأكروبوليس وبينما كان هو والعمال يبحثون عن جدران القلعـة كنتُ أنا والرجال قد وصـلنا للقـبر تحـت الكنيـسة واسـتخرجنا الـصندوق وأخذنا المسمار وأعدنا التابوت وكل شيء إلى مكانه.

- ولم يكتشف الكاهن الأمر.

- بلى... لكنه كان يهتم أكثر بما تحتويه اسفل كنيسته من مسمار حديدي.

- حسناً والمسار الثالث؟

عادت ووضعت أُصبعها على مدينة مادبا ثم قالت: أتـرى المـسافة بين القدس ومادبا؟

- بلى

أخذت تسير بأصبعها نحو الجنوب إلى أن وصلت للكرك...

- أدر؟
- نعم أدر أو أدريانوس
- وكيف وجدتم الصندوق هناك؟
- بينما كان يبني أحد الرجال بيتاً له في أرضه وجد الصندوق فظن أنه كنز فكسر الصندوق فوجد فيه قطعاً نقدية ذهبية وشمعدانات ذهبية ومسمار حديد وعظام...
- وكيف توصلتم إليه؟
- عرض الرجل صورة للمسمار الحديدي على موقع للمزادات العالمية على الإنترنت لبيعه مع بقايا الصندوق المحطم ظناً منه أنه قد يحقق مبلغاً ضخماً، فأتينا إليه خصيصاً وإشتريناه منه بعد جهد جهيد، وتبين أنه المسمار الثالث الذي لا رمز عليه... المسمار الآخر الذي بيدك.
- حسناً وماذا عن المسمارين الأخرين؟ كيف ستكتشفينهما؟
- لا يهم... المهم عرفنا أحداثيات الكنز الوهمي... الكنز الحقيقي أقرب ما يكون لمركز الكنز الوهمي إن استطعنا تحديد مركز الكنز الوهمي.
- وكيف هذا؟
- عندما حللنا صلاة هرقل وخريطته عرفنا أن المسامير وزعت على شكل صليب...
- صليب؟

-نعم صليب ...

أخرجت ورقة حديثة وقرأتها أمامي "بجـاه صـليبك الحقيقـي يـا يـسوع المسيح الذي أرجعناه من أيدي الكفار عبدة النار ونصبناه في كنيسة القيامة أحمـي القسطنطينية وشعبها... نحن نؤمن بصليبك الحقيقي المقدس من بئـر سـبع إلى أرضي إرحابا ومـن كاسـترون ميفعـه إلى اشـدود أحمـي يـا رب أرض هرقـل وشعبها، بجاه صـليبك المقـدس أحمـي جراسـا وشـعبها... ميـدبا وشـعبها... أدريانوس وشعبها وكل الأرض المقدسة، نحن نؤمن أيها الرب بأنك إله كامـل حقيقي وإنسان كامل حقيقي ولا نؤمن بالوهم، بجاه صليبك المقدس والمسامير التي تحمل أوجاعك إحمي بيعتك، وكما نصرتنا على عباد النار أنصرنا أيها المسيح على الأعداء القادمين من الجنوب باسم الأب والإبن والروح القدس أمين".

طوت الورقة وهي تقول: هذا نص الصلاة الذي نقلناه من الورقـة الأصلية شبه المهترئة مـن اليونانيـة القديمـة إلى الإنجليزيـة، لم نـستطع استخدام الورقة كثيراً لذلك ترجمناها وأحتفظنا بالأصلية في مكان آمـن لئلا تتعرض للتلف.

- لم اسمع أمي أو أيًّ من الذين أعرفهم يصلي هذه الصلاة.

- هذه الصلاة تحمل الرموز التي قلت لك عنها... كانت صلاة خاصة.

- نعم انجل ... لو أنها صلاة عامة لسمعتها على لسان والدتي.

- هناك رموز يمكننا ربطها مع المسامير... أولاً جملة المسامير التي تحمل أوجاعك... ثانياً خمسة مسامير بخمسة رموز أوجاع المسيح الخمـسة،

ثالثاً جملة صليبك الحقيقي... رابعاً كلمة الوهم... كلها رموز واضحة لمن يربطها بالوثائق... هذه النقاط كلها موجودة في الكتاب الذي كتبه الراهب وفي الخريطتين.

- مدهش!

- نعم يا تميم... هذا ما يريد إيصاله هرقل.

- وذكر اسماء المدن وأماكن الرموز!

- الكنز الوهمي أشار إليه بالمسامير التي لا تحمل رموزاً وكانت غير مثبته! وفي تلك الفترة كان هناك صراع عند المسيحيين بين المؤمنين بطبيعتين وهو المذهب الرسمي للكنيسة الأرثوذكسية في القسطنطينية، والمؤمنين بالطبيعة الواحدة وهم الهراطقة التي كانت الحكومة البيزنطية تحاربهم... لذلك وجدنا المسامير داخل الصناديق أو جزءاً منها ولكنها غير مثبته على خشب أو صخر أي أنها مسامير عدم الايمان أو مسامير لم تستخدم في تثبيت شيء... اذا هي المسامير التي تدل على الكنز الوهمي... وهذه المسامير التي لا تحمل رموزاً وضعت خارج كنائس بينما المسامير الرمزية وضعت في كنائس إلا واحد في قبر وهو المسمار الذي يحمل إشارة الصليب (+)...

- نعم...

- والمسامير الحقيقية حسب مخطوطات هرقل مسامير مثبته وليست داخل صناديق.

- ألا يكون مسمار مادبا هو المركز للكنز الوهمي كونكم وجدتموه في قبر الكاهن؟

- نعم غير مستبعد، فقد وضع في قبر الكاهن قبل قرن من الزمن بينما وضعه جنود الروم في قبر في الأكروبوليس مع الصندوق... لكن الفكرة بأن مادبا هي مركز الكنز الوهمي ما زالت قائمة.

- حسناً المسامير الثلاثة الوهمية تصل بين القدس ومادبا وأدر اذا لا بد أن مادبا المركز... كون أدر تقع جنوب مادبا اذا لا بد أن المسمار الرابع في جرش التي اسمها جراسا في ذلك العهد حيث نبحث الأن والخامس....

- وأشرتُ بيدي إلى الصحراء

- لا نعتقد أن جيش هرقل وصل بعيداً إلى الصحراء... ثم أننا وجدنا مسمار جرش... المسمار الذي بحوزة علاء.

- اذا من المؤكد أن علاء لديه القصة كاملة... الجزء المطلوب من القصة.

- هنا تكمن الصعوبة ووصلنا لطريق مسدود... تم العبث بقصة مسمار جرش... التوثيق سُرق من قبل علاء ولذلك نحن بحاجة لعلاء لنستكمل تحديد الموقع الوهمي.

- ألا تعتقدين أن الأمر كله مختلق...أو قائم على الوهم مثل رواية كنوز الملك سليمان الذي نشرها هنري رايدر هاجارد أو مثل رواية عزازيل الذي نشرها يوسف زيدان... ألا تعتقدين أن هذا كله اختلاقات وربط شي مقدس بشيء سري مما يجعل الناس تُقبل على السر وتبحث عن الذهب والكنوز؟ الإنسان يميل للغموض وحل الألغاز.

- لا... نحن نملك أدلة قاطعة ولم نستند لأوهام والمسامير أكبر دليل على صدق المخطوطات التي بين أيدينا.

علامات الحب الوهمي

في الصباح الباكر كان البرفسور دانيال يحاول أن يُفيق علاء...

كان كالأبله لا يعرف أين هو لشدة ما شرب بالأمس!

قال لـه البروفـسور أن أحـد الرجـال سـيرافقه إلى البنـك في عـمان لجلب المسمار... حمل الرجال علاء للحمام وهناك أخـذ دشـاً طـويلاً... تناولنا الفطور معاً... قرر البروفسور بأن على أثنين من الرجـال مرافقـة علاء... وواحد من الرجال الذهاب للبحر الميت لتجهيز مجموعة غرف لنا في أحد الفنادق هناك، تم حجزها عبر الإنترنت، وأن يبقى رجـل في هذا الفندق ليتأكد بأن أحد من خدمة الغرف لا يعبث بالأجهزة... أمـا البروفسور دانيال فسيبقى ليدير بعض الأمور المهمة هنا! أما أنا وانجـل فقـد طلـب منـا الـذهاب للحفريـة حيـث العـمال ولأنـه قـد يحتاجنـا البروفسور لاحقاً...

وهكذا حدث...

سألت انجل لاحقاً في الحفرية: لماذا سنذهب للبحر الميت؟ هو بعيـد كـل البعد عن مكان الكنز. ثم أن تغيير مكان إقامتكم سيثير الإستغراب.

- ستعرف لاحقـاً... كـل شيء في الوقـت المناسـب سـتعرفه ... لا تـستعجل الأمور... والأمور الأمنية لا تهتم بها نحن نعرف كيف ندبر أمورنا.

- لماذا نحن الأن في الحفرية حيث العمال يحفرون في الموقع الأخر الـذين يفترض أن البروفسور يقوم به فقط للإلهاء!

- لنحدد المكان الأمثل للمسمار وبعدها ستصبح الحفرية شي غير مهم.

- وكيف ستفسرون غيابكم عن الحفرية للدائرة وللجهات الأمنية؟

- لا تهتم بهذا الأن! البروفسور يملك كل الحلول...

- أي حلول؟ يجب استكمال الحفر...

- البرفسور سيعمل على ترتيب أمور الحفرية ونحن في البحر الميت... سيتولى تغطية موضوع غيابنا وإنتقالنا من مكان إقامتنا.

- انجل... هل ستبقين معي بعد اخراج الكنز؟

- لا... سأخرج من الأردن فوراً.

- ستتركينني؟

- سأبقى أُحبك.

- وكيف ستفسرين لي ترككِ إياي؟

- تميم... المهم أن نجد احداثيات المسمار وغير ذلك لا يهم.

- لا يهم!!! لا يهم يا انجل !! علاقتنا لا تهمك يا انجل ؟

لم تجب... بقيت صامته... أما أنا فلم استطع الصمت

- بمجرد ما تنتهي الحفرية ستذهبين لبلدك يا انجل وأنا سأعود لبيتي... بمجرد ما تنتهي الحفرية لن يعود هناك شيء يربطنا معاً... إلا اذا تركتي يا انجل كل شيء وبقيت معي... أنا مستعد لترك كل شيء من أجلك يا انجل ... لا أريد حصتي من الكنز... وسأترك زوجتي وأولادي لأجلك يا انجل .

- لن يحدث هذا... لن تنال الهجرة بهذه السهولة! القوانين الأمريكية تغيرت.

-الهجرة؟ لا أريد الهجرة! أريدك أنتِ... أنتِ حبيبتي... أنتِ من أحب يا انجل ... سنعيش هنا... إبقي معي.

نظرت انجل لي ثم التفتت إلى العمال وهم يقومون بنبش أحد المربعات في الموقع... وقالت لي: لا تهتم يا تميم... بمجرد الحصول على المعلومات المطلوبة عن المسمار... ونكتشف موقع الكنز الحقيقي ستأخذ نصيبك وتعود إلى زوجتك وأولادك وعملك وحياتك يا تميم.

قالت هذه الكلمات الصاعقة وتركتني فوق كومة من الحجارة والأتربة أراقب العمال وذهبت هي نحو شجيرة جوري قريبة من مكان الحفرية وأخذت تقطع بعض الورود الجورية عنها...

أقتربت منها... مسكت خصلة من شعر رأسها وأخذت أداعبه بأصابع يدي...

-ألم تسمعينني جيداً؟ قلتُ لكي سأتخلى عن كل شيء لأجلكِ...

لم تجب...

- هل تعرفين قصة الورد الجوري يا انجل؟

- لا.

-أنها قصة الخيانة...

بقيت صامته تتأمل الورود وتشمها.

-أنتِ عالمة أثار كتابية... اذا لا بد أنكِ تعرفين قصة قابيل وهابيل... تقول الأسطورة أن الجوري كان ذا لونٍ شفاف، وعندما قتل قابيل أخاه هابيل سقطت قطرة دم منه على وردة جورية فأصبح لونها أحمر تماماً كتلك التي تقطفينها الأن، وبكى هابيل من خيانة أخيه فسقطت قطرة دمع منه على جورية أخرى فأصبح لونها أبيض تماماً كتلك التي هناك، ولفظ هابيل أنفاسه الأخيرة قريباً من جورية أخرى فأصبح لونها أصفر... تماماً كتلك أيضاً.

-أنت قلت هي أُسطورة... مجرد وهم.

-الخيانة ليست أسطورة... الجوري بألوانه أسطورة... كالكنز الذي تبحثين عنه أنتِ والمجموعة المشبوهة أسطورة... أنتم تبحثون عن وهم.

لم تعلق على ما قلته بل تركتني أتحدث ومشت وإنساب خصلة شعرها من يدي وذهبت بعيداً... نحو الخيمة حيث التقينا لأول مرة...

لم أجرؤ على أن اتبعها...

لحظتها شعرت أن أموري ستعود كما كانت قبل أن ألتقي بانجل ...

سأعود لزوجتي وصراخها وعويلها...

سأعود لأولادي الذين اشتقت لهم وتركتهم منذ مدة لأجل انجل ...

سأعود لعملي ولحياتي ولرتابتها...

سأعود للماخور ولوضاح أرجوه أن يجد لي مكاناً في ماخوره...

سأعود لكِ يا حياتي الكريهة!

كنت دائم الشعور بأن هذا الحب لا يمكن أن يدوم...

كانت علامات ورموز وإشارات الحب الوهمي ظاهرة... واضحة.

معالم الوهم في علاقتي بانجل لا يمكن إنكارها...

كانت علاقة ميته منذ البداية في صندوق خشبي ومساميرها غير مثبته.

لكنني دوماً كنت أقهر قلبي وأمنعه من حرية التعبير عن الرأي...

قلبي الذي اسحقه دوماً.

أنا أسف يا قلبي...

كنت دائم القلق بأنه في يوماً ما سيتخلون عنكَ... وستعود لي يا قلبي... لكن كيف ستعود؟

كيف سيكون شكلك؟

كيف ستكون هيئتك؟

أهٍ يا قلبي كيف سأواجهك وكيف ستواجهني؟

ألم نتفق يا قلبُ أن تبقى معي وأن لا يسلبك مني أحد؟... ولكنك... طرت إلى البعيد عند أول نسمة " هوى"... وخطفتك انجل مني...

اتمنى لو أنني عَصَبتُ عينيك يا قلبي فلا تعشق ولا تحب... أو أقلها أن تتوه في هوى غير هذا الهوى.

ماذا ستفعل انجل؟

هل ستبقى معي؟

هل ستأخذني معها؟... حلم حياتي أن تبقى لي... لكن رغبتي أرقُّ من حلمٍ عسير!

عند البشر الطبيعيين تضاريس الحب بين مرتفع ومنخفض وبين سهلٍ ووادي... إلا عندي!

فلماذا الحب عندي من صحراء إلى ثرى بلا معالم...

لماذا يكون الحب عند الناس جميعا ناراً مستعرة وعندي كومة ثلجٍ باردة؟

ألن تتغير يا حظي لمرة ويخترقني سهم الحب بلا رحمة...

إخترقني أيها الحب وأحرقني... أنا حطبك...

أهٍ يا حب كم من قلوبٍ عاجزة عن توفير الدفء لأصحابها وأنا منهم...

أيها الحب لماذا زرتني؟ أم أنت وهم حبٍ رزقتني به الغيوم الربيعية في ذلك اليوم الذي أمطرت فيه على الخيمة عندما التقينا أول مرة؟

نعم يجب أن لا نثق بغيوم الربيع...

لماذا لم تأتِ أيها الحب في موسم الحب المطري... لتمطرك السماء مع الغيوم التي تأتي ولا ترحل... لماذا لم تأتِ في موسم الحب الوردي فتتسرب مع أشعة الشمس في الصباح وتتفتح معك زهور الفجر... لماذا لم تأتِ في موسم حصاد الحب مع النسمات العليلة وطيور السماء تلتقطك من الأرض مع الحبوب المتبقية...

أهذا قرارك الأخير أيها الحـب؟ أن تـأتي في غـير ميعـادك... تغـزو كياننا الملتهي في الحياة... كياننا الغافل... فتحتله وتثير الفوضى وتسلب السعادة وتقتل البراءة وتهشم المكان وترحل تاركاً خلفك الحطام!...

هكذا بكل بساطة؟ تتخذ قراراً بالرحيل...

رحيلٌ بلا موعدٍ للعودة؟

الخيانة... نهايتها إهانة

في المساء عدنا للفندق... كان الصمت سيد الموقف بيننا طيلة الطريق...

في الفندق كان علاء والبروفسور والرجال الأربعة وسيرين في الصالة وكان منظرهم يوحي بتوصلهم لحل ولكن كان شيئاً ما قد استعصى عليهم...

دخلنا فقفزت انجل فوراً على التقرير.

قال لها البروفسور: كما توقعنا إشارة الصليب القائم هي للكنز الوهمي تشير بأن مادبا هي المركز ورأس الصليب في جرش.

قالت انجل: دعنا من الكنز الوهمي ماذا عن الكنز الحقيقي...

الصليب الأخر المائل يشير بأن منطقة القدس المركز ورحاب أو بئر السبع رأس الصليب...لماذا تقرير البروفسور خليل يشير إلى رحاب التي في المفرق إلى أنها رأس الصليب؟

تدخلت هنا وقلت له: لكن لم ترد ذكر رحاب في صلاة هرقل.

رد علي البروفسور:

-المنطقة وردت في صلاة هرقل... لكن في التقرير ذكر أن هرقل أقام برهة من الزمن في رحاب في المفرق.

-لا أخطأتم الترجمة وأخطأ البرفسور خليل في التحليل... إنها إرحابا... في إرحابا منطقة اسمها خربة هرقليا... هذه هي "أرض

هرقـل وشـعبها" الـواردة في نـص الـصلاة... إرحابـا القريبـة مـن عجلون... وليس رحاب في المفرق.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض ثم للخريطة ثم إلى بعضهم البعض ثم إلي إلى أن قال البروفسور: نعم... صحيح.

قفزت انجل من مكانها إلي وهـي تقبلنـي عـلى وجهـي ووجنتـاي والجميع يصرخون نعم نعم...

لم أهتم لسعادتهم ولا لحل المشكلة المستعـصية... كانـت سـعادتي بأن علاقتي بانجل عادت إلى طبيعتها...

لقد قبلتني! هل الأمور بخير الأن؟ أعتقد كذلك...

جلـسنا ننظـر للخارطـة نـستطلع أيـن يمكـن أن يكـون الكنـز في إرحابا... وبعد حديث طويـل قـام البروفـسور وقـال: درسـنا طـويلا كنائس المنطقة لم نجد ما يشير لمسمار عليه رمز فيها.

قال جيمس: لا بد أن المسمار في إرحابا نفـسها... لكـن هـل هنـاك كنيسة في إرحابا؟

رد البروفسور: لا يفترض أن يكون المسمار في كنيسة قـد يكـون في قبر اذا كانت هي المركز بالفعل.

قلت: قبور!!... نعم هناك في إرحابـا قبـور رومانيـة وبيزنطيـة... أتذكر أن أحد الزملاء كشف عن قبر هناك وقال أن المنطقة تحتـوي عـلى قبور في كهوف رومانية وقبور بيزنطية.

علاء: نعم إرحابا تحتوي على مقابر رومانية وبيزنطية، لكن لم يكن هناك وجود للذهب أو دلائل تشير للذهب لذلك أشار البروفسورخليل كأساطير عندما تحدث عن قصة المكان في تقريره.

قالت انجل: هرقل دفن الكنز في عدة قبور... وحتى نجده لا بد لنا من نبش القبور لكن كيف؟

قال البروفسور: لا يمكننا أن نترك حفريتنا هكذا ونذهب لمنطقة أخرى نحفر فيها.

قلت: لماذا لا أذهب أنا و انجل للمنطقة ونستكشفها أولاً.

البروفسور: لا أنت ستبقى معي في الحفرية وستذهب انجل والرجال هناك غداً، علاء هل ترغب بالذهاب معهم؟

علاء: نعم بالتأكيد.

شعرت بالنار تتفجر في عروقي، لكن لا يمكن أبداً معارضة البروفسور...

في تلك الليلة أخذ علاء يتحدث عن القبور في إرحابا وأنه كشف مع لجنة عن بعض القبور هناك لكن لم يكنْ هناك ذهب، وبينما نحن نتحدث ذهبت انجل للغرفة وأغلقت خلفها الباب... كنت أريد أن أتبعها فوراً لكن نظرات البروفسور إلي جعلتني أتسمر في مكاني لحين انتهاء الجلسة...

بعد أن غادر البروفسور وسيرين وعلاء ورجلان خارجاً وذهب الرجلان الآخران كل واحد إلى غرفته توجهت لغرفة انجل... حاولت

فتح الباب...طرقته عدة مرات... فكان مقفلاً... طرقت الباب كان الصمت جواباً على نبض يدي على الباب... ناديت انجل ... لم تتحدث! لم تنطق! لم ترد!

شعرت أنني غير مرغوب بوجودي معها تلك الليلة! شعرت أن ما بيننا قد كُسر فعلياً

ما الذي حدث؟ قبل قليل قبلتني والأن أغلقت الباب ولا تريدني أن أدخل!

ما الذي فعلته لتكرهني هذا الكره الشديد؟

جلست على الأرض عند الباب لعلي اسمع صوت أنفاسها... كان الصمت هو الصوت الوحيد المسموع!

قررت الخروج من الجناح المخصص لنا والذهاب إلى بار الفندق...

أحياناً نكره المكان الذي نحن فيه أو الموقف أو الشخوص المحيطين فينا، وأحياناً تكرهنا هذه الأشياء كلها ونحن لا نشعر بها، أو قد نشعر بها متأخرين...

وأنا حين أنظر لنفسي في المرأة أجدُ نصفاً يكرهه الناس ونصفاً أكرهه أنا!

المكان يكرهني... وأنا أكرهه... و انجل الأن تكرهني ولكنني أعشقها...

من يعشقني في هذه الحياة؟ أشك أن أحد يهتم لأمري... كأنني نكرة... لا أحد يعلم بوجودي أصلاً...

قد يكون أطفالي من يحبون والدهم فقط... أولادي الذين تـركتهم ولم أسأل عنهم منذ مدة!

لأول مرة منذ مدة أشتاق لأولادي! كم أنا والدٌ حقـير وفاشـل... مر وقت لم أراهم فيه، هي بالنسبة إليهم أيام وبالنسبة لي سنوات! كنـت فقط قد أرسلتُ لهم الأموال والألعاب... لكن هل تحل الأموال مكـان مشاعر الأبوة؟ هل تحل الأموال مكـان احـساس طفـلٍ بحاجتـه لأبيـه ليـساعده في مـسك القلـم حـين يكتـب؟... ليعلـب معـه... ليرشـده للطريق... ليدله على الصواب؟

كم أنا فاشل!

سأذهب للبار وأحتسي بعض المشروب وقريباً بعد أن أخذ حصتي من الكنز سأذهب للبيت وأنام بجانب أطفالي!

انجل لا ترغب بي... حسناً لن أفرض نفسي عليها...

قمت من مكاني ونزلت للبار... كان الوقت متأخراً جداً...

كان هناك بعض الزبائن السكارى هنا وهناك... أحـدهم احتـسى مشروباً بما يفوق قدرته فأخذ يبكي وحيداً في البار بلا رفيـق يواسـيه... وآخر صامت يحتسي كأسه بهدوء... آخر يـضحك ويـرقص في إحـدى الزوايا وحيداً... وكأنني لمحت جاحظ العينين يسكر هنا أيضاً، لكننـي كَذّبتُ عيني وسرت نحو كاونتر البار.

قلت في نفسي إن شربتُ بما يفوق قدرتي سأبكي وسينظر لي النـادل بمزيد من القرف والإشمئزاز كما ينظر الأن لهؤلاء... أنـه ينـدب حظـه

التعس في أنه في هذه اللحظة بل في أوقات عمله كلها لا يختلط إلا بسكارى تفوح منهم روائح الخمر والبؤس والوجع...

لا أريد أن أضيف لأحزانك أيها الساقي حزناً جديداً ولا أريد أن أُضيف لزبائنك رقماً... سأحتسي جعة بشكل سريع ثم سأعود للجناح وأنام " كالبغل" على الأريكة في الصالة كما فعل علاء!... كم أتمنى لو أن لي الجرأة لأن أغادر هذا الفريق الأثري وأُنهي علاقتي مع انجل ... لكني أضعف من هذا كله.

أخذت مكاني على كاونتر البار وطلبت جعة وطلبت من الساقي أن يحسبها على الغرفة، أحضر لي الساقي الزجاجة مع صحن من المكسرات... أخذتُ جرعة كبيرة منها...

كان هناك قلم وورقة... قررت أن أكتب شيئاً لانجل :

دعيني يا انجل أكتب لكي شيئاً... يعبر عن حقيقة شعوري.

دعيني قبل الرحيل ألملم بقايا حبي

دعيني أجمع حطباً لوقود عشقي

لعلي أشعل فيه مشاعري وأحاسيسي

لعل قلباً يستدفئ... ظننته للوهلة الأولى قلبي.

أنه البرد يا انجل ... يجتاحني ويجمد أوصالي

وصقيع المشاعر... وثلوج العواصف

تهب بجنون فتطفئ نار أحلامي.

دعيني يا انجل قبل الرحيل

احمل حقائب مثقلة بأحزاني

ترافقني هي وترحلين أنتِ

فهي متاعي ومتعتي

وما تبقى من ذكراكِ.

كنتُ أكتب إلى أن شعرت بأحدهم يجلس بجانبي... أنه جيمس.

بادر بالكلام:

- ماذا تكتب؟ ماذا تفعل هنا؟

- أحتسي الجعة... ألم تذهب لتنام؟

- بالفعل لكن لم أجدك في الجناح فأسرعت خلفك.

طلب لنفسه جعة وقال للساقي بأن يحسب كلتا الزجاجتين على الغرفة.

-قلت أنك أسرعت خلفي!!!... لماذا؟

-ظننتك غضبت من انجل .

-أنت لم تكن في الصالة عندما غادرت... كيف عرفت أنني غادرت.

-أخفض صوتك... دعنا نذهب للطاولة البعيدة هناك.

ذهبنا للطاولة البعيدة كما أراد... جلسنا وأخذنا نحتسي الجعة ثم قال لي:

-تميم... يمكنك أن تنام في الصالة، لكن علاقتك مع انجل لن تستمر للأبد.

-هل أخبرتكَ انجل شيئاً؟

-لا... لستُ بحاجة لأن تخبرني شيئاً... الكل يعرف أنكَ تُحبها... تميم ألا تستطيع أن تفهم أن علاقتك مع انجل علاقة عادية!

-وما الذي أدراك أنها علاقة عادية؟

-هي لا تُحبك...

-وما أدراك أنها لا تحبني؟

-أن علاقتها معك علاقة حاجة... علاقة صداقة... أنها تستمتع معك فقط! ألم تستمتع أنتَ مع الكثير من النساء في الماخور؟

-الماخور! كيف عرفت بموضوع الماخور؟...

-ألم تخبرك انجل أننا نعرف كل شيء؟

-تعرفون كل شيء!!! دعنا من التفاصيل... وإنسى الماخور... إنسى هذا الأمر لا يهمني كيف تعرف تفاصيل حياتي... لكن هل أخبرتك انجل أنها لا تحبني؟

-لا لم تخبرني... أنتَ بالنسبة لنا مندوب صاحب العمل ثم نحن نعرف كل تفاصيلك من سيرين ووضاح لقد قدما لنا كل ما نحتاج عنك... هل تعلم بأن الماخور مصدر كبير لكثير من معلوماتنا؟ أنتَ لست وحدك المتورط معنا.

-الأن فهمت كلمتكم بأنكم تعرفون كل شيء عني... سيرين ووضاح يعملان معكم... لذلك أخترتموني لأسباب بعناية...أنا وليس غيري.

-بالضبط نحن نحتاج لمندوب صاحب العمل... مندوب ضعيف أمام شيء ما، وأنتَ ضعيف أمام المال والنساء.

- اسمها دائرة الأثار... وأنتم مندوبون عن جامعة أمريكية في بلدي... أنتم ضيوف هنا وأنا الأصل... وكلنا ضعاف نفوس... أنتم ضعاف نفوس أمام الكنز... فقدتم إنسانيتكم أمام هذا الوهم المسمى كنز هرقل.

- وهم...!!! لا نريد أن نجرح مشاعرك لكن أنت مجرد شخص تعمل في الفريق ومطلوب أن تبقى في الفريق حتى نكتشف معاً ما نبحث عنه ثم تأخذ حصتك ويذهب كل واحد منا إلى حياته... قد نبقى أصدقاء.

- الأن أصبحت صديقكم وقبل قليل كنت مندوب صاحب العمل!!! سأنسى هذا أيضاً... هل قالت لك انجل أنها لا تحبني أو لا تريدني بالقرب منها؟

- لماذا لا تفهم؟

- أفهم ماذا؟

- أنت مطلوب منك واجبات محددة... عمل محدد... لست قائد الفريق ولست أساسياً في الفريق أنت مجرد موظف يعمل في الفريق وستأخذ حصتك من ما سنجده وستذهب في حال سبيلك بعدها.

- انجل ما رأيها في الموضوع؟

- تميم أنت لا تستوعب ما أقوله؟ إن العلاقة بينكما مجرد رغبة بين صديقين؟

صمت قليلاً ثم أكمل وقال:

- ألست متزوجاً وعندك أولاد؟ لماذا لا تعود إليهم بعد أن ننتهي من هذا كله ومعك مبلغ كبير من المال؟ أما انجل فستعود لبلدها ومعها ما تريد...

وبالأموال التي معك تستطيع أن تجعل زوجتك تـشبه انجـل ... أو تـستطيع أن تشتري انجل أخرى! تزوج سيرين...

- هذا رأيك جيمس... علاقتي مع انجل ليست جنسية فقط!

- أنتَ تتوهم يا تميم... أنت تعيش حالـة مـن الـوهم... علاقتـك مـع انجل جنسية فقط ولا شيء أكثر... لستما صديقان حتى... أنتَ لست صديقنا... أنت أداة لا أكثر.

- بل أنت تغار من علاقتي بانجل ، لذلك تحـاول أن تـستفزني وتعمـل على إفشال علاقتي بانجل .

- أنا أغار!!!

ضحك بشدة... ثم قال:

- أنتَ لا تفهم شيئاً... أنـا ضـاجعت انجـل ومـا أزال متـى مـا رغبنـا بهـذا... البروفـسور ضـاجعها ومـا زال... ورجـال الفريـق كلهـم ضاجعوها وما زالوا... نحن نمارس هـذا الأمـر عنـد رغبتنـا بـذلك وليس لأننا نحب بعضنا بعضاً أيها الرومانسي الحالم... حتـى سـيرين ضاجعناها وأنت لم تفعل!

- أنت تكذب.

نظر لي نظرة غضبٍ وحِدة

- حسناً يكفي... أشرب جعتك وعد للجناح... لا نريدك أن تختلط مع أحد.

- ماذا؟ كيف تخاطبني بصيغة الأمر؟ لا يحق لك أن تتحدث معي بهذا الأسلوب.

- تميم... أنت لا تفهم... إنهي جعتك وعد للجناح وإلا...

- الآن أَصبحت تهددني...

وقفنا نجهز أنفسنا لنتصارع... كنت مستعداً للقتال مع هذا الوحش الأدمي الممتلئ بالعضلات والقوة حتى لو تعرضت للضرب المبرح... سأضربه ويضربني ثم أخرج عائداً للبيت... لم نكد نتلامس حتى دخل بيننا في وسطنا البروفسور.

ظهر البروفسورمن حيث لا أعلم ووجدته يقف بيني وبين جيمس وهو يشير لكلينا بأن نجلس ونلتزم الهدوء...

كان كل من في البار ينظر إلينا بسبب وقوفنا فجأة مستعدين للقتال...

- إجلسا... إجلسا... أنا أتحدث إليكما... إجلسا.

ابتعدنا عن بعضنا... وجلسنا والجمر يخرج من عيون كلينا ونحن ننظر لبعضنا بعضاً بغضب...

طلب البروفسور من الساقي جعة وقال لي:

- تميم، لا نريد أن نلفت النظر لنا، أرجوك إبقى صامتاً... وعندما أطلب منك الحديث ستتحدث بصوت منخفض... لا تنسى أنت جزء من فريقي ولا أرغب أن أخسرك.

- أعتقد أنك خسرتني للتو.

- لا أعتقد ذلك.

بقيت صامتاً أحتسي جعتي

- تميم، دعني اخبرك أن انجل لا تريد أن تتطور علاقتها معك... هي تريد أن تنهي العلاقة معك منذ الأن... هي لا تحبك ولكنها تعتبرك صديقاً عزيزاً على قلبها ولذلك ضاجعتك ولكنها إكتفت ولا تريد الاستمرار بهذا حتى لا تعرضك لصدمة أو تؤثر على علاقتك بعائلتك الجميلة.

- هل هذا كلام انجل نفسها.

- نعم كلامها هي بالذات ولكي لا تجرحك حاول جيمس أن يخبرك بذلك.

شعرت بفراغ كبير في قلبي... وكأن شيئاً خرج منه للتو.

كان شعوراً مؤلماً وقوياً لدرجة أن دموعي انهمرت امام الرجلين ولم استطع ايقاف هذا السيل الهادر منهما...

بادر البروفسور بالقول:

- تميم لا تبكِ... المهم هو أن نجد ما نبحث عنه ونستكمل الحفرية الملزمين بها.

- أريد أن اسمع هذه الكلمات من لسان انجل نفسها.

- ستسمعها منها الأن ستذهب معنا للجناح وستبقى هناك إلى أن ننتهي من هذا كله.

- لن أكمل... سأذهب الأن للبيت... وغداً سأذهب للدائرة وأخبرهم بما تنون فعله... سأذهب للشرطة وأخبرهم بكل شيء.

- حسناً يا تميم لصالحك ولصالح عائلتك عليك أن تأتي معنا لأعلى وأن ترى الصور التي بين ايدينا لك وبعدها ستقرر اذا كنت ترغب أن تخبر دائرتك والشرطة عنا أم لا.

- أي صور؟

- ليست فقط صور بل فيديوهات... تفضل معنا.

وقفا كليهما ونظرا إلي منتظرين مني الوقوف...

لا أعرف ما الذي جعلني اترك مكاني واتبعهم إلى الجناح... البرفسور أمامي وجيمس خلفي...

ما أن وصلنا للجناح ودخلنا حتى دفشني جيمس إلى الداخل ثم إلى إحدى غرف الرجال... كانوا جميعهم هناك... انجل والرجال... وسيرين... الفتاة التي كانت تسألني عن تفاصيل حياتي... الطفلة الجاسوسة... المومس البريئة... وأنا مثل المجنون أخبرتها كل شيء... كل صغيرة وكبيرة في حياتي.

أول ما لفت نظري أنهم كانوا قد سيطروا بالسر على كاميرات الفندق كلها وكانت تظهر لهم تحركات كل من في الفندق عبر الشاشات المنصوبة في الغرفة! الشاشات التي كانت مطفئة عندما دخلت قبل هذه المرة.

كانت كغرفة تحكم كبيرة تسيطر على كل كاميرات الفندق... كيف فعلوا هذا ولم تشعر بهم إدارة الفندق؟

تذكرت ما الذي فعلوه في حاسوب الدائرة وأنهم يسيطروا عليه! أنهم مافيا... صدمني المشهد ولكن تملكت نفسي بوجودهم جميعاً... لا أريد أن أظهر أمامهم كالخائف أو الضعيف...

أمام هذا المشهد تمالكت نفسي وجلست على كرسي فارغ وجدته أمامي فوراً.

بادر البروفسور إلى الكلام: انجل ... تميم يريد أن يسمع منكِ... هل تحبين الرجل.

- لا يا برفسور... أنظر يا تميم، نحن تمتعنا مع بعضنا وآن ألاوان أن تتوقف هذه العلاقة، لقد مللت! لا تأخذها من ناحية شخصية فكل من في هذه الغرفة تمتعت معهم.

ماذا! هل كنتُ أُحبُ عاهرة؟ هل خرجت من ماخور وضاح لأقع في ماخور البروفسور دانيال؟...

كم أنا ساذج! كم أتمنى الموت ولا سمعت انجل تنطق بهذا الأمر!

البروفسور: تميم هل سمعت انجل ؟

لم أجبه... بقيت صامتاً... لقد شعرت بالذل والإهانة.

- تميم لقد سمعت انجل والأن هل ستكمل معنا أم ستتركنا؟ اذا قررت الإستمرار بدون مشاكل وبدون انجل فستأخذ حقك كاملاً وستذهب لبيتك بمجرد خروجنا من الأردن، اذا قررت أن تغادرنا فسيكون هناك حساب بيننا وبينك وصدقني النتيجة لن تكون في صالحك.

- هل تهددني يا بروفسور؟

- نعم يمكنك أن تعتبره تهديداً.

- لا تستطيع تهديدي ولا إخافتي... سأطلب الأمن.

وقفت عن الكرسي فطرحني جيمس عليه بقوة... وثبتني أحـدهم من الخلف وجيمس من الأمام.

-يبدو أن الكلام لا ينفع معك يا تميم... حسناً يا تميم سأخبرك بـشيء لم تكن تعرفه... نحن نسجل كل شيء... لدينا فيديوهات متعـددة لـك في المـاخور أعطانـا إياهـا وضـاح... ومـن ضـمن تـسجيلاتنا أيـضاً علاقتك مع انجل وأيضاً ما فعلتموه في الدائرة وسجلنا أشياء أخـرى كثيرة بينها تلقيك لأمـوال منـا واسـتعدادك للعمـل معنـا... اذا أنـت متـورط معنـا مـن رأسـك حتـى أخمـص قـدميك... شـغلوا بعـض الفيديوهات يا شباب.

قام أحد الرجال والذي كان يجلس أمام كمبيوتر بتشغيل فيديو لنـا في الدائرة... يظهر فيه وكأنني أنا من يسرق التقريـر ويـصوره بواسـطة الكاميرا... الفيديو يظهرني صوتاً وصورة المتورط بهذا الأمر.

- هذا الفيديو وحده بإمكانه أن يفصلك من عملك ويتم توجيـه تهمـة الخيانـة والسرقة لك... تهمة تستوجب الفصل من عملك والسجن أيضاً.

كُنتُ صامتاً ارتجف من وقع الصدمة... ثم قاموا بتشغيل فيديو آخر...

- هذا الفيديو يصورك تضاجع انجل ... لا بل تغتصبها... هذا الفيديو سيحطم عائلتك...

كان الفيديو مسجلاً بطريقة تظهرني كأنني اغتصب انجل لكن في الحقيقة هي من كانت تحب أن أعاملها بهذا الشكل! كان الأمر بالنسبة لي عادياً فبعض العلاقات في الماخور كانت تتم كذلك...

- أتحب العنف يا تميم؟ هذا الفيديو سيقضي عليك كلياً.

بدأت دموعي بالإنهيار للمرة الثانية في تلك الليلة وجميعهم ينظرون لي بشماته بما فيهم انجل التي كانت تتصرف وكأنها بطلة فخورة بما قامت به وهي تبتسم ابتسامتها النكراء...

نعم كنت أحب عاهرة!

ثم قاموا بتشغيل فيديو ثالث ورابع وخامس لي في الماخور... لقد سجل وضاح الكثير من علاقاتي مع زبونات مختلفات.

- أتعلم أننا أرسلنا أحد أصدقائك في العمل ليجلبك للماخور، وأن وضاح متعاون معنا؟ وأن سيرين صديقتنا وتعمل معنا... نحن أرسلناها لك لتعرف تفاصيلك كلها... ووضاح زودنا بتسجيلات لك...

ضحك مطولاً وهو ينظر لفريقه من الشياطين وهو يقول:

- وضاح شيطان... سجّل مئات الفيديوهات لزبائن ماخوره... هو الأن يتحكم برقاب الكثير منهم... يبتز الكثير منهم.

قلت في ذاتي لهذا ماخوره كان يستمر دون أن يعترضه أحد.

- شباب شغلوا فيديو يظهر تميم يأخذ منا الأموال.

كان هناك فيديو جديد...

- هذا الفيديو يظهرك وأنت تأخذ مني الأموال... صوتاً وصورة... وهنا أنت وعلاء تأخذون منا الأموال... الأموال التي تظن أنك أرسلتها لأولادك... مجرد أننا أعطيناك إياها لتتوهم ثم أخذناها منك... بالمناسبة هل تعلم ماذا حدث لعلاء؟ شغلوا الفيديو الخاص بعلاء يا شباب.

ظهر علاء في فيديو جديد ميتاً مطروحاً على الرمال... كان مطروحاً في وسط لا مكان... كأنها صحراء...

-هذا صديقك... والشكر للشباب الذين انجزوا المهمة بنجاح.

ضرب رجلين أكف أيديهم بعضهما ببعض... أنهما من أكملا مهمة قتل علاء.

-عندما يكتشفون جثته ستكون قد تحلل جزء كبير منها أو قد تكون حيوانات الصحراء أكلتها... مع ذلك سيظهر موته انتحاراً تماماً كما أنجزنا موت البروفسور خليل... طبعا الطريقة كل مرة تختلف فالبروفسور خليل جعلناه يشرب السم طواعية بعد أن هددناه بنشر فيديو له مع انجل ... أما علاء فشرب خمراً مسمومة ومات بعدها بساعات... كان مدمن خمر.

كانوا جميعاً ينظرون لي منتظرين مني تعليقاً... أما أنا فكنت كورقة لا أقوى على التحرك دون نسمة هواء... دون أن يمسكني أحد... كنت خائفاً مرتعباً وأجلس هناك وحيداً لا حول لي ولا قوة... لا بد أن نهايتي تشبه نهاية علاء وقبله البروفسور خليل... الشيطان هذه المرة

أخذ شكل انجل فكانت الطريق والطريقة التي توقع فيها الرجال المطلوبين فتأخذ منهم ما تريد ثم تدمرهم.

أقترب مني البروفسور وقال لي: أما الأن فسأريك فيديو أخر... الفيديو الأهم... أريد منك أن تراه صامتاً وإلا ستندم... اذا ما صدر منك أي صوت أو وقفت على قدميك فسأقتلك...

في هذه اللحظة أخرج أحد الرجال مسدساً ووجه نحوي... ما القصة هذه المرة ليرفعوا مسدساً في وجهي؟

البروفسور: انجل أعرضي للوغد الذي يريد فضحنا ما لدينا أيضاً.

شغلت انجل فيديو أخر لتظهر على الشاشة بيتي من بعيد... أولادي يلعبون في الشارع...

جن جنوني وأردت الوقوف فما كان من جيمس إلا أن ضربني بقدمه على صدري ضربة تيكواندوا فسقطت ارضاً أحاول التنفس من شدة الضربة فما كان منه إلا أن صعد فوقي وأوثق ساعدي الأيمن خلف ظهري بيد وشد شعري باليد الأخرى موجهاً وجهي نحو الشاشة حيث يظهر أولادي وهم يلعبون أما البروفسور فإقترب مني كثيراً لدرجة أن وجهه كاد يلامس وجهي وهو يهمس وقد شد على أسنانه...

- قل لي ما الذي يمنعني الأن من قتل اطفالك؟ قل لي؟ لن يأتي صعلوك حقير بلا قيمة مثلك ليثير زوبعة ويخرب مخططاتي التي أعمل عليها منذ مدة... من أنت أيها الحشرة لتظن نفسك تستطيع أن تخبر أحد بما ننوي فعله... سأقول لك ماذا ستفعل أيها الحقير لسلامتك

وسلامة عائلتك أيها الوغد... ستستمر بالعمل معنا... ستنفذ ما نقوله لك وإلا ستندم أنت وعائلتك... ستستمر بالعمل معنا أيها الوغد حتى نكتشف الكنز وبعدها سنخرج من هنا وأياك التصرف بأي شيء سنقتلك كقط شوارع لا أحد يعلم به ونرميك في الصحراء كما فعلنا مع علاء وقبل ذلك سأريك أولادك واحداً واحداً يموتون... مفهوم أيها الوغد أم تريد أن تهرب الأن؟

لم أجب... فما كان من الرجل الذي يمتطيني إلا أن شد يدي لأعلى فصرخت متألماً وموافقاً...

- حسناُ... تذكر أننا نستطيع أن ننهي حياتك وحياة عائلتك خلال دقائق إن تصرفت أي تصرف لا يحمد عقباه، وليكن بعلمك أننا نفهم العربية جيداً وأننا سنتصرف معك فوراً إن حاولت اللف والدوران معنا... لا تحاول الإتصال بعائلتك مطلقاً... أتذكر الألعاب التي أعطيتك إياها لترسلها للأولاد... إنها تحتوي على أجهزة تصنت فنحن نراقب بيتك من الخارج ونسمعهم من الداخل، والرجل الذي أرسلته مع الهدايا... عائلتك تحبه جداً سيفتحون له الباب في أي وقت وسيدخل إلى الداخل ويقتلهم دون صراخ.

أنهى البرفسور كلامه معي أما الرجال فشدوني وجروني وهم ينهالون علي بالضرب ورموني في الحمام ثم قيدوني!!

هكذا تورطت وهكذا غرقت...

لم يحن وقت الحب... بل فات الأوان

قد لا نستوعب خروج أشخاص من حياتنا كنا نعتبرهم مميزين ولكنهم لم يكونوا أكثر من ممثلين، ولا بد للممثل أن يترك المسرح وللجمهور أن يعود للواقع...

لكن أي واقع أنا فيه؟ لا أعلم ما هو الواقع!

أكاد أشك في نفسي يا صديقي جاحظ العينين... وأعتقد أنني وهم وأن لا وجود لي وأنني مجرد لا شيء... عابر كالهواء... لذلك لم أعد للواقع بعد...

قال لي: أنت رواية.

- الروايات تتحدث عن أشياء... عن بشر... ولكنني لا أشعر أنني رواية... لا أشعر بأي احترامٍ لذاتي... فأي رواية أكون؟ لا هي مني ولا أنا منها... ولا أنا أُعنيها ولا هي تُعنيني...
- ماذا فعلت بك انجل لتصبح كورقة...
- كل ذنبي أنني كنت أحلم... كل ذنبي أنني كنت أختال في خيالي وأسير مزهواً بنفسي... وأطير فرحاً وأزقزق مع العصافير... أبني عشاً للحبِ مع انجل... لا شيء كان يوجعني... لا شيء وأنا معها... إلى أن أغتالني الحب... رصاصة العشق من صيادٍ جميل أخترقتني... لا شيء كان يوجعني إلا حلمي... حلمي يؤلمني!

- ما الذي دهاك لتقع؟ متزوجٌ أنت ولديك عائلة... أمجنون أنت لتعشق فتاة مافيا؟ وتتورط مع عصابة.
- لست أدري يا صديقي لست أدري... اعتدت البعد عن طريق يؤلم رأسي فما بالي عدت نحوه وأجري...!!!
- أنها غريبة يا صديقي فأي حبٍ ورطت نفسك فيه؟
- الغرباء لا يزدادون قيمة بنا ولا ينتقصون ذرة بدوننا... يأتون كالريح ثم يرحلوا... أما حبهم فورطة.
- أي حبٍ هذا الذي يبقى وقد رحل مفعوله؟
- حبٍ خالي من الدسم يا صديقي.
- أهٍ يا صديقي... نعم حب خالي من الدسم... وكل حب يخلو من الدسم هو نصف حب... ونصف الحب لا يعيش!
- اهوينا يا صديقي... اهوينا على قلبك.
- أيحتاج قلبي إلى قصيدة تخيط الجرح؟ والإبرة قلم يكتب على القلب سطوراً تخيط الجرح... قلمٌ يمتهن دور الإبرة... وكلمات القصيدة خيطٌ تخيط الجرح... والحبر يمتهن دور التخدير... ظننت حبي لانجل كدواء لحالتي المستعصية... ظننت حبها سيمارس دور الطبيب لكنه ليس إلا دور جراحٍ هاوٍ يعرف أن يجرح فقط ولا يعرف كيف يخيط الجرح.
- قلبك صغير يا صديقي لا يتحمل هذا الألم.

-أما قُلتُ لك يا قلبي لا تحشد جيوشك لمعركة خاسرة... فها أنت تعود لي منكسراً خالي الوفاض وطبولك خافتة فأي معركةٍ دخلتها وأنت لا تملك أسلحة الحب!

-مراهق أنت يا رفيقي... رجل مثلك في الثلاثين يجب أن يكون متزن المشاعر والأحاسيس والسلوك.

-ألن تتوقف عن اسلوبك بمهاجمتي؟

-أما قلتُ لك ألاَّ تسرف في الحب؟ الحبُ كالماء تحتاجه النبته، فإذا قل الماء ماتت النبته واذا زاد عن حده ماتت أيضاً... فما الذي دعاك للحب مجدداً؟

-أما قلت عني مراهق؟ لكني حين أكملت طفولتي... عشقت من جديد!

الألم لا يقال... الألم يخبر عنك

بقيت في تلك الليلة ملقاً على أرضية الحمام مربوطاً في أنبوب التصريف الخاص بالمغسلة...

في الصباح الباكر فكوا وثاقي وهددوني مجدداً إن تفوهت بأي شيء أو إن تحدثت مع أحد بخصوصهم.

بعد الظهر استقلينا سيارات متعددة وذهبنا لفندق في البحر الميت...

سمحوا لي بالبقاء في غرفة منفردة وحيداً لكنهم أطلعوني على أنهم يسجلون ويتابعون كل تحركاتي... ذكروني بأن أي اتصال اجريه مع عائلتي من هاتف الفندق سيكتشفون ذلك بسرعة البرق لأن ألعاب أولادي تمتلئ بأجهزة تنصت وأنني سأحكم عليهم بالموت فوراً... وأن أي إتصال بالشرطة أو أي طرف آخر عبر هواتف الفندق كان يعني قتلي وقتل عائلتي فوراً... لكنهم قالوا لي أنني يمكنني أن أتناول الطعام في مطاعم الفندق لا أكثر، وباقي الوقت يجب أن لا أغادر فيه الغرفة إلا لشاطئ البحر وبعلمهم...

شكراً لأنهم تركوا لي القليل من الفسحة...

" إنَ السَجين لا يَستطيع أن يَخلو بِنفسه دقيقة واحدة، وهذا عَذاب رَهيب بأن لا يَمتلك لا حُريته .. ولا وحدته"[1]

---

١ - دوستويفسكي.

نعم كنت بمثابة السجين... لا أملك الحرية أو الإعتراض...

وفي سجني كلام معتقل، البوح فيه جريمة كبرى.

كان وجودنا في فندق البحر الميت إختناق... كل الإختناق...

الجو شديد الحرارة في الخارج، وأنا شديد الإحتراق في داخلي...

وبرغم وجود المكيفات التي تلطف من الجو في داخل الفندق، لكنني كرهتُ إختناقي بانجل كلما أراها...

قررت أن أهرب إلى الشاطئ من غرفتي المكيفة... أن أترك الغرفة حيث المكيف يثير جواً جميلاً بنسمات ذات صوت خافت كأنها فتاة تنفخ حُبها على جسدكَ فتخفف عنه الضيق!

تركت الغرفة التي كنت أعلم أن كاميرات التجسس وميكرفونات التسجيل تنتشر فيها كما هددوني بمراقبة تحركاتي وكلماتي وقررت أن التجأ إلى الشاطئ في وقت الظهيرة حيث الجو خارجاً قاسٍ جداً...

جلست على كرسيٍ قريباً جداً من شاطئ البحر المالح... كان الجلوس تحت مظلةٍ بلا جدوى فكأنك تحجب أشعة الشمس بورقة توت... شعرت أن ملح البحر قد سكن عينيّ وحلقي ومسامات جسدي وما وطئتُ البحر.

كانت هناك سيدة في منتصف عمرها تلبس الأسود تجلس بعيداً تحتسي القهوة... نظرت بإتجاهي نظرة خاطفة عبر نظاراتها الشمسية... ثم نظرت بعيداً مجدداً!!

من هذه الغبية التي تجلس في هذا المكان بكامل أناقتها وملابسها السوداء تحت أشعة الشمس المحرقة وتحتسي القهوة؟... كانت كلما شربت من فنجانها تتساقط بعض قطرات القهوة على شفتيها كدمٍ لذبيحٍ في الحب قد تم نحره على مذابح إلهٍ عشقها بجنون...

تتبلل شفتيها بالقهوة فتمطر الدنيا حباً...

كسرت عينيّ عن هذه السيدة المتوشحة بالسواد الجالسة وحيدة في وقت ظهيرةٍ شديد الحرارة على شاطئ بحرٍ ميت الإحاسيس والشعور...

لم أكن في مزاجٍ لفتاة أخرى... وهي بسوادها لم تكن في مزاجٍ لرجل.

كانت كقطعة بوظة تحت الشمس... تذوب من شدة الحرارة... تذوب من شدة البؤس... تذوب من شدة السواد... تذوب من شدة الألم!

أيعقل أنها تعاقب نفسها؟

أهٍ يا قلبي...

أأنتقد هذه السيدة وأنا الكلي العيوب!

أأنتقد حزن هذه السيدة وإتشاحها بالسواد... وأنا الكلي السواد والكلي الأحزان.

أأنتقد جلوس السيدة وحدها مكسورة الخاطر ومحطمة الفؤاد... وأنا جالسٌ لا يدري عن تكوم عظمي إلا أنا ولا يعلم بإنهزاماتي إلا أنا...

أأنتقد سيدة حُرة لأنها أنثى... وأنا الرجل المقيد هنا أتفاخر بالفراغ!

كم أنا بائس...

تركت السيدة فنجانها الأبيض يقطر دمعاً أسود على الصحن الأبيض... وقامت من مكانها... تقدمت نحوي...

- ألست أحد الذين يعملون في بيت الحياة؟

نظرة لها نظرة صدمة... قلت في نفسي: هذه أيضاً!!!

- ألا تتذكرني؟

لم أجبها... بقيت أنظر لها بنفس النظرة!

- أنا إحدى زبوناتك! لكنك لم تلمسني... جلسنا معاً أشكي لك حياتي وفي نهاية اللقاء أعطيتك عشرين ديناراً فرميتها في وجهي وغادرت الطاولة!

لم أجبها...

- لقد عاملتك بسوء وقتها ثم أعتذرت لك بورقة.

- وماذا تريدين مني الأن؟ أأنت مشتركة معهم أيضاً؟

- مع من؟ لم أفهم قصدك! كنتُ أود أن أسألك لماذا أغلق وضاح ماخوره؟ لقد ذهبت أمس لألتقيك هناك مجدداً لكن كان الماخور مغلقاً... حتى اللوحة الفسيفسائية الجميلة أُزيلت... وكتب مكانها فيلا للإيجار!!!

- ماذا؟ حقاً!!!

- نعم... ألا تعلم بهذا الأمر؟

- لا... لماذا أنتِ هنا؟

- أنا وحدي هنا... أتيت لأريح نفسي من تقاليد المأتم... زوجي مات قبل أيام... أخيراً تخلصت منه... قررت الإحتفال بالحزن على طريقتي... جئت هنا إحتفالا بالحزن.

- ماذا تريدين مني؟

- هل أنتَ في ورطة؟

- لا... لماذا أكون في ورطة؟

- مظهرك يخبرني ذلك... هل تحتاج لمساعدة؟.

- لا... لستُ في ورطة... ولا احتاج لمساعدتك... ثم ماذا تريدين مني؟ سألتك هذا السؤال مرتين ولم تجيبي!

- لا شيء... يبدو أنك تملك مزاجاً سيئاً مثلي... لا يهم... مع السلامة.

تركتني واتجهت نحو الفندق تترنح كأنها سكيرة...

نعم إنها سكيرة الحزن... سكيرة شيء ما...

تقدمت ببطء تتلمس الكراسي المتناثرة هنا وهناك... تخاف السقوط!

تتكئ على حزنها تارة... وعلى بؤسها تارة أخرى... وغابت بعيداً... داخل الفندق... تحتفي بإنتصارها على الحزن...

تركتني جالساً في مكاني ثقيلاً بأحزانها ورحلت تترنح من شرب أحزاني...

سكرت بها حد الثمالة...

لم ننطق بالكثير... ثم لماذا ننطق؟ وأفضل حديثٍ في الحزن صمت وأفضل أنواع الصمت حديثٌ مع حزنٍ يأبى أن يفارقنا... صمتٌ متى شربناه سكرنا وترنحنا من شدة الثمالة...

أيها الحزن متى يحين موعد انتهاء صلاحيتك؟ متى تنتهي مدتك؟ لكن على ما يبدو أنك تنتقل بالعدوى!

أردت أن أقول لها هذا! لكن تمنعت... فكلما إقتربتُ من جنس النساء أفسدهن...

دعها وحيدة... يا تميم... دعها

دعني وحيداً مع احزاني... يا تميم... دعني

فليت أحزاننا مثل الطيور لديها مواسم هجرة، تذهب بعيداً ولا تعود إلاَّ وقد أُنِهكت فلا تبقى إلا قليلاً وتسافر مجدداً وهكذا دواليك.

جلستُ وحيداً أنظر للجبال البعيدة وأمامي البحر الميت وأمواجه تتحرك ببطء... كأنها نبض رجلٍ على وشك الموت... بطيئة جداً... جداً...

لا تحتضر أيها البحر... فأنت تنتحر ببطء منذ أن قرر الله أن يخسف هذه الأرض لا غيرها بسبب أفعالٍ تجري في كل مكان!!!

وأنا أيضاً... ألن تخسفني أيها البحر؟ فأنا فعلت ما لا يُفعل...

أم ستقف متفرجاً تموج... تموج... ولا تفعل شيئاً!!!

أتمنى لو عندي ذرة قوة لأنتحر! لكني لست رجلاً قوياً لإتخاذ قرار لأتوقف عن مواجهة الخطر، أنا رجلٌ أضعف من أنْ أواجه أخطائي وأنْ أُصلحها...

هناك شيء ما يقودني للجنون... للصراخ... للبكاء...

هناك شيء ما يقبع في داخلي يريد الهروب ويريد الفرار وأن انطلق لخارج الحدود... لكنني مسمرٌ في الصدمة...

ومن سينشلني من قراري الغبي وما جنته يداي؟ لقد وقع الفأس في الرأس ولا مفر...

كان صوت الموت يطغى على كل شيء إلى أنْ سمعت خطوات تتحرك نحوي...

أنها خطوات انجل ...

ملاك الموت جاء! أنها موتي وموت كل من اقترب منها ولا يعرفها.

ما عُدتُ أراها ملاك الحب... إله الحُسن والجمال... سيدة العشق! كل هذه الصور الجميلة لهذه الفتاة أختفت وحل محلها صورة واحدة سوداء لملاك الموت.

مشت واقتربت مني... جلست علىكرسيٍ قريب مني...

أخرجت سيجارتها المعتادة... سجارة ما بعد النشوة... اشعلتها وأخذت تمتصها بنهم...

نعم لقد أنهت قبل قليل جولة من جولاتها مع أحد الرجال...

أنها تعلم أنني أُثار بهذه الحركة، لكنني ما عُدتُ أرغب بها... أصبحتُ اشمئز من هذه الحركة.

عضضتُ شفتي محاولاً كتم حزني أو غضبي... فما عدتُ أفهم حقيقة المشاعر التي تنتابني إتجاه هذه الفتاة... لكن بالتأكيد ما عدت أُحبها.

نظرت إلي وقالت: طلبتُ القهوة لنا.

لم أجبها... كان الصمت هو الشيء الوحيد الذي يمكنني أن اتخذه موقفاً...

ثم كيف أحتسي القهوة مع الشيطان؟

نحن لا نختار علاقتنا مع الشيطان... أنه هو من يفرض شكلها علينا عندما يصطادنا ونقع في حبائِله.

ثم كيف أحتسي مشروب الرومانسية مع الشيطان؟... القهوة والنبيذ لا يمكن أن نحتسيهما إلا مع من نُحب!

بادرت هي في الحديث.

- من هذه التي كنت تتحدث معها؟
- إحدى زبونات الماخور... ألا تعرفونها أيضاً؟
- لا... عن ماذا كنتم تتحدثون؟
- لم نملك وقتاً لحديث طويل... أخبرتني أن وضاح أغلق الماخور.
- نعم... لقد أخذ وضاح ما يريد ونحن أخذنا أيضاً ما نريد... الماخور كان لهدف ما واستطعنا أن نحقق أهدافنا.
- الماخور لكم؟

- هذا الأمر لا يعنيك... وأمر هذه السيدة لا يهم سنراقبها ونعرف قصتها... لكن كيف تجلس في هذا الحر وتحت أشعة الشمس الحارقة؟ لا أفهم كيف تتحملون أيها العرب هذا الحر الشديد!

لم استطع أن أصمت أمام الشر المتمثل أمامي في هذه المرأة التي كلما رأيتها يزداد كرهي الشديد لها... فصرخت في وجهها:

- مهما حاول بخار الماء أن يتكاثف الأن وأن تتجمع الغيوم وتصبح سوداء في سبيل حجب وجه الشمس عنا فلن تقوى على الشمس... أشعتها ستصلنا ونورها سيقتحمنا مهما بلغ سواد الغيوم! وهكذا أقنعتنا مهما حاولت طمس حقيقتنا فإنها لن تستطيع أن تخفي حقيقتنا للأبد... فالحقيقة لا بد لها أن تظهر وأن تنكشف.

- وما حقيقتكَ أنت؟

- أنا لا أخجل من حقيقتي... فالحقيقة على مرارتها هي توأم النفس، والقناع هو عدو يحتلها...وكل احتلال إلى زوال وكل حقيقةٍ إلى انكشاف.

- اعفيني من مثاليتك أيها الملاك... اسمع يا تميم دعنا نكون واضحين... مجرد أن تنتهي حفريتنا الملتزمين بها مع دائرتك ونحدد مكان الكنز ونستخرجه سنمنحك مبلغاً مجزياً وسنتركك... ستكون حراً بمجرد أن تطأ أقدامنا مطار الملكة علياء... وهذا سيكون قريباً جداً...

لم أرد... بعد صمتٍ بسيط منها عادت وقالت:

- ستكون حراً أنت وعائلتك... لكن تذكر أن أي تصرف منك سيقابله نشر الفيديوهات وأشياء أخرى... ستتحطم حياتك... ولا تنسى أن رجالنا يراقبون عائلتك وقادرين على أذيتهم... كما أخبرك البروفسور إن حاولت اللف والدوران لدينا من الأدلة ما يورطك وحدك في عددٍ من القضايا كافية لتجردك من الحياة.

كنت وما أزال صامتاً أنظر للجبال البعيدة... فأنا لا استطيع أن أنظر في وجهها...

- لقد وضعناك في فريقنا لتوريطك... لإلصاق كل التهم بك في حال انكشاف أمرنا... أي تصرف منك يعني أنك ستخسر...

توقفت عن تهديداتها عندما أحضر النادل فنجاني القهوة... وضعهما على طاولة بيننا بينما صعد صوت فيروز من سماعات قريبة منا...

ذهب النادل وهي ما زالت صامته... تنتظر مني الحديث...

أخذت تمتص السجارة وتشرب قهوتها على عجل...

أخذتُ رشفة من قهوتي على صوت فيروز تغني:

"بالقهوة البحرية وأطلع بإيديك

وتشرب من فنجانك وأشرب من عينيك

وتهرب مني تضيع...ما أرجع ألاقيك

وأنت قاعد حدي وعم فتش عليك...

وخبي وجهي أشوفك مدري مع مين

لو بعرف حبيبي بتفكر في مين؟

طلعلي البكي ونحن قاعدين

لأخر مرة سوى وساكتين

بعيونك حنين وبسكوتك حنين

لو بقدر لفتش عليك ولا لأقيك

أعطيني أهرب منك ساعدني إنساك

إتركني شوف الإشياء وما تذكرني فيك

بيكفي وأنا عندك شو خسرت سنين"...

قامت من مكانها تنفذ دخان سيجارتها بعنف واطفأت سيجارتها في المنفضة التي على الطاولة التي بيننا... تركت قهوتها وأطلقت تهديداتها مجدداً:

- أشرب قهوتك وعد لغرفتك... إياك وأي تصرف تندم عليه... غداً سأذهب لإرحابا ولا أُريد منك أي حركة غبية، سيبقى رجل يراقبك عبر الشاشة وإياك أن تخرج من غرفتك غداً.

- ألا تعتقدين يا انجل أنه يصعب عليكم بل يستحيل عليكم نقل الكنز المزعوم خارج الأردن... قد تستطيعون تهريب قطعة... قطعتين... ثلاثة... عشرة... لكن تأكدي أنكِ لن تستطيعي أن تخرجي صندوقاً واحداً من هذه الصناديق ولو ضاجعتي مئة رجل في يومٍ واحد أيتها العاهرة.

لم تجب... لكن أنفاسها كانت تشير بوضوح لغضبها... أما أنا فأكملتُ حديثي:

- قد تكوني نجحت في اصطيادي... لكـن لـيس كـل الرجـال ضـعاف النفوس مثلي... لـن تنجحـوا في الهـروب... وقـد لا يكـون الهـروب بالكنز ممكناً، ولكنـك هربـتِ مـن عنـدي... وهربـتِ مـن قلبـي... تسربتِ من قلبي بسهولة، كما دخلته بسهولة.

قامت من مكانها مسرعة مثل المجنونة...

وفيروز تغني غادرت الشيطانة... لعلها تبحث عن جولة أخرى مع أحدهم.

أه يا فيروز لو تعلمين حالي وما اقترفته من غباء!

أه يا فيروز لو تعلمين أنني الأن أعمل مع عصابة دولية وقـد يلقـى القبض علي في أي لحظة بتهمة الخيانة العظمى... الإهمال... التستر على جرائم... ممارسة الزنى... الإغتصاب...

أه يا فيروز لو تعلمين أنني وضعت زوجتي وأولادي تحت خطر شديد!...

أهٍ ما أغباني...

لأجل حب وهمي وعلاقة غير صحيحة... حطمت حياتي... ووضـعت اسرتي تحت الخطـر، ووظيفتـي رزق حيـاتي في مهـب الـريح، وسـمعتي عـلى وشك الإنهيار، كل شيء يتحطم امامي... كل شيء ينهار.

أهٍ لو تعود حياتي فقيراً معدماً لا أملك شيئاً... فقط أن تعود أموري كما كانت... أه لو أتخلص من ملاكي الأسود... ملاك الموت المتجسد في انجـل التي كنت أراها قبل أيام كالوردة الوحيدة في بستانٍ لم ينمُ فيـه إلا الأشـوك! والأن ظهرت حقيقتها فكانت الوردة الـسوداء في بـستانٍ يمكـن أن يكـون

بأولادي وزوجتي وعملي البسيط وفقري وهمي وأسلوب حياتي وتعبي وشخيري وجاحظ العينين أجمل بستان وردٍ في الحياة.... لكني تركت كل هذه المميزات الجميلة في حياتي وارتبطت بالموت!

يا ملاك الموت انجل ...

يا ملاكي الأسود... المتشحة بالكراهية والجمال...

يا شيطان تجسد في حية وأغراني بأكل تفاحتي... فَكُشِفت عورتي...

وها أنا أنتظر حكماً إلهياً بشقائي وموتي...

لو تقتلني وننتهي... فأين مقصلتكِ أيتها الشيطانة!

ألا تعلمين أنني أحببتكِ حد الموت! فلأجل حبي... اشفيني!

فالموت هو الطريقة الوحيدة لعلاج الجروح المستعصية...

ألا تعلمين يا شيطانتي إن مربي الخيول لكثرة عشقهم لخيولهم يقومون بإطلاق رصاص الرحمة عليهم عندما تصاب الخيول بإصابات لا علاج لها، فكيف لا نموت الموت الرحيم لجروح في داخلنا لا علاج لها... فأطلقي النار على جوادٍ أحببت يوماً ركوبه!

فأنا يا انجل جراحي ذات عدوى وأنا لا أريد أن أنقل عدوى الألم لأولادي وزوجتي، فليتكِ يا انجل تنتهين مني وانتهي أنا من ذاتي.

كم اتمنى لو أن هذه الأحداث كسيجارة أشعلها وعندما أنتهي منها أطفئها في المنفضة وكأنها لم تكن... ليتني سيجارة يا انجل أخذتِ مني

ما تريـدين وتطفيئيـني بعـدها للأبـد... مـاذا تنتظـرين لتنفـذي حكـم الإعدام في من أحبكِ حد الموت؟

ليتني لم أكن...

أهٍ يا درويش لو أُنسى كما قلت... فلا أكن...

أهٍ كم تغيرنا الأيام... كُنـت أرى في وجـوههم الجـمال ولا أرى في وجهي إلا القبح...

أما الأن فأنا لا أرى في وجوههم إلا القبح ولا أرى في وجهي إلا الخوف.

- أتحتاج مساعدة؟

- ليس وقتك يا جاحظ العينين...

- جاحظ العينين؟ اؤكد لك أن عينيّ سليمتان... لا بل جميلتان.

نظرت خلفـي إلى مـصدر الـصوت... كـان النـادل الـذي جلـب القهوة، شاب في بداية العشرين وسيم وأنيق يلبس بنطالاً قماشـياً أسـود وقميصاً ناصع البياض وعلى صـدره مـن جهـة القلـب شـعار الفنـدق ويضع ربطة عنق فيونكة سوداء والإبتسامة على محياه... كرر سـؤاله إن احتجت لمساعدة!

عدت أنظر للأفق البعيد...

- لا شكرا... لكني أرغب أن أحتسي القهوة ببطء... أرجوك ألا تأخـذ الفنجان وعد بعد ساعة أو ساعتين... لعلك تجد الفنجـان قـد انتهـى وحياتي معه.

تقدم النادل نحوي وجابهني وجهاً لوجه...

- سيدي... لم أر رجلاً ذا مظهر مرتعب كما أراك الأن! لم أقصد أن أخذ فنجان القهوة منك... لكن رأيتك ترتعب من المرأة التي كانت تجلس معك قبل قليل ووجهك يُخبّر أنك بحاجة لمساعدة... سيدي هل تحتاج لمساعدة؟

- كلا... أذهب... ستورط نفسك بما لا يعنيك... أذهب.

- سيدي إن احتجت للشرطة أو لأمن الفندق فسوف أستدعيهم لأجلك... أو قد أُخبر إدارة الفندق أنك في خطر.

- لا لا ما الذي تقوله... أذهب... أذهب قبل أن ينتبهوا لك.

- اذا شعوري صحيح... حياتك في خطر!

- ما الذي يهمك؟ أنا لست صديقك ولا أحد أقاربك... أذهب أيها الصبي ستورط نفسك بما لا يعنيك.

- لست صبياً يا سيدي ولم أعتد أن اتخلى عن من هم بحاجة لمساعدة... سأذهب حتى لا تشعر هذه الفتاة بأنني أتحدث معك في أمر ما مطولاً، وسأخذ فنجان القهوة وأحضر لك غيره ومعه ورقة تحمل رقم هاتفي إن احتجت لمساعدتي... أنا مقيم هنا في الفندق طوال الوقت.

مد الفتى يده وأخذ الفنجان بيده اليمنى بينما بقيت يده اليسرى خلف ظهره... وغادر! تنفست الصعداء... كان من الممكن أن يورط

هذا الفتى نفسه بما لا يعنيه... قد يقتلونه بكل سهولة كما قتلوا خليل وعلاء وقد يكون هناك ضحايا آخرون لا أعلمهم.

في كل الأحوال كرهت فنجان القهوة هذا جداً... لأول مرة أكره فنجان قهوة!

وضعت يدي اليسرى على جبيني ورأسي مدلى وقد أرهقني الصداع... الصداع الذي لم يعد يفارقني...

لقد مللت هذا الأمر... متى ينتهي؟ ماذا ينتظر الرب لإنهاء هذه المهزلة؟ لماذا لا يبعث ناراً وكبريتاً مجدداً على هذه البقعة فيحرقهم ويحرقني وننتهي؟ لقد أغضب سكان هذه الأرض قديماً الرب بخطاياهم فخسفهم... فلماذا لا يخسف هذا المكان مجدداً فأنتهي أنا وهم... فقط أنا وهم... ويعيش الباقون!

لماذا لا يبعث الرب فيضاناً جديداً على كل الأرض؟ فتمحى وأُمحى وأُنسى... كما قال محمود درويش:

"تنُسى، كأنَّكَ لم تكُنْ

تُنْسَى كمصرع طائرٍ

ككنيسةٍ مهجورةٍ تُنْسَى،

كحبّ عابرٍ

وكوردةٍ في الليل .... تُنْسَى

تُنْسَى، كأنك لم تكن

شخصاً، ولا نصّاً... وتُنْسَى

أَمشي عى هَدْيِ البصيرة،
رُبّما أُعطي الحكايةَ سيرةً شخصيَّةً.
فالمفرداتُ تسُوسُني وأسُوسُها.
أنا شكلها
وهي التجلِّي الحُرُّ.
لكنْ قيل ما سأقول.
يسبقني غدٌ ماضٍ.
أَنا مَلِكُ الصدى.
لا عَرْشَ لي إلاَّ الهوامش.
والطريقُ هو الطريقةُ.
رُبَّما نَسِيَ الأوائلُ وَصْفَ شيء ما،
أُحرِّكُ فيه ذاكرةً وحسّا
تُنسَى، كأَنِّكَ لم تكن
خبراً، ولا أَثراً... وتُنْسى
أَنا للطريق... هناك مَنْ تمشي خُطَاهُ على خُطَايَ،
وَمَنْ سيتبعني إلى رؤيايَ.
مَنْ سيقول شعراً في مديح حدائقِ المنفى،
أمامَ البيت، حراً من عبادَةِ أمسِ،
حراً من كناياتي ومن لغتي،

فأشهد أَنني حيٌّ

وحُرٌّ

حين أُنْسَى! "[1]

لماذا لا يبعث الله أنبياء أخرون وننتهي من هذه المهزلة التـي اسـمها شر وخير... ؟؟؟

حتى صديقي الجاحظ العينين ما عاد يـزورني كثـيراً... تخـلى عنـي وأنا بحاجته الأن... بحاجة لنصائحه... للشتائم التي تـصدر مـن فمـه مع البصاق وهو يلومني على ما فعلت...

اشتقت لصورتي المنعكسة في وجهه البائس وكأنـه مـرآة... كـأنني أشاهد نفسي في فلم أو صورة في برواز من جسد مسخ...

إنني أحلم حلماً مزعجاً ولا بد أن أصحو منه...

أين أنت يا جاحظ العينين؟ كنت تزعجني كثيراً وتظهر بسبب وبلا سبب...

الأن أختفيت!!!

لماذا يا صديقي؟

ألا تعلم يا صديقي أننا نموت حين يرحل الأصدقاء عنا...

نموت لأننا نفتقد الهواء برحيلهم... نختنق!

وأنت رحلت في وقتٍ أحتاجك فيه!

---

١ – ديوان محمود درويش تنسى كأنك لم تكن.

كم أحتاجك يا جاحظ العينين لتشير لي ماذا أفعل الأن...

كم أتمنى لو تشير لي الأن بأن أنتحر...

لكن نحن المنتحرين ببطء على خلافٍ دائم مع الأشـخاص الـذين يفكرون بالإنتحار سريعاً... ندعوهم للحياة ووجوهنا تراها بلا حياة..

ندعوهم للعودة لنا والإنتحار ببطء...

لا تسبقونا على أبواب الموت أيها المنتحرون سريعاً... موتوا ببطء...

دعوا الخراب يأخذ وقته... لا تموتوا سريعاً فتثيروا شهوة عزرائيل إلينا!

والحل؟

عـاد الـشاب يحمـل بيـده قهـوة ووضـعها أمـامي وغـادر دون أن يتحدث... لم يكن هناك ورقة ولا رقم هـاتف ولا شي!!! مجـرد فنجـان قهوة أبيض يعلو صحناً أبيض...

لعل الفتى خاف! لعلي كنـت أبحـث في هـذا الفتـى عـن نجـدةٍ أو مساعدةٍ لن تأتي...

رفعت الفنجان أشرب منه كان الرقم صـغيراً جـداً مـسجلاً بقلـمٍ أسود على قاعدة الصحن حيث يوضع الفنجان... لكن كيف سأسـجل الرقم؟ لا املك قلماً ولا ورقة... ثم لا أملك هاتفاً نقالاً ولا استطيع أن اتحدث عبر هاتف الفندق...

وضعت الفنجان سريعاً على الصحن لئلا يأتي أحد الرجـال أو انجـل ويكتشفوا أن الفتى يحاول مساعدتي فيقتلونه بطريقتهم الخبيثة ويبدو الأمـر وكأنه فارق الحياة بسهولة! هذا الفتى ما زال أمامه الحيـاة بجمالهـا وفرصـها وأنا لن أكون حجر عثرة أمامه! لم أرفع الفنجان... لم أجرؤ... ثـم تـذكرت أنهم قد ينتهبوا للفنجـان... فيكتـشفون الأمـر... رفعـت الفنجـان سريعـاً افتعلت رجفت في يدي وسكبت القهوة كاملة على الصحن فإختفى الـرقم فشعرت براحة لأنني استطعت أن احمي هذا الشاب...

تركت الفنجان مكانه وقمت عن الكرسي عائداً للفندق، نظرت لأعلى نحو غرفة جيمس فكان يراقبني عبر نافذة غرفته... توجهت إلى الفندق وما أن وصلت للطابق الذي فيه غرفتي حتى وجدته ينتظرني أمام باب غرفتي.

- لقد شاهدتك تتحدث مع نادل، استبدل بعدها قهوتك، ولم تشربها بل دلقتها على الصحن... عما كنتما تتحدثان؟
- لقد كان مذاق القهوة سيئاً... فأحضر لي غيرها... وكان مذاقها أيضاً سيئاً فغضبت ودلقتها.
- حسناً ولكن لا نريد إفتعال مشاكل مع أحد هنا... لا تحاول أن تتحدث مع أحد... أطلب قهوتك بسرعة وأشربها وحدك.

ألقى إلي بأوامره ثم ذهب إلى غرفته... وأنا ذهبت إلى غرفتي...

الغبي لقد أعطاني فكرة عن الحل!

ماذا لو أفتعلت مشكلة ما وأحضروا الشرطة وأخذوني وعندها أطلب من الشرطة حمايتي وعائلتي فوراً قبل أن يفعل أحدهم مشكلة مع عائلتي...

لكن ماذا لو تأخرت الشرطة عن حماية عائلتي؟ لا أُريد التسرع فكل اهتمامي بعائلتي ولا يمكنني أن أقدم شيئاً عليهم الأن... لذلك خفت أيضاً من هذه الفكرة.

بينما كانت أفكاري تحوم وتحوم سمعت طرقاً على الباب... نظرت من العين السحرية كان النادل إياه... قلت في داخلي: الغبي ما الذي يريده الأن؟ لماذا لا يفهم أنه في خطر؟

فتحت الباب وقبل أن أنطق كان جيمس يمشي سريعاً بإتجاه غرفتي...

نعم لقد شاهده عبر كاميرات المراقبة.

تلاقينا الثلاثة معاً... أي تفسير سيقدمه هذا النادل الغبي الأن؟ قد يأتي بتبرير يكشف كذبتي التي كذبتها قبل قليل ويجن جيمس ويضربني مرة أخرى!

- سيدي أنا أسف على القهوة... هل أحضر لك فنجاناً آخر؟ أرجو أن تعلم أنني قمت بإلغاء الفاتورة ولن تحسب على غرفتك!

أجبته متوتراً وجيمس ينظر لي وله...

- لا يهم، فقط اتركني وشأني، لا أريد قهوتك ولا أريد ازعاجاً مجدداً...

تركتهما على باب الغرفة وأغلقت الباب بوجههما ودخلت إلى غرفتي أرتجف... أرجو أن يفهم الشاب الأن أنه يجب أن يتركني وشأني.

عاد الطرق مجدداً... هذه المرة كنت أنوي أن أصرخ في وجه الشاب ليفهم أن يتركني وشأني وإلا سيموت... ما باله لا يفهم كم هو في خطر... فتحت الباب أنوي الصريخ في وجه الشاب، لكن كان في الباب البروفسور وانجل وجيمس... امتلكني الرعب من وجودهم الثلاثة على باب غرفتي.

دخلوا وأغلقوا الباب خلفهم وأجلسوني وجلسوا...

تحدث البروفسور أولاً: تميم أود أن أقول لك أننا حددنا مكان الكنز وغداً مساءً سنبدأ الحفر هناك، قد نحتاج لبعض الأيام للوصول إليه، لكن المكان بشكل عام نعرفه الأن... سننقل الكنز فوراً خارج الأردن، وبعد أن ننتهي من نقله سنتصل مع جيمس وستكون حراً... قبل ذلك أريد منك أن تفهم أننا ما زلنا نمسك برقبتك... بإمكاننا الوصول إليك في أي لحظة وأذيتك وعائلتك.

-ماذا تريد مني؟ ماذا تريدون كلكم مني؟ لن أشي بكم وأنا متواجد هنا وتحت الرقابة... لن أشي بكم فأرجوكم إتركوا عائلتي وشأنها.

-حسناً... لكي تضمن أن لا نصيبك أنت أو عائلتك بسوء ستلتزم الصمت التام.

-أنا لا أتحدث مع أحد ولن أتحدث لأحد مطلقاً... سأقطع لساني لأريحكم.

- لا نريد شيئاً منك سوى الصمت وسنعطيك حصتك وسندعك ترحل اذا تركت الأمور هكذا.

- لا أريد كنزكم وسيلقى القبض عليكم بمجرد الحفر لخمس سنتمترات.

-نعلم ذلك... ونحن مستعدين لكل الإحتمالات... نحن لا نخسر أبداً... والحل عندنا دائماً.

هنا صوت الصمت وضجيج الهمس
هنا تسمع القلم وتنصت للحبر
هنا تلتقط الدموع بإبتسامة وتمسح الألم بممحاة

في المساء وأنا أنظر للغروب من شباك غرفتي... اشتهيت قهوة، واشتهيتها من يد زوجتي...

نعم لأول مرة أشعر أنني اشتهي مجالستها، اتمنى الجلوس معها، اشتاق لصريخها وزعيقها في البيت، اشتاق للزاوية التي اتكوم فيها وأنام فيها مرهقاً من الحزن...

كل شيء حسن في هذه المرأة منها، وكل شيء متوحش وسيء مني أنا من جعلتها هكذا.

اشتهي البكاء...

اشتاق لأولادي يلعبون أمامي وأراهم يكبرون... لكن بالرغم أنه لا يفصلني عنهم سوى بعض الكيلومترات لكنني لا استطيع أن أُجري معهم أي إتصال... إن إتصالاً واحداً معهم سيحكم عليهم وعلي بالموت...

عدتُ أنظر للبحر...

لم يكن ميتاً، من سمّى هذا البحر بالميت؟

لا يكفي أن تقول عن البحر ميتاً فقط لأن لا مخلوقات حية تسكن فيه!

ثم أن هذا البحر تسكنه البكتيريا بكثرة فمن سماه ميتاً فقد جرح شعور هذه الأحياء الدقيقة!

- تتأمل البحر الميت؟

- جاحظ العينين! ... أين أنت؟ لماذا اختفيت هذه المدة الطويلة؟

- أنت من قرر أنك لا تريد رؤيتي ومن استغنى عني.

- أهٍ يا صديقي لو تعلم كم اشتاق لك؟ اشتاق لأن ارمي رأسي على صدرك وأبكي بلا توقف.

- دعك مني... لماذا تتأمل البحر الميت؟ لا أحد يتأمل البحر الميت!

- البحر بحرٌ يا صديقي... البحر انسان مثلنا... يسكن ويهيج... يحب ويكره... يهدئ ويغضب... رومانسي جداً فصنع في أعماقه نجوماً تشبه نجوم السماء... وسادي مطلق لا يرضى بأن يكون بلا عشقٍ... فجعل الناس كلها تعشق الجلوس عند شواطئه تبوح له بالأسرار... وويلاً لك أن عشقك شاطئ بحر! سيأخذك إلى الأعماق دون رجعة.

- إلا البحر الميت... لا يهيج ولا يغضب... ولا نجوم بحر في داخله... وإن بحت له بأسرارك ملئ جوفك بالملح.

ساد الصمت قليلا... ثم قال: أنها انجل أليس كذلك؟

- نعم.

- ألم أنصحك بشدة أن تنساها...

- يا جاحظ العينين... هذا الكون لا يسعنا نحن الأثنين، فإما أنا وإما أنت...

- متى ستفهم يا تميم أنني أنا أنا وأنك أنت أنت، وأنني أنت وأنك أنا... ولا يمكنك أن تغير من هذا أي شيء.

-ألا تريد أن ترحل وتتركني وشأني؟

-ألم تطلبني؟ ألم تتمنَّ عودتي؟ ألم تستجدِ نصيحتي؟ كم أنت ناكرٌ للجميل يا تميم... كنت أقول عنك مفصوم الشخصية ودائما تأخذ قراراتك بتسرع وبدون تفكير، الأن تأكدت أنك مجنون ولا يمكن وصف حياتك بالطبيعية! أنت انسان بلا ظل!

-أنا أبحث عن ظلي الذي خان رفقة جسدي ومال في الطريق نحو منحدرٍ زلق. أنا أبحث عن وهمٍ يشبهني فارقني فأصبحت من يومها تعس. أبحث عن رفيقي الذي حين احتجته غاب في النهار وظهر في الليل... وأي ظلٍ نحتاجه في الليل؟

-أنا هنا يا تميم.

-يا جاحظ العينين... أخطأت أنا، فأين الحل؟

-لستُ المناسب لأهديك نصيحة! أنا آخر من يستطيع أن يقدم لك نصيحة! فأنا أشبهك في كل شيء إلا الحقيقة... لكن لماذا لا نحاول الهرب؟

-أنت المجهول الذي يأتي وأنا المجنون الذي يتبعك ولا يدري!! كيف أهرب أمجنون أنت؟... فإن هربت يا رفيقي سينتقمون من عائلتي... وإن بقيت سينتقمون مني البقاء أهون من الهروب.

-نعم أنا المجنون الذي يحاول أن يخرجك من الورطة... لماذا لا تحاول اذا أن تقول للفتى النادل قصتك وأن تطلب منه أن ينقلها للشرطة... مؤكد سوف يسمعونك!

-سيكتشفون الأمر... وسيؤذون الفتى يا صديقي وكذلك سيؤذون عائلتي... أنا عاجز عن إتخاذ موقف... أشعر أنني قارب تائه في عرض البحر... لا هدى له، لا قائد ولا أشرعة ولا مجداف... فقط اتخبط مع الأمواج... تداعب الريح اشرعتي وتدفع القارب إلى حيث لا أدري. أنا قارب مشتت أُعاني من سوء الإتجاه... من تشتت الإنتباه... من اللاتركيز... فأغدو بلا رصيف بلا ميناء في البحار بين ضياعٍ وضياع... ومن توهان إلى توهان.

-أهرب يا صديقي... املأ جعبتك من ماء الحياة، أملأ قِربتك بالثقة وأرحل مع طلوع الفجر نحو مكانٍ يخلو من القحط، إترك ثيابك حيث أنت، وإطلق ساقيك للريح، وارحل عارياً من كل شيء إلا أنت وقِربة الماء وارحل نحو الشمس ممسكاً ببقايا الظل... ارحل سريعا ولا تنظر للخلف فإن نظرت للخلف أصبحت عموداً من ملح... إن نظرت للخلف تكون قد كررت نفسك مرتين.

-إن رحلت ومتُ يا صديقي فعينيك على أولادي.

-إن رحلت ومت يا صديقي سأموت معك.

-يا ترى يا جاحظ العينين في أي منفى سنلتقي؟ يا ترى في أي مقبرةٍ سنلتقي؟ أم سَتُترك جثتي في العراء لتأكلها الحيوانات الجائعة؟

-لا يهم... أُهرب الليلة... لملم بقاياك... ثم إرحل.

-أنه الموت اذا...

- أنها الحياة... حياة جديدة... نحن من نصنع الحياة.
- نحن يا صديقي نـصطنع الحيـاة... نعـيش عـلى هامـشها كـرقم بـلا معنى... كحظ سطره القارئ تحت جملـةٍ معترضـة في كتـابٍ عـشقه، لكنه نسي لماذا وضعه، فلم يفهمه.

وكما ظهر جاحظ العينين... إختفى.

كنتُ أفكر في طريقة للهروب والوصـول لعـائلتي في أسرع وقـت ممكن قبل أن يصل أحد من العـصابة لهـم... وجـودي في البحـر الميـت صّعب من هذا الأمر، فالمكان بعيد عن طـرق المواصـلات! والوصـول إليهم يحتاج لساعتين بالسيارة... كيف اذا سأصلهم في أسرع وقت؟... هذه العصابة تملك سيارات سياحية ومفاتيحها معهم، وأنا لا أملك أي وسيلة اتصال... ووسائل الإتصال في الفندق مراقبة... لا أملـك مـالاً لركوب حافلة! حتى هويتي الشخصية معهم!

في الصباح الباكر وأثناء الفطور كانت نظرات النادل لي مريبة...

كان يحاول التواصل معي بالعينين كلما إلتفت بإتجاهي وكنت اتجنبه قدر المستطاع...

أنهيت فطوري ببطء... طلبت قهـوتي وأخـذت بإحتـسائها سـعياً لتأجيل الوقت المحتوم... وكان الفريق كاملاً على الطاولة التي بجانـب طاولتي يتبادلون الحديث بالهمس.

إقترب مني ومعه إبريق القهوة الأمريكية وبدأ يسكب القهوة في فنجاني...

- اسمي بهاء... نسيت أن أعرفك على اسمي.
- أهلا بهاء... أعتذر عن تصرفي الفظ معك بالأمس... لكن أرجوك أن لا تعطي وضعي أي إهتمام.

في هذه اللحظة أخذ الفريق كاملا ينظر إلي... كانت نظرات الشراسة والرغبة بالقتل بادية على عيونهم.

- لا يهم أنا معتاد على الرفض وعلى الطرد أحياناً... أرجوك أن تقبل إعتذاري عن تصرفي الوقح أمس... أرجوك أن لا تبلغ الإدارة بأنني كنتُ أُتابعك حتى الغرفة.
- ماذا تقصد؟ لم أفهم!
- لقد إطلعتُ على اسمك في سجل الزبائن... اسمك الأستاذ تميم. أنا حاولت التعرف عليك لأنني معجب بك.
- معجب بماذا؟
- بك شخصياً.

صدمني الشاب وفتحت فمي لا أعرف ماذا أقول أو ماذا أتصرف بينما تحولت نظرات الفريق من الشراسة إلى الشماته ثم غرقوا في الضحك...

- أنا أرجو أن يبقى الأمر بيننا... كنت اتوقع أن تكون مهتما بي.
- أرجوك بهاء غادر من هنا قبل أن أنادي إدارة الفندق ويعملوا على طردك من الفندق.
- لا أرجوك أنا أعتذر مجدداً... أرجوك سامحني.

- أنا أكره أمثالك... أنتم حثالة... اغرب عن وجهي قبل أن تكون نهايتك على يدي... انصرف... انصرف.

- ترك بهاء الإبريق مكانه وهو يرتجف وذهب سريعاً... نظرت للفريق وكانوا يضحكون...بينما انتبه نادل آخر لما حدث وجاء سريعا إلي...

- سيدي ما الذي حدث؟ بماذا ضايقك النادل؟

- لا شيء لكن لا أريده قريبا مني...

- هل تريدني أن أدعوه ليعتذر منك عما بدر منه؟

- لا أبداً فقط لا أريده أن يقترب مني ولا أن يتحدث معي.

- أتريدني أن أنادي مدير الفندق؟

- لا... لا... لا يستحق الأمر...فقط اتركني وحدي... اريد أن أذهب لغرفتي.

رميت الفوطة التي كانت بيدي... وتركتهم جميعا وذهبت للمصعد ولم يكن أحد من الفريق يتبعني وقبل أن يغلق باب المصعد... صعد فوراً بهاء وأُغلق باب المصعد.

- ما الذي تفعله أيها الحقير... ابتعد عني.

- أصمت... أصمت... لا نريد أحد أن يسمعنا.

- سأضربك... ابتعد عني.

- يا أخي أخرس واسمعني... أنا أريد أن أُساعدك وأعرف أنك في خطر... فقط تابع مع هؤلاء وأنا سأهتم بباقي الأمور... فقط أخبرني كيف ممكن اساعدك وأترك الباقي لي... ما فعلته مسرحية لأشتت انتباههم... إفتعلت المشكلة لأجعلهم يأمنون إتصالي معك...

فُتح باب المصعد فجأة فإرتمى بهاء على جسدي يحضنني وأنا من شدة الصدمة لم أكن أعرف كيف أتصرف... كنت أود أن أضربه... أو أن أشكره لأنه رغم كل الكلام السيء الذي قلته له ما زال يملك الرغبة بمساعدتي...

كنتُ أريد أن أقول له أنهم سيكتشفون أجلاً أم عاجلاً أنه افتعل الشجار والشذوذ فقط لمحاولة مساعدتي، وأنهم سيقتلونني ويقتلوه... لكن فجأة نظرنا لمن كان على باب المصعد وكان زبون عادي...

إبتعد بهاء عني بهدوء والزبون ينظر لنا بإشمئزاز وقرف...

أُغلق باب المصعد مجدداً صعوداً للطوابق العلوية... اقترب بهاء مني كثيراً وهمس في اذني كي لا يسمع الزبون كلامنا

- أخبرني سريعا ماذا تريد مني؟

- أريدك أن تتصل بعائلتي وتطلب منهم الخروج من البيت والهروب في اسرع وقت ممكن... أريد أن أعطيك عنوان بيتي لتذهب وتطلب منهم الخروج فوراً من البيت، لكنهم سيطروا على الكاميرات وزرعوا أخرى لا أعلم أين ولكن غرفتي مليئة بها ولا أعرف كيف يمكنني أن أعطيك عنوان بيتي.

- أعطيني رقم هاتف زوجتك.

- لا نملك هاتفياً خليوياً ولا أرضياً في البيت.

كان الزبون ما زال ينظر إلينا بقرف... نظر بهاء له وقال له بجلافة: إهتم بشؤونك... جفل الزبون وخاف من نظرات بهاء القاسية وابتعد

وإلتفت بعيداً عنا وهو يتمتم: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه... أستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

- في الإدارة لا يوجد كاميرات لذا دعنا نتفق بطريقة أو بأخرى أن تترك لي عنوان عائلتك هناك... ثم سأتواصل مع عائلتك وأساعدهم... هل تريد أي شيء آخر؟

- فقط ابتعد عني قدر المستطاع هؤلاء عصابة وقد يؤذونك.

- هل تريدني أن أُعلم الشرطة بأنك تحت تهديد عصابة؟

- فقط عندما تبتعد عائلتي عن الخطر... أنهم يراقبون أولادي.

- حسناً لا يهمك... سأتصرف بهذا الأمر... فقط أعطيني قُبلة وأنا أخرج من المصعد وسأهتم بالباقي.

- لا... ابتعد عني.

فُتح المصعد مجدداً وأعطاني بهاء قبلة فجائية وخرج مهرولاً بينما خرج الزبون من المصعد سريعاً يتمتم غاضباً... خرجتُ من المصعد وأنا ارتعب خوفاً ودخلتُ غرفتي وجلستُ على سريري ووضعت رأسي بين يدي أحاول أن أفهم ما الذي جرى للتو.

بعد دقائق كان باب الغرفة يدق... فتحت الباب كانت انجل ...

ما الذي تريده هذ الشيطانة؟ لقد دمرت حياتي بما يكفي... ما عدت أتصور رؤيتها! هل يمكن أن ينقلب الحبُ كرهاً شديداً؟ هل

تتبدل المواقف في الحب؟ أيعقل أن أشتاق الأن لزوجتي وأنفر كل النفور من انجل ؟

دخلت الشيطانةُ وهي تضحك بشدة...

- أصبحت شاذاً الأن؟

- ماذا؟

- لقد كان هناك زبون يصرخ في البهو بأن شابان يقبلان بعضهما البعض في المصعد وأنهما يمارسان الشذوذ... وما زال الأمن في البهو يحاول تهدئة الرجل! هل أنت شاذ؟ هل تحب الشذوذ؟ لماذا لم تخبرني؟ أحد الرجال الذين معنا يستطيع مساعدتك، فهو لديه نفس إهتماماتك...

قالتها بأسلوب ساخر وكأنها كشفت جانباً من شخصيتي!

- أنت تعرفين من أنا أيتها العاهرة.

- أنت شاذ لا أكثر.

خرجت من الغرفة وكان جيمس قادماً من غرفته وهو يقول لها: نعم كانا يقبلان بعضهما البعض في المصعد... أنه شاذ...

ضحكا معاً... ثم إقترب منها وهي تنظر لي وأخذا يقبلان بعضهما البعض ثم تركاني وحيداً وذهبا.

دخلت غرفتي وأغلقت الباب خلفي وأنا أضرب أخماس بأسداس لأجل بهاء الذي ضحى بسمعته ووظيفته لأجلي... الأن سيطردونه!

كان القلق يساورني... الشاب ضحى لأجلي فيجب أن أتصرف بطريقة أو أخرى من أجله ولكن كيف؟

في فترة الغداء كان نصف الفريق غير موجود، توقعت أنهم في أرحابا، وبينما كنا نتناول الغداء جاء رجل وجلس إلى جانبي بدون إذن.

- سيد تميم، أنا مدير الفندق، أرجو أن أوضح لك أن هذا الفندق فندق محترم وغير مقبول أبداً ما فعلته أنت والنادل في المصعد... لقد رجعت للتسجيل واكتشفت أنه قبّلك في المصعد.

- سيدي المدير، النادل لم يقم بما تضنه! الشاب محترم وكانت قُبلة بريئة.

- لقد حضنتما بعضكما البعض في المصعد وثم قبّلك.

- سيدي المدير هل تعتقد أننا كنا سنفعل هذا تحت الكاميرا؟ أم يمكن أن نفعله في غرفتي دون أن يعلم أحد؟ يمكنك الرجوع للكاميرات وستعلم أنه نادل محترم كان يحاول إرضائي بكل وسيلة ممكنة بينما زبونك المتشنج كان يفهم العلاقة كما شاء هو.

- اذا لا شيء حدث والقُبلة كانت بريئة.

- سيدي... هناك أمور تجري في فندقك انتبه لها النادل وحاول التصرف فيها بإنسانية مطلقة وأنت تهتم بقبلة مسامحة.... شيء سخيف.

- عن ماذا تتحدث؟

- لا يهم... المهم أن لا تسيء فهم الشاب... ولا تسمع القصة من طرف واحد.

- سأعيده إلى عمله... كنتُ قد طلبتُ منه مغادرة الفندق غداً صباحاً.
- تأكد أن الشاب خلوق ومؤدب ولم يقترف أي خطأ أبداً.
- أشكرك على توضيح الأمر وتأكد أنني سأعيده للعمل فوراً.
- سيدي أرجوك أريد أن أعتذر للشاب بحضورك وبحضور الزبون إياه... أرجوك... ولكي لا نحدث أي بلبلة أريد أن يكون إعتذار خطياً في مكتبك.
- لا داعي لذلك... سأعيده للعمل، وبدون إعتذار.
- كلا أرجوك أريد أن أعتذر له خطياً بحضورك وفي مكتبك وأمام الزبون الأخر.
- حسناً عندما تكمل غذاءك استاذ تميم أرجوك أن تطلب من موظف الإستقبال أن يدلك على مكتبي وسأكون وقتها قد طلبت من الزبون الأخر ومن بهاء القدوم لمكتبي.
- شكراً جزيلا.

غادر المدير طاولتي وجاء أحد رجال الفريق المكلف بمراقبتي لهذا اليوم وسألني عن ماذا كنت أنا والمدير نتحدث...

لحظتها عرفت أنه لا يتقن العربية... اذا ليس جميعهم يتقنون العربية!!

البروفسور الكذاب... كم هو كاذب هذا اللعين... كل يوم أتأكد أكثر أنه يكذب...

هو لن يعطيني حصتي في الكنز... لن يبقى طويلا في البلد... ولـن يتركوني أعيش، بمجرد ما يحصلون على مـا يريـدون ستخلـصون منـي حتى لا يعرف أحد المعلومات التي حصلت عليها...

ثم في الفنادق لا يمكـن لكـاميرات المطـاعم تـسجيل الـصوت... ومستحيل أن تكون هناك كاميرا في مكتـب مـدير الفنـدق كـما أخـبرني بهاء... هذه فرصتي لإعطاء بهاء عنوان البيت... بمجرد خروج عائلتي من البيت نحو الأمان... سأفجر القنبلة فيهم وفي نفـسي... لـن أدعهـم يستمتعون لحظة في هذا الكنز.

نظرت للرجل...

قلت له أن مدير الفندق مشمئز مما حدث سابقاً... وأنه يريـد منـي الإعتذار للزبون الذي قـدم شـكوى... وإلا سـيطردونني مـن الفنـدق ويطلبون الشرطة لي، فأشار إلي بضرورة الإعتذار إلى أن يأتي البروفسور ويجد حلاً... ثم قام الرجل وعاد لطاولته يُكمل طعامه...

أنهيت طعامي بسرعة وشربت قهوتي عـلى عجـل وذهبـتُ لمكتـب خدمة الزبائن وطلبت مقابلة المدير.

كان المدير يجلس في مكتبه مع بهاء... دخلت وألقيت التحية عليهما...

-أين الزبون أريد أن أعتذر له أيضاً...

-الزبون يرفض الإعتذار وسيخرج من الفندق بعد قليل... يقولان أنكما كنتما تمارسان الكبائر وتهزان عرش الرحمن!!

-أقدم إعتذاري الشديد. وأقدم إعتذاري للسيد بهاء أيضاً... أرجو أن يقبل السيد بهاء اعتذاراً مكتوباً مني؟

ابتسم بهاء وأنا أنظر إليه... فهم القصد فوراً.

رغم أنني متأكد من أن المجموعة لا تتابعني الأن وأن لا كاميرات مراقبة ترصدني لكن كنت متأكداً أنهم سيتابعون تحركاتي ليلاً على الكاميرات وسيعلمون أنني دخلت مكتب المدير وأن هذا الأمر سيثير جنونهم وقد يثير ريبتهم.

- المدير: لا داعي للإعتذار الخطي... و

-أنا مُصر

-كما تريد... بهاء أمامك وأي شيء تتفقان عليه سيكون الفندق سعيد به.

أخذت قلماً وورقة من مكتب المدير وكتبت عنوان بيتي عليه دون أن ينتبه المدير لما كتبته وسلمته لبهاء الذي أخذها ووضعها في جيبه فوراً!

- بهاء: إعتذارك مقبول.

- شكرا استاذ بهاء... أقدر لك ما تفعله وما فعلته.

- بهاء: لا شكر على واجب.

- أي شيء أخر أنا مستعد لتقديمه.

- بهاء: بالنسبة لي لا شيء... فقط أردت اعتذارك الخطي وأن استمر بخدمتك في الفندق.

- سأكون سعيداً بهذا.

- المدير: اذا امورنا انتهت والجميع سعداء.

تركنا غرفة المدير وخرجنا... بهاء ذهب لطريقه دون أن يحدثني وأنا ذهبت لغرفتي وما أن وصلتها حتى جاء الرجل الذي تركوه لمتابعتي وسألني عما حدث... أخبرته أنني قدمت اعتذاراً للفندق وللزبون... فطلب مني اخبار البروفسور بذلك حينما يحضر...

بينما كنا نتبادل الحديث طرق أحدهم الباب بقوة شديدة وكأنه يريد أن يكسر الباب... فتح الرجل الباب فدخل الزبون إياه عنوة للغرفة، دخل وهو يصرخ: أنتم قوم لوط... أنتم قوم لوط... إلى جهنم وبئس المصير... أيها المتشبهون بالنساء إلى جهنم وبئس المصير.

لقد كان يزعق كزوجتي ويزبد غضباً ويهدد ويرمي علي ما تصل يداه إليه...

جن جنون الزبون وأثار رعب الرجل الذي كان معي... لقد حاول الرجل أن يهدأ أعصابه بالإنجليزية، فرد عليه الزبون متشنجاً: وأنت من قوم لوط أيضاً... أنتم مجموعة شواذ... أجانب شواذ... كفار

شواذ... لعنـة الله علـيكم... فنـادق شـذوذ... فنـادق شـذوذ... أريـد الشرطة... أين شرطة الآداب؟

كان صريخه يتردد في كل انحاء الفنـدق، فحـاول الرجـل أن يثبـت الزبون وأن يطرحه أرضاً بعـدما واصـل رمـي الأشـياء علينـا... لكـن الزبون أخذ يهاجم الرجل ويتعاركان بالأيـدي... ومـا هـي إلا بعـض الدقائق القليلة وكانت غرفتـي تعـج بـهـا هـب ودب... زبـائن... أمـن الفندق... مدير الفندق... موظفي الفندق... والكثير مـن الفـضوليين! والكل يتحدث ويصرخ وبعضهم ينبش في الغرفة... والهرج والمـرج... وأُناس تدخل للغرفة وأُناس تخرج منها...

فوضى عارمة!

خلال هذه الفوضى كان الرجل يتصارع مـع الجميـع ملتهيـاً عنـي فأخذت أبحث عن أجهزة التنصت... كالعادة توقعت أن يكون أحدها قريباً من المـصباح الموضـوع بقـرب الـسرير... في فتحـة المكيـف... في داخل سماعة الهاتف الأرضي... لم أجد شيئاً!

حاول أمن الفندق السيطرة على الزبـون وإخراجـه مـن الغرفـة... اخرون كانوا يحاولون الوصـول لأغـراضي الشخـصية فحـاول الأمـن منعهم... إمتد الهـرج للممـر في الخـارج وكـان الرجـل قـد تـم سـحبه للخارج هو والزبون... وكلما أخرجوا البعض يدخل غيرهم... كانـت

عملية السيطرة في غاية الصعوبة... إلى أن استطاع أمن الفندق السيطرة على الجموع ببالغ الصعوبة...

طرد الأمن كل من في الغرفة خارجاً وكانت الغرفة قد أنقلبت رأساً على عقب!

بعد دقائق كان أمن الفندق قد أعاد الهدوء للفندق... جلست على الأرض أتأمل الغرفة وقد أجهدت وأنا أحاول أن أجد جهاز التنصت دون أن أنجح...

كانت الفوضى قد دبت في الغرفة...

عاد مدير الفندق وأخذ يعتذر... وأخذ موظفون من خدمة الغرف يخرجون الأثاث من الغرفة... كان التلفاز مكسوراً وملقى على الأرض... والهاتف الأرضي مفككاً ومكسوراً ومنزوعاً من القابس... وخزانة الملابس قد نبشت على أخرها... حتى في الحمام كانت مرآة الحمام مكسورة... كل هذه الفوضى كانت تدب في غرفتي... وأنا لي يد في الجزء الأكبر من هذه الفوضى!

- أنا أعتذر منك شديد الإعتذار عما حدث وأرجوك أن تقبل مني الإنتقال لغرفة أخرى وتعويضاً مناسباً على كل الخسائر التي حدثت لأغراضك الشخصية.

- أشكرك... لم أخسر شيئاً ذو قيمة... لكن أرجوك أن تكون الغرفة التي سأنتقل إليها في طابق مختلف.

- وهو كذلك... وأريد أن أطمئنك بأن الزبون قد غادر الفندق.

- أشكرك جزيلا سيدي المدير.

انتقلت لطابق أخر وغرفة من المؤكد أن لا شيء فيها وهكذا لن يستطيعوا مراقبتي في الغرفة ويبقى إمكانية مراقبتي محصورة في المطعم والممرات والبهو والمسابح الخارجية.

بعد أن انتقلت للغرفة الجديدة جاء الرجل غاضباً لغرفتي... قلت له أنهم هم من طلبوا رحيلي عن الغرفة بسبب تعرضها للخراب... وبقي الرجل عندي إلى أن حل المساء.

في المساء كان البروفسور في غرفتي يصرخ ويعربد...

كل من أعرفهم يصرخون... تنقلب وجوههم للإحمرار غضباً عندما يتحدثون... يصرون على أسنانهم... يزبدون كمن أصابهم الصرع... يحركون أيديهم بسرعة في كل الإتجاهات وكأن بطاريتهم شحنت بطاقةٍ متزايدة...

كل من أعرفهم عصبيون...

زوجتي عندما أكون مفلساً...

وضاح عندما أتعب بسرعة... أو عندما يكون ما جنيته أقل من المطلوب.

البروفسور الكذاب...

انجل الشيطانة...

حتى جاحظ العينين أصبح يتقن العصبية... ويجن من أبسط تصرفاتي!

وكل ما كان يفعله البروفسور هو التهديد والوعيد لي بأن يشرب من دمي إن كُشف أمرهم.

-اسمع أيها الوغد... نحن قاب قوسين أو أدنى من الكشف عن أهم كنز في التاريخ! كنز سيجعلنا نشتري استراليا كلها... وأنت... أنت أيها المجنون تمارس أسخف لعبة يمارسها غبي... أتظن أنني أصدق أنك شاذ؟ أنت مجرد وغد تستخدم ذلك الشاذ ليساعدك... لكن دعني أقولها لك... إن إقترب ذلك الشاذ منك مرة أخرى سأجعل البحر الميت قبره وقبرك حيث تنتمون... سأربط جسديكما بحجارة كبيرة واسقطكما في البحر الميت... هل تفهم أيها الوغد الحقير الأبلى.

اتجه بكلامه لفريقه

-الأن كيف يمكننا نزع جهاز التصنت من تلك الغرفة؟ أريدكم أن تجدوا حلاً لهذه المشكلة... لا أريد من فريق صيانة الفندق أن يكتشفه فينفضح أمرنا... وثم قوموا بزرعه هنا في هذه الغرفة...

خرجوا جميعا من الغرفة... أما أنا فقررت أن أبقى فيها، لا أريد أن أشاهد أحد أو أتحدث مع أحد...

ما بال الأمور تتعقد كلما ظننتها تسير نحو حل!

على الأقل عرفت أن هناك جهازاً واحداً للتصنت وليس كاميرا في غرفتي هذا سيحل الكثير من الأمور.

في المساء، سمعتُ طرقاً على الباب... فتحته فكان بهاء على الباب ومعه نادلاً أخر يحضرون طعام العشاء لي مع أنني لم أطلبه... دخلا بعربة ووضعاه في غرفتي... غادر النادل وبقي بهاء.

كنت أتوقع دخول أحد من العصابة في أي لحظة لغرفتي...

- هذا العشاء على حساب الفندق.
- بهاء لا تحاول الإقتراب مني... سيقتلونك ويقتلونني، أنهم يعلمون أنها مسرحية... قد يدخلون الأن إلى غرفتي في أية لحظة.
- لا تهتم... سأغادر بعد قليل... هم جميعا موجودين في المطعم الأن يأكلون... استغليت فرصة تناولهم لطعام العشاء لأخبرك أنني سأعمل جهدي لحماية عائلتك.
- شكرا بهاء... متى تستطيع أن تذهب لتنبه عائلتي؟
- غداً صباحاً سأذهب إلى العنوان الذي أعطيتني إياه... سأراقب المكان وعندما يكون آمناً سأدخل عليهم فوراً وأتحدث مع زوجتك.
- انتبه هم يراقبون عائلتي من الداخل أيضاً، بعض ألعاب أولادي فيها أجهزة تجسس... والبيت مراقب جيداً... لا أعلم كيف لكن أرجوك أن تخطط للأمر جيداً لا أريد أحد أن يؤذيهم أو يؤذيك.
- لا تهتم... سأراقب المكان قبل الذهاب لزوجتك.
- بالمناسبة زوجتي قد لا تصدقك اذا أخبرتها أنني في خطر وهم في خطر... وقد تطردك من البيت.

- اذا ما العمل؟

- قل لها أن زوجكِ كلما طلب القهوة تعدين له الأعشاب و...

لم أعرف ماذا اقول له فصمت عن الحديث

- ماذا؟

قلت خجلاً:

- حتى تعرف أنك صادق قل لها أنني لم أقترب منها منذ فترة طويلة!

شعرت بالخجل وأنا أقول هذه الكلمات لكن كان لا بد لي من إعطائه السر الأقوى لتعرف أن بهاء يقول الحقيقة.

- لا تخجل استاذ تميم... لا يوجد داعي للخجل...

- شكرا صديقي .

- اذا أردنا أن نخجل من أنفسنا ومن الأشياء التي نفعلها سنقضي حياتنا في الظلام... أو سنضع أقنعة على وجوهنا وسنتعب ونحن نبدلها.

- صدقت يا بهاء... كم اتمنى لو أنني أعيش في الظلام ولم أقترف ما فعلته.

- لا أعرف ما الذي فعلته يا استاذ تميم ولكن يبدو أنك متورط مع عصابة منظمة... لقد أخذت اسماءهم من السجل وبمجرد أن أضمن أن عائلتك بخير وأنك أنت بخير سأقوم بتوصيل المعلومات التي أعرفها للجهات الأمنية لمراقبتهم... ولكن من ما رأيتهم هم حذرون جداً... وحذرهم هو ما جعلني أشك فيهم.

- شكرا لجهودك معي... أنت انسان محترم وتخاطر بحياتك لأجلي وبدون سبب.

- لا داعي للشكر... لو كنت مكانك لفعلت ما أفعله وأكثر.

- لا أعتقد أنني أملك إنسانيتك وقدرتك على فعل الخير... لو كنت بمكاني وأنا بمكانك لما ملكت الدافع لصنع الخير مثلك.

- كل منا لديه ذرة خير... وأنت تقول هذا لأنك لا تملك ثقة في نفسك الأن، ثم أعتقد أننا نحن المثليين لدينا هذه الخاصية أكثر منكم أنتم الأغيار.

ماذا!!! هل ما سمعته صحيح؟

كنت أنظر له بدهشة لأتأكد من أنه قال ما سمعته!!!

كان ينظر إلي بثقة وجدية وبأنه يقول الحقيقة.... لم يظهر على وجهه أي علامات مزاح!

اذا هو شاذ! حقيقة لا إدعاء!

- لكنك قلت أنها مسرحية! شذوذك مسرحية!

- لا... المسرحية هو إدعاء خوفي منك...

- اذا أنت شاذ؟

- لا أنا مثلي... ومثليتي هي التي جعلتني أنتبه لما يحدث معك... ومثليتي هي التي تجعلني أرغب بمساعدتك... اسمها مثلي وليس شاذ أستاذ تميم.

بقيت صامتاً... لم أنطق بحرف... وهو ينظر لي.

- استاذ تميم... لم أطلب منك شيئاً مقابل مساعدتي! أنا أعرضها عليك بدون أي شيء... أنا أنظر لك نظرة انسانية فقط وكل اهتمامي أن أنقذك أنت وعائلتك من الورطة التي أنت فيها دون أن أعرف ما هي وكيف وقعت فيها.

- شكرا جزيلا... لكن لما أنا؟

- أخبرتك سابقاً اعجابي بك هو ما لفت نظري.

- لكني لست شاذاً.

- لقد أخبرتك بأن الكلمة الصحيحة... مثلي... وليس شاذ.

- كلاهما يعبران عن شيء غير سليم... عن شيء مقرف.

قام من مكانه وإتجه للنافذة ينظر لبعيد... للبحر الميت...

كأنه يستدعي أرواح أجداده من هناك!!!

- أعلم أنكم تكرهوننا... أنكم تحتقروننا... لكننا بشر... والبشر مختلفون بعضهم عن بعض... كل منا لديه ميول مختلفة وافكار مختلفة... كُلٍ منا لديه طريقته في الحياة... ما أقوم به أو ما أمارسه قد لا يرضيك لكنه يرضيني والعكس صحيح.

- لكن ليس كل شيء مقبولاً... هناك حدود للقبول.

- لا أحد يطلب منكم قبولنا ولكن لا أحد يعطيكم الحق لتحكموا علينا.

- أنتم خطر على المجتمع.

- ولدنا غرباء وسنكون دوماً في هذا المجتمع غرباء... ولكننا لا نمثل أي خطر على أحد! إن تابعت الجرائم التي تحدث مع المثليين ستعلم بأن المثلي هو الضحية في معظم الحالات إن لم تكن كلها.

- لأنكم تحاولون تغيير الطبيعي إلى شاذ! فتنتهي أموركم إلى جريمة تكونون فيها ضحايا وأنتم المجرمون.

إلتفت إلي...

- يبدو أن لديك مشكلة مع المثلية مثلك مثل معظم الأسوياء... ومثل الزبون الذي هاجمك...

- نعم لا أحد منا يقبل الشذوذ... وأنت قلتها... نحن الأسوياء وأنتم عكس الطبيعة.

- نحن جميعاً بشر وجميعنا أسوياء، ولا داعي لتنعتني بعكس الطبيعة... معظم المثليين عبر التاريخ كانوا خدام الإنسانية... كثيرون منهم كانوا علماء ومشاهير وأطباء وكُتّاب وأدباء ومخترعين وفنانيين وفلاسفة ومهندسين وقادة سياسيين وعسكريين...

قاطعته...

- هذا تبرير لفعل شنيع.

- حسناً لن أجادلك... أنت حر... ومع ذلك لن اتخلى عنك وسأساعدك إلى أن تنتهي مشكلتك ولن أفرض صداقتي عليك... بمجرد أن تخرج أنت وعائلتك من دائرة الخطر سأبتعد عنك أستاذ تميم...

تحرك إلى الباب وفتحه...

- قبل أن أخرج من غرفتك استاذ تميم أُحب أن أقول لك أن المثلي لـيس هو من يحاول تغيير المجتمع، بل المجتمع يسعى لأن يغـير المـثلي ولـو بالقوة، ولكن لا نحن نتغير ولا أنتم تقبلوننـا فكيـف سـيغير إحـدانا الأخر؟ استاذ تميم... لا تحاول تغيير الحياة... الحياة مـسيرة... الحيـاة ستسير برضاك أو بعكس ما ترضى... الحياة هي العيش برضى وقبول للأخر المختلف عنك... الحياة لا تسير لأجلك أنـت فقـط أو لأجـل نوع واحد من البشر... الحياة للجميع... عش حياتـك راضـياً قانعـاً وقابلاً لنفسك وللأخرين فتعيش سـعيداً... عـش حياتـك كـما أنـت وستعلم أننا بعدها سنتفق وستنظر لي نظرة إنسانية بحتـه فـلا يهمـك من أنا وما أنا عليه... الحياة ليست بالجنس أو المال أو الجاه... الحيـاة إنسانية وسعادة وفرح وقبول وسلام وحب...

قال جملته الأخيرة وخرج من الغرفة!

يا الله كم كانت كلماته جارحة...

ساد صمت رهيب في الغرفة ولا أدري من أيـن هبطـت كـل هـذه الأنهار المالحة على خدي... لعل البحر الميت حزن عـلى حـالي فأعطـاني بعض ملوحته في دمع العين...

وجوده بالغرفة معي جعلني أقلق من أن يفهـم الأخـرون وجودنـا معاً بأننا نفعل شيئاً... لذلك لم أرتح لوجوده قربي...

أمامي طعام شهي جلبه لي وعلى حساب الفندق وأنا تعاملت معه بكل وقاحة وأيضاً دون أن أطلب منه أن يتناول العشاء معي...

كنت قلقاً من إدارة الفندق ... من الزبائن... من العصابة إياها... أي فضيحة ستلتصق بي كلما رأوا هذا الشاب يقترب مني!

أنسيت أنني كنت أمارس أشياء كثيرة سيئة في حياتي... وحاكمت هذا الشاب لأنه يفعل شيئاً آخر يفعله بعض البشر!... ما أحقرني!

ليتكَ تسامحني

في تلك الليلة لم استطع أن أنام جيداً... فالبروفسور كان مصراً على أن ينام أحد الرجال عندي...

كنت حزيناً على تصرفي مع بهاء! كم أنا حقير! لماذا تصرفتُ معه هكذا؟

إن كان شاذاً فهذا الأمر يخصه، ولكنني لأنـانيتي المفرطـه تعاملـت معه بحقارة، وأما هو فما زال رغم صدي وشتمي له يتعامل معي بـروح إنسانية... يتعامل معي كشخص بحاجة لمساعدة... يحاول أن يـساعدني رغم كل ما أظهرته له من كراهية واشمئزاز.

كنتُ كما عجوزٌ متعجرفة وقبيحة وعميـاء تـشتم وتـصرخ عـلى أحـدهم لمس يدها في الشارع... بينما كان يحاول هذا مساعدتها في عبور الطريق!!!

وهي لا تزال تشتمه وهو لا ينفك يحاول أن يبعدها عن الشارع...

ليتكَ يا بهاء تسامحني... ليتكَ يا بهاء تسامحني.

أن هذا الليل يرهقني... يجلب لي السواد... هـذا الليـل يقتلنـي... فمتى سينتهي؟

ما زال في الليل... شيءٌ ينهار...

أما قلبي، فينتظر بزوغ النهار

وهذا السجن! أقفاصه من صدري

من ضلوعي

من فكري المحتار.

لعلي في هذه الليلة أرتب أفكاري...

وأخرج من ليلٍ كله أخطار...

لكنني في كل لحظة أنغمس في هذا الليل... وتزداد حولي الأهوال.

لم يعد لليل عندي طعم...

أتقلب بين مخداتي... بين أوراقي... وأقلامي

بين بنت فكرة... وبنات أفكار!

أضاجع أحلامي...

أغازلها... دونما أن أشعر بمتعة الإنتصار

لكنني بعد النشوة،

إكتشفتُ أنني من نال منه المساء

فالليل ضاجعني... وإغتصبني،

فكيف أواجه بعد هذا الذل صباح؟

أتقلب بين مخداتي...

لم يستهويني النوم بعد...

لا اشتهي النوم بعد...

أتقلب...

أحاول مجدداً أن اشتهي... لقمة أفكار...

مضاجعة بنت فكرة... أو بنات أفكار...

أتقلب...

ولا أجدُ أي متعة

فأي وضعٍ جديد... وأي إختبار؟

وأي خيانةٍ اختار؟

وأي زنى في فكري... وفي أحلامي

حين أصحو وحين أنام!!!

لكنني لم أنم قط!

لأنه ليلٌ طويل... وما زال في الليل شيء ينهار...

فالليل يضاجعني... ويغتصبني،

فكيف أواجه بعد هذا الذل صباح؟

وأما قلبي... فهناك مقره بعيداً عني ...

فمتى يأتي النهار؟...

كان الرجل يشخر كثيراً... أنه الإختيار السيء للبروفسور لرجل كي يراقبني... شخيره يقلقني ولكنني سعيد بأنه يغط في نومٍ عميق...فنوم الظالم عبادة. غداً سيذهب بهاء لبيتي وينبه زوجتي وأولادي بضرورة الإبتعاد عن البيت!

هل ستنجح مهمته أم لا؟ هل سيذهب بعد الذي قلته له أم يختصر الأمر ويعاقبني على ما قلته وينسى الأمر؟ أنه فرصتي الأخيرة للنجاة... عندما يُكتَشف الكنز سيقوم البروفسور وأعضاء عصابته بالتخلص مني بلمح البصر... لكن أرجو أن يكتشف رجال الأمن حقيقة العصابة قبل هذا.

- لماذا القسوة على بهاء؟

- جاحظ العينين! أين كنت؟ لقد اشتقت لك...

- لا تغير الموضوع... لماذا تكره الشاب؟

- أنا لا أكرهه!

- أنه شاب طيب يحاول مساعدتك وأنت تتدخل فيما لا يعنيك.

- أنه شاذ.

- أنه مثلي... فرق كبير بين كلمة مثلي وبين كلمة شاذ!

- ما الفرق يا رجل؟ كلاهما فعل حقير!

- أنت تتحامل على الشاب كثيراً... نعم هو مثلي ولكنك أنت الشاذ!

- لماذا تصفني بالشذوذ؟ لم أفعل شيئاً مثل هذا من قبل ابداً ولم أفكر فيه، بل اشمئز بمجرد التفكير به.

- وبماذا تصف علاقاتك المتعددة نساءٍ من مختلف الأعمار وبكافة الطرق... لا تدعني اذكرك بما كنت تفعله برغبتك وعدم رغبتك مع هؤلاء النسوة... ألا تتذكر؟ ألا تتذكر بعض مما فعلته مع أولئك النسوة؟

- أنهن نساء! ما فعلته معهن يبقى أمراً طبيعياً.

- الشذوذ فعل وفكر وحديث... ولم يكن حالة فعل فقط بين شخصين من نفس الجنس.

- ما الذي يجعلك تدافع عنه؟

- إنه إنسان وما هو عليه يخصه... هو يخاطر بحياته من أجلك ومن أجل عائلتك ولم يطالبك بأي شيء.

- لولا رغبته لما اهتم بي.

- دعني أذكرك يا تميم أننا جميعاً لنا أخطاؤنا وأفعالنا وأفكارنا السوداء... هذا جانبه الأسود بالنسبة لك وللكثيرين ممن يهتمون بالأخلاقيات والمثاليات وأنتم بعيدون عنها كل البعد... وأنتَ لك جوانبك السوداء التي طالما اخفيتها عن الناس.

- أتبرر فعلته؟

- من قال لك أنني أبرر هذا الشيء؟ ولكن هو إنسان وعندما يتعلق الأمر بالإنسانية فلا يجب أن أحكم على إنسان بناء على ميوله بل أحكم عليه بناء على ما يقدمه للبشرية أو على ما يقدمه لمن حوله على الأقل... هو الأن يقدم خدمة إنسانية لك لذلك هو في قمة الإنسانية... وأنت يا مستقيم الأخلاق ماذا قدمت؟ أنت كنت على استعداد لخيانة بلدك في سبيل بعض الذهب... لذا إن ألقى الأمن عليه متلبساً بفعلته سيعاقب بسجن بسيط لأن فعلته لا تؤثر على الأخرين، بينما أنت اذا ألقى الأمن القبض عليك فسيحاكمك في محاكم عسكرية وسيحكم عليك بالمؤبد أو الإعدام لأن فعلتك تؤثر على البلد ككل... اذا من منكما فعلته أخطر؟

-أنا... معك حق.

-لذلك تعامل معه من ناحية إنسانية ولا تتعامل معه على أنه شخص مثلي... ما يفعله يخصه ولا يخصك.

-أعتقد أنني مدين له بالإعتذار.

-نعم.

لا أعرف كيف غفوت بالأمس...لكني صحوت وأنا في السرير بدون أن أفهم لبعض الوقت أين أنا!

لأول مرة أشعر بهذا الشعور دون أن أكون قد شربت شيئاً في الليلة السابقة...

كنت وحيداً في الغرفة... لقد غادر الرجل الذي يراقبني ولم أشعر به... ذهبت للحمام وأخذت حماماً طويلاً... أردت أن أشرب قهوة فقررت أن أذهب للمطعم... لعل الرجل هناك...

دخلت المطعم... لم يكن أحد من الفريق موجوداً... هكذا أفضل!

لعلي استطيع أن أتحدث مع بهاء قبل أن يغادر، سكبت فنجاناً كبيراً من القهوة وجلست أحتسيه... جاء نادلٌ وسألني إن كنت أرغب بأن يحضر لي الفطور أو أن أتناول ما أريد من البوفيه المفتوح... سألته عن بهاء فأخبرني أنه أخذ إجازه... ثم غادر عندما حضر أحد موظفي الإستقبال في الفندق يحمل ظرفاً بيده:

- صباح الخير استاذ تميم.

- صباح النور.

- استاذ تميم... أرجو أن أعلمك بأن البروفسور ترك لك هذه الرسالة قبل أن يغادر.

أخذت الرسالة المغلقة بإحكام وفتحتها بينما غادر الموظف.

" تميم... لو تركناك وحدك فأنت لا تستطيع أن تفعل شيئاً... لا تفكر بأن تتصل بعائلتك أو مع الدائرة أو أي جهة أخرى... أي تصرف أخرق ستندم عليه! أبقى في الفندق وسنعود في الليل لنتحدث عن انتهاء دورك وعن حصتك... ملاحظة: لقد جاء مديرك أمس للحفرية وأخبرته أنكَ مريض ولم تستطع أن تأتي للحفرية... كما طلبت اذناً بإنهاء الحفرية قبل موعدها... سأمنحك تقريراً جيداً إن وعدتني بإن لا تختلق مشاكل، نحن على وشك الإنتهاء فلا تتحاذق".

اذا هذه هي النهاية ولكن لا اتوقع الخير من البروفسور...

لا أعتقد أنه سيتركني وشأني ولا أعتقد أنه سيمنحني شيئاً...

مجرد أن ينتهي من حفريته الإفتراضية وحفريته الحقيقية سيحاول أن ينظف القذارة التي خلفها حوله قدر المستطاع...

ماذا علي أن أفعل؟ هل أنتظر اتصالا من بهاء بأن عائلتي في مكانٍ آمن أم أنتظر أن يتصرف البروفسور ويقتلنا جميعاً ويُهرّب الكنز خارج البلاد؟

كنت أحاول أن أجد طريقاً للخلاص... أفكر في كل الإحتمالات وما قد ينتج منها!

قطع حبل أفكاري النادل نفسه الذي جلب لي بيضاً مقلياً مع شاي بالنعناع... ووضع الصحن والكأس أمامي.

-هذا توصية من بهاء... أخبرني أنك تحب البيض مقلياً قلياً قليلاً مع شاي بالنعناع كفطور.

-أشكرك... هل يمكنك أن تتصل به هاتفياً؟
-نعم بالتأكيد... لكن هاتفه مغلق منذ الصباح.
-أرجوك أخبره عندما تتمكن من الاتصال معه أنني بإنتظار الاخبار! وأنني أعتذر عن تصرفي الفظ معه بالأمس.
-سأبلغه بذلك سيدي.

نظرت للأرض لا أعرف ماذا أقول أو ماذا أفعل!

-سيدي لا تهتم هو أخبرني أنه سيتصل معي لاحقاً وسينقل لك عبري رسالة مهمة بمجرد ما يصل لبيته!...
-شكرا جزيلا.
-سيدي هل تعلم بأن نصف فريقك الأثري غادر الفندق؟
-متى غادروا؟ ومن غادر؟
- اليوم صباحاً غادرت الفتاتان وأثنان من الرجال وبقي البروفسور واثنان أخران.

اذا غادرت انجل ...

لكن إلى أين؟ هل وجدوا الكنز بالفعل؟ هل قاموا بنقله؟ لكن اذا كانوا صادقين وكميته ضخمة جداً فهم يحتاجون لشهور لنقله... لا بل يحتاجون لمعجزة لكي لا يكشفهم أحد... ومعجزة أكبر لتهريبه خارج البلاد!

"لم يعد هناك ما يكفي من الوهم لأخاف خيبة الأمل...."[1]

في المساء سمعت طرقاً على الباب... فتحته فكان جيمس دخل الغرفة مبتسماً... وأخذ ينظر لي ثم للغرفة!

- هل كنت تظن أن نقلك لغرفة أخرى سيمنعنا من كشف مخططاتك؟

- أي مخططات؟ لا يوجد عندي أي مخططات.

ضربني بقوة على بطني فإرتميت أرضاً أتلوى ألماً...

- لقد ألقينا القبض على النادل... لقد اعترف أنك أخبرته بأمرنا وأنك طلبت منه تبليغ الأمن ليأتوا ويلقوا القبض علينا... لقد ألقينا القبض عليه وهو بحوزتنا الأن...

- أرجوكم لا تؤذوه... أرجوكم.

- ما الذي قلته له بالتحديد؟

- لم أقل له شيئاً فقط طلبت منه أن يذهب لعائلتي ويخبرهم أنكم تنون شراً بهم.

- لماذا اذا يحاول الإتصال بالأمن؟

- لم نتفق على هذه النقطة ابداً... كان المطلوب منه أن يقنع زوجتي بالهروب مع الأطفال خارج البيت.

كنتُ مطروحاً على الأرض وكان هو بالأعلى وأنا بالأسفل وفجأة وضع قدمه على رقبتي، وأخرج هاتفه النقال وأجرى إتصالاً...

---

١ – محمود درويش.

-نعم انجل ... لقد كسبتي الرهان! نعم لقد جند النادل لنفسه!

كم أنا غبي! لقد أطلعته على السر بغبائي... لم يكونوا يعرفوا شيئاً وأنا أخبرتهم بكل سهولة عن بهاء... يا لغبائي الشديد!

- انجل يجب أن تطلبي من الرجال أن يجدوا حلاً للنادل قبل أن يصل للعائلة... أقتلوهم جميعاً إن احتاج الأمر.

حاولت أن أصرخ وأنا أتلوى تحت قدمه التي كانت تعصر رقبتي عصراً... لكنه شد بقدمه على رقبتي فشعرت بألم شديد وكان الهواء ينقطع عني... أما هو فأغلق السماعة وقال لي: أيها الحقير... سنقتلهم إن وصلهم النادل قبلنا... سنقتلهم جميعاً... ستندم على ما فعلته.

الأن أقترفت جريمة كبرى بتوريط بهاء!

كلما إقترب مني أحدهم يطاله البؤس، وينتهي الأمر به ميتاً أو مشروع ميت.

يجب علي أن استسلم وأن اتوقف عن المقاومة أو إيجاد حلول، لا أريد أن أكون سبباً في موت أخرين.

قضيت تلك الليلة في الغرفة برفقة جيمس... كان طوال الفترة يتحدث مع المجموعة التي تراقب بيتي محاولين الوصول لبهاء قبل أن يصل إلى عائلتي...

حاول جيمس الوصول إلى عنوانه لكن زملاءه في الفندق لم يكونوا يعرفونه جيداً وكف عن المحاولة لئلا يثير الشك... لكنه استطاع

الحصول على رقم هاتفه وحاول الإتصال معه لتهديده لكن هاتفه كان مغلقاً طوال الوقت...

قلت في عقلي لا بد أنه شعر بالخطر ولأنني تعاملت معه بخشونة قرر أن لا يساعدني... لقد أنقذ نفسه هذا الشاب بمجرد الإبتعاد عني.

في تلك الليلة ورد اتصال لجميس... كان قصيراً وكل ما كان يقوله هو نعم... نعم.

قال لي بعدها أنهم وجدوا طريقة ذكية لنقل الكنز وأنهم سينقلونه غداً إلى مكانٍ آمن وأننا سوف نغادر الفندق إلى مكانٍ آخر... صباحاً.

طرق أحدهم الباب... ذهب جيمس وفتح الباب... كان النادل الذي خدمني في الصباح، كان يريد أن يتحدث معي... دخل وكان ينظر بإستغراب لي ولجيمس... كان يتحدث العربية فطلب مني جيمس أن أقول له أن يتحدث بالإنجليزية. قال لي أن بهاء اتصل معه وأنه يريد أن يحدثني... كنت أود أن أخبر هذا النادل بأن لا يتحدث وأن يبقى صامتاً لكن كنت أعلم أن جيمس يفهم بعض العربية... أجرى إتصالاً مع بهاء وسلمني الهاتف إلا أن جيمس أخذ الهاتف فوراً ووضعه على أذنه... وقال للنادل: هل يمكنك ترك الهاتف معنا قليلاً؟ اتركنا نصف ساعة وبعدها تأخذ هاتفك... وافق النادل وذهب.

رد بهاء وكان الصوت يخرج من السماعة الخارجية للهاتف المحمول:

– ألو

- أيها الحقير... أين أنت؟
- من أنت؟
- أنا الرجل الذي يحتفظ بصديقك الشاذ الأن وقد أقتله فوراً إن حاولت الاقتراب من بيته.
- حسناً... وما الذي يؤكد أنكم لم تقتلوه بعد؟
- لأن صديقك النادل جلب له هذا الهاتف! أغبي أنت؟ هل سيجلبه لشخص ميت؟
- حسناً حسناً... اذا ابتعدت عنكم فما الذي يضمن سلامة تميم وعائلته؟
- ماذا تريد من تميم وعائلته؟ سأمنحك مبلغاً مجزياً تترك العمل في الفندق وتفعل ما تريد في حياتك وتنسى تميم وعائلته.
- وما الذي سيضمن لي هذا؟
- أخبرني بمكانك وسأجلب لك ١٠٠٠٠ دينار الأن.
- ١٠٠٠٠ دينار! هل تظن هذا المبلغ كافياً؟
- حسناً ٢٠٠٠٠ دينار... لا تكن طماعاً... فقط أخبرني بمكانك وسأجلبها لك.
- سأفاوضك... إن جعلتني اتحدث مع تميم سأخبرك بمكاني وتحضر لي ٣٠٠٠٠ دينار وسأنسى الموضوع كله.
- حسناً ٣٠٠٠٠ دينار لكن ما الذي تريده من تميم؟ خذ ٣٠٠٠٠ دينار واتركه... أم أنه أعجبكَ؟

-أعجبني؟ هذا إنسان فاشل... أريد أن أخبره أنه فاشل وأنني سأبيعه مقابل ٣٠٠٠٠ دينار لأنه أهانني.

-حسناً أنا أضع السماعه الخارجية لقد سمع كل كلمة منك... لما لا تخبرني بمكانك الأن؟

-تميم... هل تسمعني؟

- نعم.

-تميم عائلتك لا تهمني وأنت لا تهمني وأنا أبيعك الأن بمبلغ ٣٠٠٠٠ دينار... لا تتوقع أي مساعدة... الشواذ لا يهتمون إلا لأنفسهم.

لا ألومه... لماذا ألومه؟

طأطأت رأسي ووضعته بين كفي... لا يعلم هذا الغبي أنه لن يحضى بالمبلغ بل سيموت مثله مثل كل المتعاملين مع هؤلاء المجرمين.

- متى سيكون المبلغ جاهزاً؟

- غداً أقصى تقدير... أين مكانك؟

- لا... لن أعطيك مكاني بل أنا من سيأتي ويأخذهم منك.

- الفندق مكان غير مناسب.

- لا سأتيك بسيارة سياحية وسأنتظرك بعيداً عن الفندق مسافة آمنة وستأتيني هناك مع المبلغ ستسلمني إياه ثم يذهب كل واحد في طريقه.

- اتفقنا.

-غداً صباحاً الساعة الثامنة نلتقي... هناك كشك قهوة اسمه ليالينا على شاطئ البحر بعيد عن الفندق بمسافة ٤٠٠ متر جنوباً، ستجدني بسيارة سياحية بإنتظارك... بجانب الكشك.

أغلق جيمس السماعة الخارجية واتصل فوراً بالبروفسور وأخبره بالتفاصيل. ثم إلتفت إلي وقال لي:

-غداً صديقك سيموت بطلق في رأسه، وأنت السبب في هذا الأمر.

عندما عاد النادل ليأخذ هاتفه النقال كان جيمس قد استطاع أن يأخذ رقم بهاء ويحفظه عنده وسلم النادل بقشيشاً جعل النادل يطير فرحاً.

في منتصف الليل طرق أحدهم باب الغرفة... وكان البروفسور:

- اذا صديقك الشاذ باعك... كم مرة علي أن أقول لك أن تكف عن محاولاتك البائسة وأن لا تحاول أن تخبر أحد... نحن يمكننا الوصول إليك وإلى الجميع بكل سهولة.

- لا ألومه... أنا أسف لن أكررها مرة أخرى أرجوكم لا تمسوا أولادي بأذى.

شعرت بالبروفسور يشتعل غضباً ثم ضربني لكمة قوية على وجهي جعلتني أسقط أرضاً عن مقعدي.

-للمرة الأخيرة سأجعلك تندم اذا تصرفت بأي طريقة... من غيره يعرف؟

-لا أحد... أحلف لك... لا أحد...

صعد فوقي ووضع يديه على رقبتي وأخذ يشد... ويضغط.. وأصبح الأكسجين يقل عني وأنا أحاول أن أدفعه عني... وهو يصرخ:

-كم أرغب أن أقتلك بكلتا يدي... ما الذي يمنعني عن قتلك الأن؟

جاءت المعونة من حيث لم أتوقع... جيمس دفع البروفسور عني... وقال له: لا مجال لقتل الوغد الأن.

توجه البروفسور لجيمس... وقال له:

- ستأخذ النادل الشاذ إلى مكان معزول وستقتله... ثم ستأتي وتأخذ هذا الحقير إلى بيته، وستبقى معه ومع عائلته إلى أن نفرغ كلياً من الذي إتفقنا عليه... غداً أحتاج كل الفريق لكنك الوحيد الذي سينجز المهمة الأخيرة غداً.

نظر إلي البروفسور:

- أتعلم أيها الحقير... لقد وجدنا الكنز... بيننا وبين إخراجه من الأرض بعض الوقت... حاول أن تحافظ على حياتك في هذا الوقت القصير وإلا ستموت ككلب شوارع...

- هل تظن أن حياتي ستعود طبيعية بعد هروبكم؟ بمجرد إختفائكم ستنكشف حقيقتكم... أنتم ستهربون وأنا سأبقى... أنتم طلقاء وأنا سأتعرض للتحقيق والسجن وخسارة عملي وقد أخسر عائلتي أيضاً... زوجتي لن تبقى دقيقة واحدة معي بعد أن تكتشف الحقيقة.

- أنت لا تهمنا ولا حياتك الشخصية، ومع ذلك غداً سيعطيك جيمس تقريراً عن الحفرية ستستخدمه للحصول على أموالك من الدائرة... حاول أن تبقى صامتاً للأبد وأن لا تخبر أحد عنا وستحافظ على

عملك وأسرتك... وقد تعود للعمل في ماخور آخر وتفعل ما كنت تفعله سابقاً... ونحن اذا رحلنا ستعود لحياتك البائسة دون مشاكل... لن نُطلع أحد على صورك والأفلام المسجلة لك.

- يوماً ما ستكشف حقيقتكم...

- لا أحد يعلم شيئاً عن ما نفعل... نحن غير موجودين أصلاً... نحن وهم! لا أحد يعلم بحقيقة وجودنا ولا بأهدافنا...

- أنتم أصلاً لن تتركوني وشأني... فقط انتهوا مني وإتركوا عائلتي وشأنها.

- لن نقتلك اذا حافظت على صمتك... فقط حافظ على جأشك وستحصل على حريتك قريباً...

- عن أي حرية تتحدثون؟

- لماذا أنت لئيم هكذا... بإمكانك أن تنشأ لنفسك حياة أخرى بحصتك... لن تحتاج بعدها لعملك ولا حتى للبقاء في هذا البلد... تزوج أخرى... أنجب أطفالاً أخرين... أترك بؤسك يا رجل وأرحل عن هاهنا.

أليست هذه الكلمات أفكاري؟ أليست هي ما أتطلع إليه؟ ألست هذا ما كنت أنوي فعله؟أليست هذه كلمات جيمس قبل أيام؟ لماذا يهتم الكل الآن بي وببؤسي؟

ألم أفكر بهذه الأمور مسبقاً؟

ألم تكن انجل هي المختارة؟

لعل هذا الرجل قرأ أفكاري حينما كنتُ غائباً عن الواقع...

ها هو الأن يقترح علي أن أفعل ما كنت أنوي فعله!!!

أحياناً الشياطين تتفق والملائكة تتنازع وتختلف.

"كُنت أظُن أن أسوأ شَيء في الحَياة هُو أن تَكون وحيداً ، لَكن أسوأ شَيء في الحَياة حقاً ، هو أن يَنتهي بِك الأمر مَع أشخاص تَشعُر مَعهم بالوحدة"[1].

في اليوم التالي صحوت على شيء قاسي يضغط على صدري...

كان جيمس يغرز مسدسه في صدري... لكن كيف استطاع إدخال مسدسٍ للفندق؟

هل سيقتلني؟ فزعت وتراجعت للخلف... أما هو فضحك وقال: لا تخف اليوم لن يُطلق عليك الرصاص إلا اذا حاولت مساعدة بهاء... لكن تذكر هذا الشاذ باعك ولم يهتم لأمرك، لذلك حاول أن تكون ذكياً وتهتم بشؤونك...

تفقد الرصاص في المسدس ذو الفوهة الكبيرة وقال:

- أتعلم منذ مدة ونحن نقتل بالسم ولكنني أفتقد لصوت الرصاص حينما يخترق جسد أحدهم... صوت إختراع الرصاصة لجسد أحدهم يجعلني أنتشي كأني أشرب، ورؤيته وهو يموت تجعلني استمتع كأنني أضاجع أجمل فتاة في العالم...

اليوم سأستمتع بهذا الصوت...

هل تعلم ماذا سأفعل؟

---

١ - روبين ويليامز.

سأجعل بهاء يقود على طريق البحر الميت – العقبة حتى نصل لمنقطة لا يوجد فيها أحد وهناك سأفرغ فيه كل رصاصات مسدسي ثم سأرميه من السيارة للضباع والوحوش، ثم سأقود السيارة التي معه عودة إلى هاهنا... سأرميها في مكان ما قريب من هنا وسأعود إليك... قد احتاج لساعتين على أقصى تقدير وبهذا الوقت ستكون أنت قد جهزت نفسك لمغادرة الفندق... أمس حاسب البروفسور الفندق واليوم سنغادر نحن... كل شيء سينتهي اليوم.

قال جملته هذه وهو يتحسس فوهة مسدسه الطويل وهو يبتسم ابتسامته الماكرة...

لماذا أشعر أنه سينهي اليوم أكثر من حياة واحدة... حياة بهاء... وحياتي!

لقد شاهدتهم بالأمس يتهامسون هو والبروفسور... لا بد أنهم سيتخلصون مني أيضاً...

لا أخاف على نفسي بل كل ما أخاف عليه الأن هو حياة عائلتي... كيف سأطمئن عليهم؟

غادر جيمس وقد أخذ معه الحقيبة... سينهي الأمر وسيعود قريباً... سيعود لأخذي أم لقتلي لا أعلم لكن كل ما أعرفه أن الموعد قد حان... وأن هذه الأيام التي مرت علي مع الفريق كانت كأنها سنوات...

أخذتُ أمشي في المساحة الصغيرة بين السريرين ثم نحو باب الغرفة جيئةً وذهاباً... كنتُ كالضائع التائه... فعندما تعلم أن حياة

أحدهم على المحك وأن النهاية قد إقتربت فأنت في مكانٍ وفي موقـفٍ لا تحسد عليه!

لا يهمني أمري كثيراً لكن هذا الشاب " بهاء" سيموت بعد بعـض الوقت بسببي.

أمامه الحياة... بألقهـا وقلقهـا... بجمالهـا وبـشاعتها... بطولهـا أو بقصرها والأن سيموت بسبب تدخله في حياتي... وفضوله ورغبته التي جعلته ينتبه لأمري في حـين أن أمـن الفنـدق وإدارتـه وكـل موظفيـه لم ينتبهوا لكل ما حصل...

إهتمامه الزائد بي جعله ينتبه إلى أن عيون العصابة تلاحقني... بيـنما لم ينتبه للخطر الذي وضع نفسه فيه!

يموت هذا الشاب لأنـه لم يفكـر جيـداً... وهـا هـو الأن يبيعنـي، ولكن لماذا ألومه؟

أنا لا ألومه... فأنا كنت فظ في تعاملي معه... كما أنهم عرضوا عليه كذباً مبلغاً مغرياً فأعماه الطمع والجشع فوثق بالعصابة... وها هـو الأن يأتي ظناً منه أنه سـيأخذ ثمـن صـمته... لكنـه لـن ينـال سـوى بعـض الرصاصات التي ستستقر في جسده الغض...

بقيت أمشي وأتحرك وأبكي كطفلٍ لا أعرف كيف أتصرف!

إلى أن طرق أحدهم باب غرفتي...

مسحت دموعي... وقلت في نفسي أيعقل أن يكون جيمس قد أنهى حياة بهاء بهذه السرعة؟

نظرت من العين السحرية فكان أحد النُدل من الفندق أشاهده لأول مرة... فتحت الباب له وأنا أمسح دموع عيني...

- سيدي... مدير الفندق يرغب بأن يلتقيك في مكتبه عندما تكون متفرغاً ووحدك.

- أنا وحدي ومتفرغ.

- اذا أرجو أن تأتي معي لو سمحت.

أغلقت الباب خلفي وتبعت النادل...

كانت عيناي متورمتين بسبب بكائي وكان النادل ينظر لي مطولاً... لا بد أنه يعلم بأنني كنتُ أبكي!

وصلنا لمكتب المدير... فتح النادل الباب فقام المدير من خلف مكتبه واستقبلني ودعاني للجلوس وطلب من النادل إحضار القهوة لنا.

- كيف صحتك استاذ تميم؟

- أشكرك... أنا بخير.

- أستاذ تميم أرجو أن تعتبرني صديقك وأن لا تبخل علي بأي معلومة ضرورية.

- معلومة مثل ماذا؟

- هل أنت مرتاح في فندقي؟

- نعم... فندقكم جيد.

- هل أنت متأكد؟ أشعر أنك تخفي عني معلومة ما!

- سيدي المدير... هل من عادتكم أن تدعو زبائنكم إلى مكتبكم وتسألوهم هذا السؤال؟

- طبعا لا... لدينا مكتب خدمة العملاء ومكتب الإستقبال... لكنك حالة استثنائية.

- وما الإستثناء في أمري؟

- حسناً...

قام المدير من خلف مكتبه واِتجه نحو الكرسي المقابل لي... جلس ونظر في عيناي بشكل مباشر.

- بهاء أخبرني كل شيء.

نظرت للمدير بإستغراب ودهشة ورعب وخوف... مشاعر امتزجت فأثارت في داخلي شوقاً للموت... بأن تكون أنفاسي هذه المتلاحقة والمتابعة وكأنني أركض في مارثون أن تكون أخر أنفاسي ونهايتها...

اذا عرفوا أن المدير يعلم بالأمر ستكون النهاية...

- بهاء لا يعلم شيئاً... بهاء كذب عليك... أريد أن أغادر.

قمت عن الكرسي أريد أن أغادر فبادر سريعاً بالوقوف ومسك كتفي بقوة.

- إجلس سيد تميم... إجلس لمصلحتك.

جلسنا... والرعب يدب في أوصالي

- أعتقد أنها النهاية ولا بد لي أن أعترف لك على الأقل... أنها نهايتي ونهاية كل من أعرفهم.

- أرجوك أن تخبرني كل شي.

- بهاء في خطر شديد ولا أعلم هل هو الأن على قيد الحياة أم قد نالوا منه؟ يفترض ببهاء أن يقابل جيمس الأن ولكن اذا ما التقى بجيمس فسيقتله فوراً.

- أخبرني كل شيء... أخبرني بماذا أنت متورط... ومن هؤلاء؟ ما قصتهم؟ أليسوا علماء أثار؟

- لا أستطيع أن أخبرك... حياة عائلتي وحياة بهاء وحياتي على المحك.

- تأكد أن ما ستخبرني به سيكون كالحبل المنقذ لك من التهلكة، وأن صمتك سيكون كحجر رحى تعلقه على رقبتك وتطرح نفسك في البحر.

- سيعود جيمس في أي وقت وسيكتشف أنني لست في الغرفة وسيبحث عني وسيعلم أنني جالس معك نتحدث وهذه المرة ستكون نهاية عائلتي... أرجوك دعني أذهب.

- حسناً دعني أخبرك أن وجودك هنا أمان، أما الفريق فغادر كله فندقي ما عدا جيمس... وهو الأن يبحث عن بهاء... في هذا الوقت ستخبرني بالحقيقة إن رغبت بذلك... أنا هنا لحماية فندقي وليس للتحقيق معك.

كلمات المدير أشعرتني بالأمان ولو جزئياً... على الأقل قد يعطيني نصيحة جيدة... لعله يستطيع أن يفعل شيئاً ليحمي عائلتي... ليخبرهم بعد موتي بحقيقة ما جرى...

كثيرون ماتوا وماتت معهم حقيقتهم... ماتت معهم قصصهم...

كثيرون ماتوا مُتهمين رغم براءتهم...

وكثيرون ماتوا أبرياء ولكنهم متورطون...

فلماذا لا أترك لهم ما يجعلهم يعرفون أنني متورط حتى أرنبة أنفي... وأنني غبي بما يكفي ليعلموا أن مجنوناً مثلي أرتكب كل هذه الحماقات المتلاحقة وأنني بريء عن سبق إصرار وترصد... أو هكذا يخيل إلي.

أخذتُ نفساً طويلاً... وبدأت أُخبر المدير كل تفاصيل الفريق وتورطي معهم من الألف إلى الياء...

لم أخفِ شيئاً عنه... شعرت وأنا أتحدث إليه كأنني أتحدث مع صديقي جاحظ العينين مع أنه أختفى منذ أخر مرة تحدثنا فيها! أو شعرت كأنما أتحدث مع إنسانٍ أعرفه منذ مدة طويلة.

طُرِقَ باب المكتب ودخل النادل نفسه يحمل صينية عليها فناجين قهوة...

توقفت عن الحديث...

وضع الفناجين ثم خرج من باب جانبي آخر.

أكملت كلامي... بالتفاصيل كلها... إلى أن أوضحت للمدير كل شيء.

-أهذا كل شيء؟

-نعم
-اذا ما منعك من إخبار الأمن بالحقيقة هو الخوف ولأنهم هددوك بقتل عائلتك؟
-نعم صحيح.
-هل أنت مستعد للإعتراف أمام الأمن بهذه التفاصيل كلها لو ضمنت سلامة عائلتك؟
-طبعا...
-وهل تعلم أنك متهم بالعديد من الجرائم وأنك ستحاكم أمام محكمة أمن الدولة بهذه التهم الخطيرة.
-أنا مستعد لأي شيء وللإعتراف بكل شيء فقط أن أضمن سلامة عائلتي وإلقاء القبض على هؤلاء المجرمين قبل أن يتفذوا جرائم جديدة أو تهريب الكنز خارج البلاد.

قام المدير وفتح الباب الجانبي في غرفته الواسعة الذي كان خلف مكتبه ... باباً يؤدي لغرفة جانبية... فدخل منها ثلاثة ضباط يحملون رتباً عسكرية والنادل الذي جلب القهوة.

هبط قلبي وشعرت أنني على وشك الاصابة بنوبة قلبية شديدة...

أصابتني حالة ارتجاف وعدم قدرة على النطق...

لم استطع الوقوف على قدمي...

لقد أوقع بي مدير الفندق!

سلمت أمري لله... أخفضت رأسي... ورفعت يدي المضمومتين ليتم تكبيلي...

قام أحدهم بإنزال يدي وجلس مقابلي وهم جلسوا على المقاعد المختلفة المتوزعة في الغرفة، وقال الضابط:

- سيد تميم، لقد سمعنا محادثتك أنت والسيد المدير بشكل كامل.

لم استطع النطق.

- نحن نعرف أنك متورط ولكن كنا نود أن نعرف لأي الحدود أنت متورط وهل أنت مشارك بكل ما جرى.

تمالكت نفسي وقلت: لا يهم وضعي فأنا أمامكم الأن وأعترف بكل ما سمعتموه ولكن أرجوكم زوجتي وعائلتي وبهاء في خطر... أرجوكم أن تجروا إتصالاتكم لتنقذوهم في الوقت المناسب وتحموهم من القتل.

- سنفعل المستحيل لإنقاذهم... فقط نريد إعترافاً كاملاً منك.

- أي شيء أنا جاهز... لكن أرجوكم استعجلوا الأمور.

هنا تدخل مدير الفندق وقال:

- بهاء قبل أن يغادر الفندق أخبرني أنك في مشكلة وأن عائلتك في خطر وأنك تقيم في الفندق مع أفراد العصابة بغير إرادتك، في نفس الوقت أخبرتنا الشركة الأمنية التي تشرف على أمن الفندق بأن تصرفات الفريق الذي معك مريبة وأنهم يرفضون تنظيف غرفهم ويمنعون أحداً من دخول غرفهم وغرفتك أيضاً ومما زاد شكنا أنهم كانوا يراقبونك بإستمرار ووضعوا لك جهاز تنصت في الغرفة وعطلوا

الهـاتف الأرضي في غرفتـك بطريقـة فنيـة، ثـم إكتـشفت شركـة الإلكترونيات الخاصـة بـأجهزة المراقبـة الإلكترونيـة في الفنـدق عـن وجود متطفل على هذه الإجهزة والتي قادتنا إلى غرف فريقك، لذلك إتصلنا بالأجهزة الأمنية التي بدورها كانت تراقبك وتراقـب الفريـق بدقة... وهؤلاء الـضباط هـم مـن الأمـن العـسكري وهـم يتـابعون الفريق منذ دخوله الفنـدق... وهـذا النـادل هـو أحـد فريـق المراقبـة المكلف من الأمن العسكري مراقبتك ومراقبة العصابة.

تدخل الضابط وقال: فعلياً كنا نراقبك منـذ أن أعلمنـا مـديرك يـا تميم بأن الفريق الأثري قد زرع جهاز تصنت وسرقة معلومات فنية مـن الدائرة.

- اذا أنتم تعلمون بالأمر منذ البداية.

- منذ اليوم الأول... لقد بدأنا نتتبع الأمـور وتـصرفاتك جعلتنـا نظـن أنك عضو في الفريق ولكن لاحقاً تبين لنا في كل مرة أنك موجود هنـا بغير إرادتك... وأن أي تصرف منا كان يعني وضعك في دائرة الخطـر عليك لذلك كنا حذرين جداً من الإقتراب منك مـا عـدا بهـاء الـذي كان يحاول مساعدتك بإندفاعية.

- هل بهاء معكم؟

- لا بهاء نادل هنا ولم يخبرنا عنك شيئاً... وبهاء لم يكن يعرف بأننا نراقبكم.

- كنت أريد طلب مساعدة الشرطة ولكنهم دوماً كانوا يهددونني.

الضابط الأعلى رتبة:

-نحن كنا نراقبكم جميعاً... ونستفسر عن وضعك ووضع الفريق من إدارة الفندق بناء على طلب من دائرتك!

-لماذا لم تتدخلوا في البداية؟

-كنا بحاجة لمعرفة نواياكم ونتصرف على أساسها... في البداية أعلمنا مديرك بأن فريقك مشكوك بأمره فتولينا أمر المراقبة من بعيد في الموقع... ثم أعلمنا مديرك بأنكم سرقتم معلومات مهمة من حواسيب الدائرة بطريقة غير مشروعة، هنا بدأنا بتشكيل فريق متخصص لمتابعة الفريق الأثري وبدأت دائرتك بإجراء إتصالات سرية مع الجامعة الأمريكية بخصوص أهداف الفريق.

-لماذا لم تلقوا القبض علينا وقتها؟

-لم نكن نملك أدلة بما تكفي أو معلومات جيدة عن نوايا الفريق كل ما استطعنا الحصول عليه وقتها أن الفريق مزود بأجهزة تنصت ومراقبة وتهكير إلكترونية غير قانونية وأنهم يحفرون في أماكن خارج الأماكن المسموح لهم بالحفر فيها.

-نعم بالضبط وأخذوا مكاناً تعرض أصلاً للتنقيب غير الشرعي.

-لأن فريقك كان عصابة... ثم ورد خطاب من الجامعة الأمريكية لدائرتك بأن خطاب تفويض البروفسور الصادر من الجامعة مزور،

وأن البروفسور وأفراد الفريق مطرودون من الجامعة منذ مدة، وبإتصالاتنا مع الجانب الأمريكي إتضح بأن الفريق كان متورط مع منظمة دولية خطيرة جداً لتهريب المخدرات والسلاح والأثار.

-المخدرات والسلاح؟ وما علاقة هذا الأمر بالذهب؟

-هذا جزء من عملهم... والتنقيب عن الذهب بطرق غير مشروعة أحد أهم أعمالهم غير القانونية... وعندما أستمعنا لحديثك مع المدير ربطنا بعض الأمور بعضها ببعض... وستوصل بناء على إعترافك للكثير من الأمور ونشكل قاعدة إتهام جيدة لإلقاء القبض على الفريق.

-لماذا لا تلقون القبض عليهم الأن؟

-صدقني سيتم الأمر قريباً... نحتاج أن نُجري العملية بذكاء كي لا يهرب أحد ولكي نحافظ على سلامة عائلتك وسلامة بهاء.

وقف الضباط جميعاً...

-سيد تميم أرجوك قف أنتَ مقبوض عليك بتهمة التعاون مع منظمة أرهابية وتسهيل مهمتهم والتستر عليهم، ومتهم بسرقة معلومات ذات قيمة أمنية وعلمية من دائرتك...

وقفت وقام أحد الضباط بوضع القيود في يدي.

-ماذا عن عائلتي؟ لم أطمئن عليهم؟

قال الضباط الأعلى رتبة: سيد تميم لا تقلق عليهم، عليك أن تقلق على وضعك الشخصي... سنصحبك للمركز الأمني لإجراء التحقيق الرسمي معك ووضعك في مكان آمن ثم عرضك على المدعي العام.

قادوني عبر بهو الفندق وبينما كنا نسير نحو باب الفندق الرئيسي وقعت عيناي على السيدة المتشحة بالسواد... قامت من مكانها واتجهت نحونا.

- قفوا... قفوا... ماذا تفعلون بموكلي؟

موكلها!!!

وقفنا جميعاً... صافحت الضباط.

- أنا المحامية أمجاد... أنا وكيلة الاستاذ ومحاميته، هل لي أن أعرف سبب إلقاء القبض عليه؟

الضباط الأعلى رتبة: تفضلي معنا سيدتي... ستعرفين كل شيء في المخفر.

يتبع في الجزء الثاني من الرواية

مؤخرة صديقي الجاحظ العينين

يـشاء أن يكتـب النـاس مقدمـة لكتـبهم أو تقـديم مـن أحـدهم للكتاب... وحين عرض علي هذا الكاتب أن أكتب لـه تقـديم لروايتـه قلت له أنني لا أَهوى المقدمات أنما أنا رجل يحب النهايـات... التـأخير والنهاية هما هوسي... فوافق على مضض، وقد حاول إقناعي أن روايته بلا نهاية!

من أنا؟... أنا الشخصية الثانية للبطل! لا علاقة لي بنفـسي بـل أنـا الآخر الذي ليس أنا...

ألوم هذا الكاتب المسخ كيف أظهرني بكتابه! لكن مـا ظهـر منـي هـو حقيقي... وما ظهر من تميم باطل... ثم ما ظهر مني أنا خيالي وما ظهر منـه هو واقعي... أن دققتم جيداً ستعلمون أن لا وجود لي... أنا مجرد لا شيء في المكان والزمان... وهمٌ... ولا وهـم يعلـو عـلى وهـم الحـب! لكـن بكـل الأحوال هذه رواية... وحين تنتهي منها تكون قد وصلت لنهاية هذا الجزء ولا أعتقد أنها نهاية القصة... فالقصص المثيرة لا تنتهي أبداً....

حين تنتهي من رواية مـؤثرة... يـصيبك شـعورٌ مـا لا اسـتطيع أن أصفه بالكلمات، ولأنكم لا ترون وجهـي فـالأمر لا يمكـن شرحـه... لكن عينـاي الجـاحظتين أصـبحتا كعينـي انجـل الـشيطانة الجميلـة... أتصدقون الأمر؟... نعم بالكاد!

لكن كيف تعرف أنك تعشق الرواية؟

تُعشقُ الرواية حين تقرأ كلماتها وما خلف الكلمات دون توقف... تتعب عندما يتعب بطلها .... تجوع حين يجوع بطلها ... تحب عندما يحب بطلها... تهرم حين يهرم البطل... وتبكي أيضاً حين يبكي بطلها، وتمارس البطولة معه... تكون انسانياً حين تكون الرواية إنسانية بحته... وتحتلك إحتلالاً... وتمتلك منك الذات وتأخذك إلى حيث الخيال... وقد لا تحدث هذه الأمور كلها... الأمر عائدٌ إليك وإلى مشاعرك وكيف يتحرك قلبك.

حينما تكون ذلك الشخص المرهف ستشعر أنك حينما تنتهي منها أنك خسرت شخوصها أو فقدتهم... أو رحلوا على حين غرة... وفي هذه الرواية ستخسرني لأنك لن تسمع عني في قصص أخرى، وستعلم أن كل الأبطال في هذه الرواية قد دفنوا بمجرد أنك طويت الرواية رغم أنها في جزءها الأول... وأنك مشاركٌ في هذه الجريمة... وأنك لا تستطيع أن تحتفظ بهم بعد ذلك... بمجرد أنك قلبت أخر صفحة يكون قد فات الأوان... لقد رحلوا.

السيرة الذاتية للكاتب

- ولـدتُ في عـام ١٩٧٣ في مدينـة مادبـا في الأردن وأنهيـت دراسـتي الثانوية في مدرسة اللاتين الثانوية وحصلت على شـهادة بكـالوريوس في إدارة الأعمال.
- متزوج ولي ولدان.
- عملتُ في القطاع الخاص والعام متدرجاً من أدنى المراتب إلى أعلاهـا بقليل... لكنني لستُ في مكانٍ وفي وظيفةٍ لم يصل لها أحد...
- سبق أن نشرت العديد من المقالات والأبحاث المنـشورة في عـددٍ مـن المواضيع الإدارية والـسياسية والإجتماعيـة والـسياحية، ومقـالات في الكتابة الساخرة في عدد من المواقع الإلكترونية، ثم ما عاد أحـد ينـشرُ كتاباتي "المتمردة" على حد قولهم، فإكتفيت الكتابـة المـستمرة وأكتـب الأن على صفحتي في موقع التواصل الإجتماعي (الفيس بوك) بـشكل غير دائم!
- صدر لي مجموعة من المؤلفات:
- الأول " إدارة المواقـع الأثريـة وتـسويقها سـياحياً" وهـو كتـاب متخصص وذلك في عام ٢٠٠٣ عن مكتبة الراتب العلمية في عمان.
- الثاني "مواقع التراث الثقافي – إدارة وسياحة وتـسويق" وهـو كتـاب متخصص أيضاً وذلك في عـام ٢٠١٢ عـن وزارة الثقافـة الأردنيـة/ مادبا عاصمة الثقافة الأردنية.

- الثالث كُتيب "ليتني...يوميات عاشق غريب" وهو مجموعة مقطوعات نثرية، وذلك في عام ٢٠١٤ وتم نشره من قبلي كمحاولة مني لإبحار في الجانب الأدبي، وكانت محاولة للسباحة على الشاطئ.
- الرابع " خوف خلف الأقنعة" وهو مجموعة قصص قصيرة مع خواطر وكتابات أخرى، وذلك في عام ٢٠١٥ وتم نشره أيضاً من قبلي وكانت محاولة لإبحار أعمق في بحر الكتابة.
- وهذا " الوهم" سيكون الإبحار الأعمق في المجال الأدبي فإما أن أغرق وإما أن أُجيد السباحة!... وللقارئ تحديد المصير.